١٢

شَرْحُ
العَقِيدَةِ الوَاسِطِيَّةِ

(الشَّرْحُ الثَّالِثُ)

تَصْنِيفُ شَيْخِ الإِسْلَامِ

أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ

المتوفى سنة (٧٢٨) رحمه الله تعالى

شَرْحُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ

د. مُحَمَّد مُحَمَّدِي بْنِ مُحَمَّد جَمِيل النُّورْسِتَانِي

حَفِظَهُ اللهُ

الشَّيْخُ لَمْ يُرَاجِعِ التَّفْرِيغَ

النُّسْخَةُ الأُولَى

شَرْحُ
العَقِيدَةِ الوَاسِطِيَّةِ

(الشَّرْحُ الثَّالِثُ)

١٢

شرح العقيدة الواسطية

(الشرح الثالث)

تصنيف شيخ الإسلام

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

المتوفى سنة (٧٢٨) رحمه الله تعالى

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

د. محمد محمدي بن محمد جميل النورستاني

حفظه الله

الشيخ لم يراجع التفريغ

النسخة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقدمة المشرفين على التفريغ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلي الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن من نعم الله تعالى على أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن جعل فيها علماء ربانيين وأئمة في الدين، ورثوا من علم النبوة على قدر ما قسم الله لهم من ذلك الميراث العظيم الذي لا يعادله شيء من متاع الدنيا الفاني.

ومن رحمة الله بعباده: أنه كلما اشتدت حاجتهم إلى أمر من الأمور كلما يسر الله سبل تحصيله، ونوع لهم الطرائق الموصلة إلى نيله وبلوغه، ولما كان العلم أعظم ما يحتاجه العباد وليس لهم عنه غنى طرفة عين، ولا سيما علم العقيدة والتوحيد الذي هو أشرف العلوم وأزكاها، وأجلها قدرًا وأسناها، والذي قد

زادت الحاجة إليه في هذه الأزمنة المتأخرة، بسبب انتشار الأهواء والبدع، وكثرة المخالفين للتوحيد والمعتقد، والمجانبين للسنة والأثر.

ولما كان الأمر كذلك رأينا منة الله علينا في هذه الأعصر بوسائل كثيرة لحفظ العلم ونشره لم تكن متيسرة لمن قبلنا، وإن من تلك الوسائل حفظ الدروس في تسجيلات صوتية ومقاطع مرئية، تنقل العلم لفظًا ومعنى.

وكان من تمام نعمة الله علينا أن هيأ وسائل حديثة لحفظ هذا العلم، وهو ما يعرف بـ "التفريغات" والتي تنقل علم الشيوع من مسموع إلى مقروء، فتعين الطالب على توفير وقته وجهده، وتدعوه لجمع قلبه وعقله على حفظ العلم وضبطه، وتساعد على انتشاره عبر وسائل التواصل والتقنيات الحديثة، مما يهيئ السبل للانتفاع به، وتداوله بيسر وسهولة من قبل الدارسين والمتعلمين، بل والأساتذة والمدرسين في أحيان كثيرة.

ومن هنا جاءت فكرة المساهمة في تفريغ دروس فضيلة الشيخ الدكتور محمد محمدي بن محمد جميل النورستاني حفظه الله تعالى.

وقد يسر الله تعالى الخطوة الأولى لهذه المرحلة وهي إنشاء قناة للشيخ علي الشبكة، وكذا إنشاء حساب لدروسه في اليوتيوب، والتليجرام، كل ذلك حرصًا على الحفاظ على ما تيسر الحصول عليه من مجالس ودروس فضيلة الشيخ حفظه الله تعالى، وكان الذي فات منها وضاع إن لم يفق الموجود كثرة فلا يقل عنه عددًا، وعزاؤنا فيه أن الله يعلمه، وأن الملائكة كتبته، ونسأل الله عز وجل أن يتقبل ذلك من الشيخ وأن يجعله في موازين حسناته، ومن تلك الكتب التي لم نقف على تسجيلاتها:

- خلق أفعال العباد للبخاري.
- الرد على الجهمية للدرامي.
- نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد، للدرامي.
- القاعدة المراكشية.

وغيرها كثير[١].

وجاءت المرحلة الثانية هذه، وهي سلسلة التفريغات الصوتية للدروس العلمية للشيخ محمد محمدي النورستاني حفظه الله تعالى، وستكون شاملة لجميع دروسه المسجلة، وهي على الترتيب التالي:

١- الأصول الثلاثة (**الشرح الأول ٨ مجالسًا**).

٢- الأصول الثلاثة (**الشرح الثاني ١١ مجلسًا**).

٣- الأصول الثلاثة (**الشرح الثالث ١٧ مجلسًا**).

٤- القواعد الأربع (**الشرح الأول مجلس واحدًا**).

٥- القواعد الأربع (**الشرح الثاني مجلسان**).

٦- القواعد الأربع (**الشرح الثالث مجلسان**).

٧- نواقض الإسلام.

٨- كشف الشبهات.

٩- كتاب التوحيد (**ولا زال مستمرًّا**).

١٠- العقيدة الواسطية (**الشرح الأول**).

١١- العقيدة الواسطية (**الشرح الثاني**).

١٢- العقيدة الواسطية (**الشرح الثالث**).

١٣- لمعة الاعتقاد.

١٤- العقيدة الطحاوية (**أربعون مجلسًا**).

١٥- القصيدة الحائية لابن أبي داود (**ثلاث مجالس**).

١٦- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى.

١٧- الفتوى الحموية (**٢٣ مجلسًا**).

---

[1] ونجد هذا الموضع فرصة لحث الإخوة من طلاب الشيخ ممن قد تبلغهم هذه التفريغات، ممن حضروا للشيخ مجالس في السابق وسجلوا شيئًا منها أن يتواصلوا معنا، فحفظهم لعلم الشيخ أقل ما يجب للشيخ علينا وعليهم، وهو من بر التلاميذ بمعلميهم والذي لا يقل أهمية عن بر الأبناء بآبائهم متى اقترن بالنية الصالحة.

١٨- الجواب على الاعتراضات المصرية.

١٩- العقيدة التدمرية (الشرح الأول).

٢٠ - **العقيدة التدمرية** (**الشرح الثاني، ولا زال مستمرًّا**).

٢١- نقض المنطق "الانتصار لأهل الأثر"، لابن تيمية (**٢٣ مجلسًا**).

٢٢- الإبانة الصغرى "الشرح والإبانة على أصول أهل السنة والديانة" لابن بطة (**٣٨ مجلسًا**).

٢٣- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم. (**ولا زال مستمرًّا**).

٢٤ - **شرح ابن أبي العز الحنفي على الطحاوية** (**ولا زال مستمرًّا**).

٢٥ - **شرح القصيدة النونية "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" لابن القيم الجوزية** (**ولا زال مستمرًّا**).

٢٦ - **شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية** (**لم يكتمل**).

٢٧- رسالة القضاء والقدر لابن عثيمين (**مجلسان**).

٢٨- رسالة قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات، لابن تيمية.

٢٩- رسالة الأفعال الاختيارية من العباد لابن تيمية.

٣٠- فصل في الكلام على الاتحادية، لابن تيمية.

٣١- مسألة في حياة الخضر وادعاء لقائه، لابن تيمية.

٣٢- فصل في معنى الحي القيوم، لابن تيمية.

٣٣ - **الإخنائية، لابن تيمية** (**ولا زال مستمرًّا**).

٣٤- محاضرات في العقيدة والتوحيد.

٣٥- مجالس تفسير سورة العنكبوت.

٣٦- مجالس تفسير سورة الأحزاب.

٣٧- مجالس تفسير سورة الزمر.

٣٨- المنظومة البيقونية (**٤ مجالس**).

٣٩- نزهة النظر (**الشرح الأول ١٦ مجلسًا**).

٤٠- نزهة النظر (الشرح الثاني، لازال مستمرًا).

٤١- المداخل إلى كتب السنة.

٤٢- التعليق على كتاب المدخل إلى صحيح البخاري (٥ مجالس).

٤٣- عقيدة الرازيين.

٤٤- صريح السنة للطبري.

٤٥- السنة للمزني.

٤٦- الأصول الستة.

٤٧- **سلسلة الحوار العلمي عن علم الكلام** (لازال مستمرًا).

٤٨- **الصفات المعنوية.**

٤٩- **قضية التفويض.**

وننبه هنا إلى أن هذه التفريغات معينة ومساعدة، إلا أنها لا تغني عن الدروس الصوتية والمرئية، ولا تكفي عن الاستماع إليها.

وما هذه التفريغات إلا جهد من بعض طلاب الشيخ حفظه الله تعالى، رغبوا في المشاركة في الخير، والمساهمة في خدمة العلم وأهله، فكتب الله أجورهم وشكر سعيهم، والشيخ حفظه الله تعالى لم يراجع هذه التفريغات.

وفي الختام: فإننا ندعو الله عز وجل أن يبارك للشيخ في علمه وعمله، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يبارك له في إتمام ما بقي، ونسأل الله له المزيد من فضله، وأن يمتعنا بعلمه، وأن يطيل عمره على طاعته، وأن يتقبل ذلك منه، وأن يكون ذخرًا له ورفعة وشرفًا يوم لقاء مولاه، ورؤيته سبحانه وحلول رضاه.

وشكر الله للإخوة القائمين على هذا المشروع وكتب أجرهم، وجعله من العلم الذي ينتفع به، وتجري لهم به الحسنات، وتضاعف بسببه الدرجات.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

للتواصل وإرسال الملحوظات والتصويبات
t.Shoroh.dr.alnorstany@tmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال شيخ الإسلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

(الحمد لله الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، وأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا مَزِيدًا.

اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

وَهُوَ الإِيمانُ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، والإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ.

بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾[الشورى: ١١]،

فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ، وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تعالى وآيَاتِهِ، وَلاَ يُكَيِّفُونَ وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛

لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لهُ.

ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهَ وَتَعَالَى.فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِه.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم أما بعد:

فهذه الرسالة العقيدة الواسطية هي إحدى رسائل شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ستمائة وواحد وستين، وتوفي سنة سبعمائة وثمانية وعشرين.

هذا الإمام هو من أعلام المجددين في هذه الأمة، كتبه تربو على المين، كتبه كثيرةٌ منها ما هي في مجلدات، ومنها ما هي رسائل صغيرة ومتوسطة.

هذا الإمام وهذا العلم هو من أشهر المجددين إن لم يكن أشهرهم بالنسبة إلى الملابسات والزمان والمكان والعوامل التي كانت تلابسه.

أعلام المجددين في هذه الأمة كثيرة، ومن أكثرهم تأثيرًا إن لم يكن على الإطلاق هو هذا الإمام.

ألف هذه الرسالة استجابةً لطلب أحد القضاة، ذكره شيخ الإسلام بنفسه، ذكر اسمه في المناظرة التي كانت حول الواسطية، هذه المناظرة كانت سنة سبعمائة وخمسة، كانت المناظرة حول هذه الرسالة، وكان شيخ الإسلام قد ألف هذه الرسالة قبل المناظرة بسبع سنين، يعني سنة ستمائة وثمانية وتسعين.

هذا الشيخ سماه شيخ الإسلام رضي الدين الواسطي، وذكر أنه مر على دمشق حاجًا، كما تعرفون واسط في العراق، وطريق الحج في ذلك الوقت من واسط جنوبًا إلى دمشق ثم إلى المدينة ثم إلى مكة.

ذكر شيخ الإسلام في تلك المناظرة أن هذا الرجل طلب منه أن يؤلف رسالةً في الاعتقاد، وذكر له أن الجهل قد انتشر في تلك الأقطار، وكانت تلك الفترة فترة التجار كانوا هم المستولين على تلك البلاد، واستعفى شيخ الإسلام وطلب منه أن يعفيه عن هذا الطلب ولكن الرجل أصر عليه.

يقول شيخ الإسلام: ذكرت له أن كثيرًا من الأئمة قد ألفوا كتبًا في الاعتقاد، وهي تكفي، فيها الكفاية والغنيمة. ولكن الرجل أصر على أن يلبي طلبه شيخ الإسلام.

يقول: فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد العصر.

يعني هذه العقيدة كتبها في قعدته بعد العصر.

وكتب شيخ الإسلام التي كتبها في مثل هذه القعدات منها «الحموية» كتبها في قعدة بعد الظهر، وشيخ الإسلام كان يكتبها من حفظه.

وكُتب شيخ الإسلام لها مزايا كثيرة جدًا، ذكر بعضها الشيخ العلامة صاح آل الشيخ في شرحه لهذه الرسالة، وشرحه من أفضل شروح هذه الرسالة.

ذكر ميزات أو مميزات كتب شيخ الإسلام؛ من أهمها أنه كان يكتب وهو يستحضر أقوال المخالفين، وهذه الميزة يكاد ينفرد شيخ الإسلام بها إذا نظرنا إليها بالدقة، لا يكاد يقاربه في ذلك أحد، يكتب ما يكتبه في التقرير وهو يستحضر أقوال المخالفين.

وكان شيخ الإسلام موسوعةً فيما يتعلق بأقوال الفرق، وكان علمه بأقوال تلك الفرق أحيانًا كان يفوق علم بعض أعلام تلك الفرق، كان يصحح لهم؛ أن قولكم في هذه المسألة قول أئمتكم كذا وكذا وليس كذا وكذا، كان دقيقًا جدًا في هذه الأمور وفي الأمور عمومًا.

ألف هذه الرسالة كما قلت بطلب من ذلك الواسطي سميت: «العقيدة الواسطية»، وهكذا شأن أغلب كتب شيخ الإسلام وخاصةً الرسائل، ألفها بطلب ممن كان يفد عليه من الأقطار البعيدة.

ومنها مثلًا «الحموية» ومنها «التدمرية» ومنها «المارديني»، إلى غيرها من الرسائل التي تدل على أنه كان فعلًا مرجعًا لكثير من المسلمين في ذلك الوقت بالرغم مما كان تصاحبه من الظروف التي تمنعه أحيانًا من الكتابة وأحيانًا من الرسائل وأحيانًا من التأليف، إلا أن الله ﷻ طرح في قلمه وفي كتابته وفي لسانه هذه البركة التي ذكرها ناسخ هذه الرسالة في بداية هذه الرسالة.

طبعًا هذا الكلام الذي استمعناه: **قال الشيخ الإمام العالم العامل**.

هذا الكلام للناسخ وليس لشيخ الإسلام، الرسالة تبدأ من قوله: الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى. من هنا يبدأ كلام شيخ الإسلام، أما ما قبله فمن كلام الناسخ.

يقول هذا الناسخ: **العالم العامل الزاهد العابد الورع شيخ الإسلام وقدوة الأنام ومن عمت بركته أهل العراقين، الشام، العراقان الكوفة والبصرة**.

كل هذا من كلام الناسخ، في الحقيقة شيخ الإسلام أكبر مما قال هذا الناسخ، ولكنه لم يؤثر عنه أنه كان يمدح نفسه، وهكذا يكون أمر العلماء العالمين العاملين الزهاد، كل ما نجده من مثل هذا المديح في بدايات كتبه ورسائله هي ليست منه، هي من النساخ.

وبركته بقراءة كتبه، لا زلنا نجتمع على كتبه، لا زلنا نتدارسها ونَدْرُسها ونُدَرِّسها، هذه من البركة التي طرحها الله ﷻ في كتبه، والبركة في المؤمن بعمله وبآثاره، والبركة من الله ﷻ يطرحها فيمن يشاء.

هذه الرسالة ذكر شيخ الإسلام عنها في تلك المناظرة وهذا نص كلامه، يقول لما طلب منه أن ينسب الرسالة إلى أحد الأئمة وليكن هو الإمام أحمد؛ لأنه كان منتسبًا إليه، طلب منه الحاكم أن ينسب هذه العقيدة إلى الإمام أحمد حتى ينتهي النزاع، فلم يقبل شيخ الإسلام وقال: ما جمعت إلا عقيدة السلف الصالح جميعهم، ليس للإمام أحمد اختصاص بهذا، والإمام أحمد إنما هو مُبلغ العلم الذي جاء به النبي ﷺ، ولو قال أحمد من تلقاء نفسه ما لم يأت الرسول ﷺ لم نقبله، وهذه عقيدة محمد ﷺ.

لاحظوا هذا الجزم، ومع هذا الجزم يقول شيخ الإسلام عن هذه الرسالة: قد مهلت كل من خالفني في شيء منها ثلاث سنين.

ولا زالت المهلة مفتوحة إلى الآن، وهي مفتوحة إلى الأبد، فإن جاء بحرف واحد من أحد من القرون الثلاثة التي أثنى عليها النبي ﷺ يخاف ما ذكرته فأنا راجع عن ذلك. ما كفت المناظرات في ذلك الوجود وما كثر الهجوم على شيخ الإسلام إلا أنها كانت عبارة عن الإلزامات التي يكثر منها أهل البدع، كلامك يستلزم التشبيه، كلامك يستلزم أن يكون الله ﷻ في جهة، هذه الأمور التي لا تحق حقًا ولا تبطل باطلًا، ولا زال هذا التحدي باقيًا إلى اليوم، وليس هناك أحد -ولله الحمد- رد على ما ذكره شيخ الإسلام في جملته أو تفصيله بعلم أبدًا.

لماذا؟

لأن شيخ الإسلام لم يبن ما ذكره في هذه العقيدة إلا على الأدلة، تدل عليها بماذا، قد يكون هناك خطأ في الفهم فهم الأدلة، فيرد على الأدلة، حتى هذا ما حصل لما ذكره في هذه الرسالة، وهذه الرسالة كما جزم به شيخ الإسلام هي عبارة عن عقيدة النبي ﷺ.

ومنهج شيخ الإسلام في هذه الرسالة وفي غيرها كما قلت أنه يبني على الأدلة، وهذا يظهر أكثر في هذه الرسالة، ففي الجزء الأول الذي خصصه للأسماء والصفات لم يداخل تلك النصوص حتى بالتعليق، يذكر النصوص، ذكرها من القرآن ثم ذكرها من السنة ثم ذكر بعض الأمور التي تستشكل أو

يستشكلها أو وقع في الإشكال فيها بعض العلماء أو يظهر أهل البدع أن هناك إشكالًا في هذه النصوص، ولذلك لا يمكننا أن نقول بما في هذه النصوص.

ذكر القاضي عبد الجبار المعتزلي هذا كنموذج، ذكر في مقدمة كتابه «متشابه القرآن»، له كتاب مجلد متشابه القرآن مطبوع، ذكر أن من فوائد وروود المحكم والمتشابه في القرآن، لماذا القرآن بعضه متشابه وبعضه محكم؟ لماذا لم يكن كله محكمًا واضحًا؟ لماذا؟ يعرف أهل العلم.

ولكن هذا الزائغ الضال يقول أن من الحكمة في ذلك أن تعرف أن هناك خللًا في المنظومة كلها، هذا التعبير محكم متشابه والمرجع في ذلك أدلة العقل، هذا يؤديك إلى أنك لا تأخذ من المحكم ولا من المتشابه.

ثم ذكر سؤالًا، يقول: على هذا يكون كل من خلط في كلامه ولبس في كلامه يكون كلامه أفضل؛ لأنه جعل لا تأخذ بكلامه لا من الواضح ولا من الغامض، يقول: هذا في كلام الناس، أما في كلام الله ﷻ هنا هكذا وقع.

مثل هؤلاء المبتدعة كانت لهم سوق رائجة وللأسف عند بعض الفرق لا زالت لهم سوق رائجة، هؤلاء الذين نظرتهم إلى النصوص بهذا الشكل كيف يبنون عقيدتهم على الكتاب والسنة؟ أما شيخ الإسلام فكما نرى لم يبن شيئًا مما ذكره وأنا لم أعمم مثل ما عمم الشيخ، لم يذكره شيئًا مما ذكره إلا على الكتاب والسنة، وقد ذكرها إما ذكرها نصًا وإما صاغ الجمل كما سيأتي كما سيذكر في اليوم الآخر، صاغ الجمل وحاول أن يكون فيها مقتبسًا من النصوص، هكذا هذه الرسالة.

والحديث عن شيخ الإسلام وعن ترجمته حديث يطول، ولذلك نتجاوزه ونبدأ في الرسالة.

يقول شيخ الإسلام في بداية هذه الرسالة: (الحمد لله الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا)

هذا اقتباس من آخر سورة الفتح: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[الصف: ٩]، في سورة التوبة وفي سورة الصف، في سورة الفتح: ﴿**وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا**﴾[الفتح: ٢٨]

(الحمد لله): الألف واللام هنا للاستغراق، فجميع المحامد كلها على تمامها وكمالها لله، واللام هنا للاستحقاق والتمليك، يستحقها الله ﷻ، وهي له وليست لغيره.

والحمد بعض العلماء أنه مرادف للشكر، كما مذهب ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر أن الحمد مرادف للشكر وأنه ليس هناك فرق بين الحمد والشكر.

وذكر بعض العلماء أن الحمد بمعنى الثناء.

والصحيح أن الحمد فيه ثناء، وهو يتضمن الشكر أيضًا.

ولكن **التعريف الصحيح** أن الحمد هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة والتعظيم.

لما تقول: الحمد لله، فهذا منك إخبار بمحاسن المحمود، والمحمود هو الله ﷻ، وهذا إذا يكون بالمحبة والتعظيم يكون الحمد، الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له والتعظيم له.

والفرق بين المدح والحمد:

أن الإخبار بمحاسن المحمود إذا كان مع المحبة والتعظيم هو حمد.

أما المدح فلا يستلزم، المدح لا يستلزم أن يكون مع المحبة والتعظيم، بل الحمد لا يكون فيه الجمع بين المحبة والتعظيم.

فهذا هو الفرق بين الحمد والمدح.

أما الشكر فهناك فرق بين الحمد والشكر من جهة المتعلقات ومن جهة الوسائل، فحمد الله ﷻ يكون بالقلب ويكون باللسان والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح، من هذا الباب الشكر أعم من الحمد، الشكر من هذا الباب من جهة الوسائل التي يتأدى بها الشكر أعم من الحمد، ومن جهة المتعلقات الله ﷻ يحمد إلى إحسانه وإنعامه وفضله ومنه علينا يحمد على هذا، هذا هو الشكر، ويحمد أيضًا على ما له من الأسماء والصفات، فنحن نحمده؛ لأن جميع النعم منه، جميع النعم من الله ﷻ.

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾[إبراهيم: ٣٤].

ونحمده أيضًا على ما له من الأسماء والصفات، ونحمده أيضًا على أفعاله، ولكن لا يجوز أن تقول: أشكره على حياته وعلمه وقدرته، لا، الشكر يكون على الإحسان، والحمد يكون على الإحسان وعلى غير الإحسان.

من هذا الجانب أيهما أعم؟

الحمد، الحمد أعم من جهة المتعلقات، والشكر أعم من جهة الوسائل التي يتأدى بها.

الحمد نحن نقول: هو الإخبار بمحاسن المحمود، ومحاسن المحمود هنا محاسن الله ﷻ أوصافه، الكمال، هو الذي يخبرنا بتلك الأوصاف، فنحن نصف الله ﷻ بما وصف به نفسه ونصفه بما وصفه به رسوله ﷺ وهذا هو الحمد.

من الذي يخبرنا بأوصافه؟ هو الله ﷻ، من الذي يخبرنا عن أسمائه وصفاته؟

رسوله ﷺ، ومن لا يكون، من لا يثبت الأسماء والصفات فليس لهم من الحمد شيء، عنده تقصير في حمد الله ﷻ، أو ليس له من الحمد شيء.

وبالتالي المعطلة عندهم نقص في حمد الله، لا يمكنهم أن يحمدوا الله ﷻ كما يليق بكماله وجلاله، لا يمكنهم، بدعتهم وأثر بدعتهم تبدأ من هنا، من قولك: الحمد لله، الذي يمكنه أن يحمد الله ﷻ بما يمكن من العبد؛ لأن الحمد لا يمكن كما ينبغي من العبد، أنت كما أثنيت ولكن ما يمكن من العبد لا يمكن أن يكون هذا إلا من أهل السنة والجماعة.

لماذا؟

لأنهم يثبتون لله ﷻ ما أثبته لنفسه أو ما أثبته له رسوله ﷺ.

والحمد ذكره الله ﷻ في القرآن، ذكره في مواضع كثيرة، ورد الحمد بهذه الصيغة: الحمد لله رب العالمين، في سبع وعشرين موضعًا في القرآن الكريم، وقرن الحمد بالتسبيح في أربعة عشر موضعًا من القرآن الكريم؛ لأن هناك تلازمًا بين الحمد والتسبيح، سنشير إليه عندما يذكر شيخ الإسلام نفي المعطلة، هناك تلازم بين التسبيح والتحميد، ولذلك يأتي بذكرهما مقترنين كثيرًا في الكتاب والسنة، اقتران الحمد بالتسبيح له دلالة عظيمة وباقترانهما يتم هذا الفضل للأسماء الحسنى.

والله ﷻحمد نفسه الحمد بالنظر إلى الحامدين ينقسم إلى قسمين: حمد الله ﷻ لنفسه، وحمد العباد له، وأكمل العباد من كان حمده كاملًا، ولذلك نبينا محمد ﷺ اسمه محمد وأحمد، اسمه محمد لكثرة ما يقع عليه من الحمد من أمته وأيضًا من ربه، وله من هذا النصيب الأوفر، أيضًا هو أحمد لكثرة حمده لله ﷻ.

والمواضع التي ذكر فيها الحمد ذكر الشيخ صالح آل الشيخ –حفظه الله– أن الحمد موارد الحمد في القرآن خمسة، وأنا أذكر هذه الخمسة مع بعض بالنظر إلى الموارد هي تقريبًا سبعة، الخمسة هذه وموردان آخران:

منها هذا الذي ذكره شيخ الإسلام: (الحمد لله الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى) الله ﷻ يحمد نفسه على شرعه وأمره، فكل أمر من الله ﷻ يستحق أن يحمد عليه.

يقول الله ﷻ: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾[الأعراف: ٥٤]،

ويقول الله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾[الكهف: ١]،

ويقول الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾[الأعراف: ٤٣].

ومنه كما قلت ما ذكره المؤلف هنا، الله ﷻ يحمد على شرعه وأمره، ومنه أن الله ﷻ يحمد على تفرده بالربوبية.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة: ٢]، كل ما ذكر الله ﷻ حمده لنفسه يذكر فيه موردًا من هذه الموارد أو غيره، هذا اجتهاد، ما أذكره اجتهاد، قد تكون هناك أمور أكثر والموضوع يحتاج إلى تأمل أكثر، فمن موارد الحمد الله ﷻ يَحمد نفسه ويُحمد على تفرده بالربوبية.

يقول الله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام: ١]،

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[سبأ: ١]،

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[فاطر: ١]

المورد الثالث يحمد الله ﷻ على تفرده في ألوهيته، فلا يستحق العبادة إلا هو؛ لكمال صفاته، يقول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[القصص: ٧٠].

﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[غافر: ٦٥]

المورد الرابع : يحمد الله ﷻ على ما له من الأسماء والصفات التي له على وجه الكمال، فهو سبحانه يحمد ويثنى عليه بما له من الأسماء الحسنى والصفات العلا، وكذلك يثنى عليه بكل اسم على حدة إجمالًا وتفصيلًا وبكل صفة على حدة.

ومنه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢] من الصفات ومن الأسماء، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[التغابن:١]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾[الفرقان:٥٨]

ومنه أيضًا أن الله ﷻ يحمد على انتقامه من أعدائه؛ لأن هذه فيه تسليةً للمؤمنين، الله ﷻ ذكر هذا في كتابه وقال: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام:٤٥]؛ لأن هذا فيه امتنان على المؤمنين.

أيضًا من تلك الموارد: يحمد الله ﷻ على ما تفضل به من إيضاح المحجة والأدلة، الله ﷻأنزل هذا الكتاب القرآن ولم يترك باب الاعتقاد وغيره غامضًا بل ذكر الأدلة التي تدل على أبواب الاعتقاد كلها وأوضحها، الله ﷻذكر هذا في عدد من المواضع في القرآن وحمد نفسه بعدها، من ذلك يقول الله ﷻ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[النحل:٧٥]،

لماذا حمد نفسه هنا؟

لأنه ضرب هذا المثال وأوضح هذا المثال وذكر فيه هذا التفاوت الكبير بين هذه الأنواع.

المورد السابع : الله ﷻ محمود على خلقه وقدره يحمد على النعم بل يحمد في سائر الأحوال، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[إبراهيم:٣٩]، ويقول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[المؤمنون:٢٨].

هذا المورد الذي ذكرته أخيرًا هذا يستحضره حتى العامة، فتجد المؤمن يقول بعد كل نعمة: الحمد لله، وهذا المورد كما قلت يستحضره العوام وطلاب العلم، وينبغي لطلاب العلم أن يكون لهم اهتمام وتركيز على جميع الموارد، وهذا الذي ذكره الله ﷻ في كتابه وكرره فله معنى، ولا ينبغي أن نغفل عما

ذكر الله ﷻ، هذا ليس في الحمد فقط، هذا في الحمد وفي التسبيح وفي الاستغفار، هذه المعاني الله ﷻ ذكرها مرارًا وكررها لمعاني عظيمة.

(الحمد لله الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ)

الله ﷻ ذكر هنا أمرين وهذه الآية كما قلت هي في آخر سورة الفتح؛ حمد نفسه لأنه أرسل رسوله بالهدى.

من المرسل هنا؟

الله ﷻ.

والمرسل؟

هو النبي ﷺ.

والمرسل به أمران: الهدى، ودين الحق.

الهدى هو كمال العلم أو تقول: العلم النافع، ودين الحق الدين الذي يوصف بأنه حق، وهو كمال الأعمال، كمال الإنسان يكون بهذين الأمرين: يكون بالعلم النافع والعمل الصالح.

وتجد الناس كلهم يكون عملهم تابعًا لعلمهم، وهذا الذي يعبد البقر مثلًا علمه خرافاته تقول: أن هذا البقرة فيها كذا وكذا فيعبدها، وهذا المشرك جهله أو علمه يقول له فيعمل حسبه، هل هذا هو العلم النافع؟ من أبعد ما يكون عن العلم الحق؛ إذا أردت العلم النافع فعليك بكتاب الله ﷻ؛ لأن الله ﷻ أنزل كتابه بالعلم النافع وأرسل رسوله بالعلم النافع، العلم النافع في الكتاب والسنة.

الهدى هو كمال العلم النافع، ودين الحق العمل الصالح الذي يكون مبنيًا على العلم النافع ولا يمكن أن يكون عملًا صالحًا مبنيًا على جهل أو مبنيًا لا يكون مبنيًا على العلم النافع أبدًا، وهذان أمران متلازمان، العلم النافع يؤدي إلى العمل الصالح، والعمل الصالح يكون مبنيًا على العلم النافع، والله ﷻ أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

لماذا أرسله؟ وبماذا أرسله؟ وما هي النتيجة؟ وما هي عاقبة هذا الذي أرسله؟

أرسله ليظهره على الدين كله، أي ليظهره على الأديان كلها، يظهرها بالحجة والبرهان وبالسيف وبالسمة، طبعًا هذه الآية مكية.

هذا الذي ذكره الله ﷻ متى ذكره؟

لما منعوا عن الذهاب إلى الكعبة في وقعة الحديبية، ما استطاعوا أن يذهبوا إلى مكة، منعوا، مع ذلك ذكر الله ﷻ هذا؛ ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[الفتح:٢٨]، وهذا الذي حصل، الله ﷻ أظهر رسوله في فترة لا تقدر بمقاييس البشر، في فترة وجيزة، ودين الإسلام شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا ليس هناك قطر إلا وفيها من يعبد الله ﷻ على هذا الدين، ودين الإسلام كما يقولون من الأديان المليارية، الأديان المليارية منها النصرانية ومنها الكونفوشيوسية ومنها الهندوسية ومنها الإسلام، ولكن الهندوسية والكنفوشية في قُطرٍ معينٍ، وما أدري ما دينهم، النصرانية التي وراءها هذا الكم الهائل من الوسائل، أما الإسلام فقد انتشر بما فيه من القوة، بما فيه من القوة في حجته وفي برهانه.

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[الفتح:٢٨]

وهذا واقع لما أراد أعداء الإسلام أن يطمسوا نور الإسلام انتشر أكثر.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[الفتح:٢٨]

في هذه الآية كما قلت ذكر الله ﷻ المرسِل والمرسَل وبما أرسل به والعاقبة التي تنتظره، وذكر بعدها: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح:٢٩].

ذكر فيها بما من سيظهر هذا الدين، بعد هذه الآية ذكر الله ﷻ من الذين سيظهر بهم هذا الدين، وهم من؟

محمد رسول الله والذين معه، وذكر أوصافهم، أوصافهم فيما بينهم ومع أعدائهم، تعاملهم فيما بينهم وتعاملهم مع أعدائهم، رحماء بينهم وهم أشداء على الكفار، هذا في المعاملة مع الخلق.

أما في المعاملة في التعامل مع الله ﷻ: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾[الفتح:٢٩].

ثم ذكر أن الأصحاب ورد ذكرهم حتى في الكتب القديمة، في التوراة وفي الإنجيل، وأن مثلهم مع النبي ﷺ ذلك المثل الرائع، المثل الذي لا يتحمله الكفار، محمد ﷺ وحوله هذه الزمرة الصالحة ثم يتكون هذا المشهد ويزداد قوةً وجمالًا وروعةً، الذي لا يتحمله الكافر، ففي هذه الآية التي في هاتين الآتين في هذه السورة التي نزلت عليهم وهم في هذه الظروف الحالكة فيها إشارة للنبي ﷺ وللمؤمنين

عمومًا ومن كانوا هناك خصوصًا، وهذه قائمة؛ ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[الفتح:٢٨]، ومن كان له سهم في هذا الإظهار فهذه كرامة له ليس له منة على الإسلام.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[الفتح:٢٨].

كيف يشهد الله ﷻ؟

يشهد بالقول وبالتصديق وبالعمل بأن يقويه، يظهره، ويشهد بالقول فالله ﷻ أظهر صدقه بالقول وأظهر صدقه بما ذكره من الأدلة وأظهر صدقه أيضًا بما نصره وبما كان له الغلبة على أعدائه.

ثم يقول شيخ الإسلام: (وأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ)

الشهادة معناها الاعتراف والإقرار، الشهادة معناها الاعتراف والإقرار، الاعتراف والإقرار الذي يتعبه إعلام وإخبار؛ لأن الشهادة تشمل اعتقاد القلب والإخبار باللسان، ومن اعتقد بقلبه دون أن يتكلم بلسانه هذا لا يعتبر شاهدًا وكذلك العكس، فمن يخبر بلسانه وما كان معتقدًا بقلبه فشهادته ليست صحيحةً، لا يطلق عليه أنه يشهد، لذلك كذب الله ﷻ المنافقين حينما قالوا: ﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] ، لما جاءوا وقالوا للنبي ﷺ: ﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾، كذبهم الله عز.

لماذا؟

لأنهم شهدوا بذلك مع أن قلوبهم لا تصدق بهذا، ليس هناك مواطأة بين القلب واللسان، المواطأة بين القلب واللسان شرط لأن يكون هذا الإخبار شهادةً، إذن الشهادة لا بد فيها من مواطأة القلب واللسان.

(وأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ)

أولًا : لا إله إلا الله وحده، هذه الكلمة فيها نفي وإثبات، وهذان الركنان لا بد منهما؛ لأن النفي المجرد هذا تعطيل محض وإلحاد، والإثبات المجرد لا يمنع من الإشراك والتشريك، من نفى ولم يثبت فهو ملحد ومن أثبت ولم ينف فهو مشرك، المشركون يثبتون وجود الله ﷻ ولكنهم يشركون مع الله ﷻ غيره في العبادة، ولذلك سموا مشركين.

ولذلك لا بد من الجمع بين هذين الركنين؛ الإثبات والنفي، نثبت الإلوهية الحقة لله ﷻ فقط وننفيها عن غيره.

والإلوهية بمعنى العبودية.

والإله هو المعبود مع المحبة والتعظيم، الإله معناه هو المعبود مع المحبة والتعظيم، والإلوهية بمعنى العبودية.

لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله، وهذا هو المعنى الصحيح وليس معنى الإله القدرة على الاختراع وما يقوله المتكلمون أو بعضهم يقولون: معنى الإله المستغني عمن سواه المفتقر إليه كل من عداه، إذن بمعنى الربوبية، ما يذكره المتكلمون معناه معنى الربوبية وليس معنى الإلوهية.

هناك فرق بين الإلوهية والربوبية، من أظهر هذه الفروق من أظهر هذه الفروق التي لا ينبغي أن لا تغيب عن بال أحد أن المشركين كانوا يقرون بالربوبية في الجملة وينكرون الإلوهية.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾[لقمان: ٢٥]،

في الإلوهية ماذا يقولون؟

﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[ص: ٥].

الآلهة عندهم كثر والرب عندهم واحد، ما معناه؟

يفرقون بين الإلوهية والربوبية، وكما يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: **تبًا لمن كان علمه أقل من علم المشركين في التفريق بين الإلوهية والربوبية.**

يفرقون، وهذا التفريق يرجع إلى اللغة، هناك فرق بين الإلوهية والربوبية، والربوبية ترجع إلى الإيجاد والملك، أما الإلوهية فترجع إلى العبادة، الإلوهية بمعنى العبودية، ولذلك توحيد الإلوهية من أسمائه، توحيد العبادة توحيد العبودية؛ لأن الإلوهية مرادفة للعبودية.

وكما قلت: قولهم الإله هو القادر على الاختراع هذا معنى الرب وليس معنى الإله.

وتستغرب أن هناك مدارسًا تقول بهذا إلى يومك هذا، يقولون: القادر على الاختراع هذا معنى الإله، هذا معنى الرب.

(لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ)

وحده هذا تأكيد لهذا التوحيد لا إله إلا الله تأكيد للإثبات، لا شريك له هذا تأكيد للنفي، فكلاهما فيه تأكيد.

(وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا)

أنا عندي إقرارًا فقط، إقرارًا به هذا من التأكيد بعد التأكيد، أنا قلت أن وحده لا شريك له فيهما تأكيد، أليس كذلك؟

إقرارًا به وتوحيدًا؛ هذا تأكيد بعد التأكيد، فإقرارًا أي باللسان، وتوحيدًا هنا بمعنى إخلاصًا في كل عبادة سواءً كانت قوليةً أو فعليةً أو اعتقاديةً، إقرارًا باللسان وتوحيدًا أي إخلاصًا في كل عبادة، في جميع العبادات.

(وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ)

لا بد من الشهادة بهذين الأمرين؛ أولًا نشهد أنه عبد من عبيد الله ﷻ ليس له من الإلوهية والربوبية شيء، ثم نشهد له بالرسالة بأنه بعد ولكن الله ﷻ أكرمه بالرسالة.

(عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) ففيه رد على أهل الإفراط والتفريط؛ في حق النبي ﷺ

(عَبْدُهُ) هذه الإضافة هنا للتشريف، وهذه العبودية خاصة.

العبودية كما ذكر شيخ الإسلام تنقسم إلى قسمين:

عبودية عامة يشترك فيها الجميع، الجميع عباد الله عز ولا يخرجون عما يريده الله عز عما يشاؤه كونًا.

أما عبيده عبادةً خاصةً فهم الذين يعبدونه طوعًا.

(عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا مَزِيدًا)

صلى الله عليه وعلى آله لا توجد في هذه النسخة، وهي موجودة؟ موجودة في نسخة؟ وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا؛ لأن أهل السنة والجماعة منهجهم الجمع بين الآل والصحابة.

الصحيح أن المراد بالآل هنا هم آل النبي ﷺ آل بيته، وهذا هو الصحيح، وهذه مزية لهم؛ لأنهم لمكانهم من النبي ﷺ.

وبعضهم قالوا: الآل يدخل فيه جميع أمته، هذا إن صح في بعض النصوص هنا الصحيح أن الآل هم آل بيته أهل بيته، ومنهم زوجاته رضي الله عنهن وأرضاهم.

(وَصَحْبِهِ) فأهل السنة كما قلت يجمعون بين تعظيم هؤلاء وهؤلاء، ولا تناقض، بعضهم عنده لا ولاء إلا ببراء، فيوالي البعض على حساب البعض، وعند أهل السنة لا. (وَسَلَّمَ تسليمًا مَزِيدًا).

(أمَّا بعد)

هذه الكلمة يؤتى لها للانتقال من أسلوب إلى أسلوب.

هذه الكلمة: أما بعد، يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى أسلوب، بوب الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه كتاب الجمع بوب بقوله: باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد.

يقول الحافظ بن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: معناه فقد أصاب السنة، باب من قال في الخطبة: أما بعد، يقول الحافظ ابن حجر: معناه فقد أصاب السنة، هذه سنة النبي ﷺ، كان يقول: أما بعد.

أيضًا أعطوني النسخة التي فيها الحواشي، على كل حال هذه الكلمة أما بعد موجودة، اكتبوا قيدوا النقص الذي عندكم، فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة.

ذكر شيخ الإسلام هنا هذه الأوصاف الثلاثة:

أولًا: الفرقة الناجية.

ثانيًا: الفرقة المنصورة إلى قيام الساعة.

ثالثًا: أهل السنة والجماعة.

هذه الأوصاف كلها لهذه الطائفة وهي طائفة أهل السنة والجماعة، هم الفرقة الناجية؛ لأنهم نجوا من الأهواء والبدع في الدنيا، وسينجون بإذن الله عَزَّوَجَلَّ من النار في الآخرة، فهي الفرقة الناجية.

المنصورة إلى قيام الساعة، المنصورة بالحجة والبرهان، هذا لهم إلى قيام الساعة، فليس هناك أحد يناظرهم بعلم، من يناظر أهل السنة من يرد عليهم من يكتب حولهم لا يخلو من التدليس والتلبيس والخلط، أما أن يناظرهم بعلم هذا معهم الحجة والبرهان دائمًا.

لماذا؟

لأنهم كما قلت بنوا عقيدتهم وكل ما يعتقدونه بنوه على الكتاب والسنة، وقد ينصرون أيضًا بالسيف والسنان، قد يجمع الله عَزَّوَجَلَّ لهم النصرتين، وقد تبقى لهم هذه النصرة التي هي لهم دائمًا المنصورة إلى قيام الساعة.

أهل السنة والجماعة، لقبهم بهذا اللقب الشريف وهذا اللقب تتنازعه الطوائف، أهل السنة والجماعة، الطوائف بما فيهم المعتزلة والأشاعرة والماتريدية يرون أنهم هم أهل السنة والجماعة، نحن لا نناقش المعتزلة لأن جاءهم على استحياء جاءهم لهذا اللقب على استحياء ولكن نحن ندعو كل من يرى نفسه من أصحاب هذا اللقب ندعوه أن يكون فعلًا أهلًا لهذا اللقب.

وكيف يكون أهلًا لهذا اللقب؟

أن يكون من أهل السنة، أن يكون من المهتمين بالسنة، أن يكون من المحتجين بالسنة، يحتج بها في أصول العقائد، يحتج بها في العقيدة، فيكون من أهلها، أما من يرد السنة بحجج واهية كثيرة تقريبًا تسعة وتسعين من السنة يردها بأنها من أخبار الآحاد، بعض السنة يردها بأنها من نصوص التشبيه، بعضها يردها أنها من المجاز، بعضها يردها، ما بقي من السنة يردها بأنها بينية الدلالة.

كيف تكون من أهل السنة؟ بأي حجة صرت من أهل السنة؛ لأن أهل الشيء من يكون؟

أخص الناس به، بذلك الشيء.

أهل هذا المسجد من يأتي إلى هذا المسجد ويصلي في هذا المسجد وهم معرفون، إذا كان أحد الجيران جيران المسجد لا يأتي إلى المسجد ويدعي أنه من أهل هذا المسجد ماذا يقال له؟ يقال له: تعال إلى المسجد فتكون من أهله، والمسجد يسعك، وهذا الذي ينبغي أما أنك أحيانًا تعترض أنهم رفعوا الأذان على كذا وأن الإمام ما سكر كذا وتضايق أهل المسجد مع ذلك تدعي أنك من أهل المسجد.

وهكذا نقول لكل من يدعي أنه من أهل السنة، كونك من أهل السنة شرف ولا نلومك في هذا الادعاء ولكن كن من أهلها، لا ترد السنة، لا يكن موقفك من السنة أسوأ من موقفك من كلام الفلاسفة، تحتج بالسنة فتردها كيف تكون من أهل السنة؟

فكونك من أهل شيء ما يحكمه موقفك من ذلك الشيء؛ لأن ادعاءك أنك أهل السنة هذا يدل على أنك مختص ومعروف بالسنة روايةً ودرايةً، ومن المعروفون بالسنة روايةً ودرايةً؟

هم أهل السنة، يهتمون بالسنة روايةً ودرايةً.

ودائمًا يُلمزون ويُتهمون بأنهم أصحاب أسفار وأنهم حشوية، وأنهم كذا لموقفهم من السنة واهتمامهم بالسنة، ويتحملون هذا الأذى لأجل السنة فهم أهلها، وليس من يحاربهم لأجل موقفهم من السنة، فهم أهل السنة، وهم يستحقون هذا اللقب بجدارة وبموقفهم من السنة.

أهل السنة والجماعة:

أما السنة فهي سنة النبي ﷺ.

أما الجماعة فهي من الاجتماع؛ لأن أهل السنة دائمًا يجتمعون على السنة، ليسوا من أهل الافتراق، ودائمًا يجتمعون على الحق، ودائمًا يجتمعون على الأمير إذا اجتمع عليه الناس، ودائمًا يحثون على الاتفاق والاجتماع، هذا شعارهم، وليسوا من أهل الافتراق مثل الخوارج وغيرهم؛ الذين بنوا دينهم على الافتراق.

نتوقف ونستكمل إن شاء الله بعد الصلاة.

صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد:

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أمّا بعد: فهذا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: وَهُوَ الإِيمانُ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، والإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ).

هذا الذي ذكره شيخ الإسلام، هذا الإيمان المجمل، الإيمان المجمل، وذكر فيه أركان الإيمان الستة، وهذه الأركان التي ذكرها هنا هي أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، أصول عقيدة أهل السنة والجماعة هي هذه الأركان الستة، وبقية المسائل تحوم حولها.

وتدخل في مسائل العقيدة عندهم يدخل في مسائل العقيدة كل ما كان من باب الغيب وثبت في الكتاب والسنة؛ يذكرونه من باب العقائد، ويدخلون في ذلك أيضًا المسائل التي يتميز بها أهل السنة والجماعة ويكثر خلاف المبتدعة فيها من هذا الباب يذكرون بعض مسائل الفقه في كتب العقائد، وإلا هي ليست من مسائل العقيدة.

ولكن أصول العقائد عند أهل السنة هي هذه الأركان الستة، وهي التي ورد ذكرها مجتمعةً في حديث جبريل عليه السلام لما سأل النبي ﷺ عن الإيمان قال: «**أَنْ تُؤمن بِاللهِ ومَلائِكتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيومِ الآخرِ، والقدَرِ خَيرِهِ وشَرِّهِ**».

هذه هي الأمور الستة الأصول الستة، وبعض الأئمة أو أكثر الأئمة يذكرون ستةً على هذا الحديث بهذا الترتيب، وبعضهم يذكرونها خمسةً؛ لأن الإيمان بالقدر يدخل في الإيمان بالله ﷻ.

أما الفرق الأخرى فلهم أصولهم، لهم أصولهم التي أخذوها من مصادرهم الخاصة.

مثلًا المعتزلة أصولهم خمسة: العدل والتوحيد، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهم يختلفون مع أهل السنة والجماعة فيما كان في ظاهره مصطلحًا شرعيًا، التوحيد هم يختلف والعدل هم يختلف ومعروفهم يختلف ومنكرهم يختلف وأمرهم أيضًا يختلف، كيف يأمرون وكيف ينهون، المهم أصولهم أصول خاصة بهم.

وبعض الناس أصولهم أربعة، مثلًا التوحيد والعدل والنبوة والإمامة، وبعضهم أكثر وبعضهم أقل.

أصول أهل السنة هي هذه الأصول الستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره.

الإيمان باليوم الآخر عبر عنه شيخ الإسلام هنا بالبعث بعد الموت، وهو الإيمان باليوم الآخر، ومباحثه تبدأ من مقدمات الموت، من هنا تبدأ مباحث اليوم الآخر.

وقد فصل شيخ الإسلام في هذه الرسالة المختصرة فصل في الركن الأول بل في بعض مسائل الركن الأول، وفي ركن الإيمان باليوم الآخر، وفي ركن الإيمان بالقدر، وفصل أيضًا في مسائل أخرى كما قلت هي تذكر في مسائل ضمن مسائل الاعتقاد لأمور يأتي ذكرها معها.

الإيمان بالله ﷻ كما تعرفون لا يتحقق إلا بتحقيق التوحيد، الإيمان بالله ﷻ يتحقق بتحقيق التوحيد.

والتوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١) توحيد الربوبية،

٢) وتوحيد الإلوهية،

٣) وتوحيد الأسماء والصفات.

وقد فصل شيخ الإسلام هنا في هذه الرسالة في توحيد الأسماء والصفات، ولم يذكر المسائل التي تتعلق بالنوعين الآخرين، توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية.

ذكر هذا وفصل هذا بهذه الطريقة لأمرين:

الأمر الأول: لكثرة الخلاف، المخالفون في هذا الباب كثر، وهذا النوع من أنواع التوحيد توحيد الأسماء والصفات أول الأنواع للانحراف فيه، بدأ الانحراف في الأسماء والصفات مبكرًا، ثم حصل في توحيد الإلوهية ثم في توحيد الربوبية، والمخالفون فيه كثر، والخلاف فيه كثير، حتى إن أهل السنة في

عصر شيخ الإسلام كانوا قلةً ولا يكادون يذكرون بلقبهم ولا يكادون يحشرون ضمن أهل السنة أصلًا، وهم المشبهة وهم الحشوية وهم كذا، لا يذكرون إلا بهذه الألقاب الذميمة.

وتفصيل شيخ الإسلام في هذا الباب:

أولًا: لكثرة الخلاف فيه.

وثانيًا: لما تقارن النصوص الواردة في توحيد الربوبية وفي توحيد الإلوهية، في توحيد الأسماء والصفات تجد أن النصوص الواردة في توحيد الأسماء والصفات أكثر بكثير بل لا مقارنة في الكتاب والسنة، ما من آية إلا وفيها شيء من ذكر أسمائه وصفاته في الغالب.

لماذا؟ هكذا اعتباطًا بدون أي اعتبار؟ أم هناك شيء يعلمنا الله ﷻ به؟

توحيد الأسماء والصفات به نعرف الله ﷻ، الله ﷻ تعرف إلى عباده بتوحيد الأسماء والصفات، ذكر لنا أسماءه ذكر لنا صفاته، وبها نعرفه، هذا هو البعض الذي به نعرف الله ﷻ، ونعبده على هذا الأساس، نعتقد أن الله ﷻ قدير على كل شيء، عليم بكل شيء، علمه محيط بكل شيء، علمه شامل ومحيط، سميع بصير، مجيب الدعوات، على هذه الأسس نعبده، وإلا كيف نعبده؟

ولذلك يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن الجهمية قطاع الطرق في هذا الباب، الجهمي يأتي ويقول: لا هو سميع ولا هو بصير، لا هو يمين وهو لا، طيب، تعبد ماذا؟! لا له اسم ولا له صفة، تعبد ماذا؟!

كما قلت النصوص الواردة في توحيد الأسماء والصفات في الكتاب والسنة كثيرة جدًا بل هي أكثر، وليس من الغريب بعد هذا أن نجد تركيز شيخ على هذا الباب بهذا التفصيل، بعض الناس يظنون أنه يخوض في الأمور الخلافية وبما أنه مشبه يورطنا في التشبيه.

سبحان الله، إذن أول المشبهين هو النبي ﷺ، وهذا صرح به بعض المبتدعة؛ أن من الأنبياء من هم مشبهة، ثلاثة منهم محمد ﷺ!،

سبحان الله؛ لأن دينهم يختلف؛ مصادرهم تختلف؛ حساباتهم تختلف، مصادر التلقي هناك بون شاسع بين أهل السنة وبين أولئك المبتدعة.

إذن هذا منهج شيخ الإسلام فصل في توحيد الأسماء والصفات، فهو يتعلق بالركن الأول، لذلك يقول: (وَمِنَ الإيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ)؛ إذن نحن لما نفصل في هذا الباب

في توحيد الأسماء والصفات فنحن في باب الإيمان بالله ﷻ، لسنا في محاكاة لفظية، لسنا في فلسفة، لسنا في منطق، لسنا في جدال، نحن في الإيمان بالله ﷻ

كيف يكون الإيمان بالله ﷻ في هذا الباب؟

حسب ما ورد في الكتاب والسنة، نتقيد بما ورد في الكتاب والسنة؛ حتى نكون مؤمنين إيمانًا صحيحًا كاملًا بهذا الباب، ومن لم يتقيد بالكتاب والسنة ففيه من الانحراف بحسبه، من كان بعيدًا عن الكتاب والسنة في هذا الباب أو لم يتقيد ففيه نوع من الانحراف، قدر من الانحراف، نسبة من الانحراف بحسب بعده عن الكتاب والسنة.

إذن تفصيل شيخ الإسلام في أركان الإيمان، هو في بعضها لم يفصل في الإيمان بالملائكة مثلًا، في الإيمان بالكتب مثلًا، في الإيمان بالرسل باستثناء موضوع الكرامات، موضوع يتعلق بالرسل، تحدث عنه شيخ الإسلام هنا، ثم اقتصر بعد ذكر هذه الأركان الثلاثة اقتصر على أبرز ما تميز به أهل السنة والجماعة.

يقول: (وَمِنَ الإيمَانِ بِاللهِ)

أولًا: ذكر الإيمان المجمل أو مسائل الإيمان إجمالًا ثم بدأ بالتفصيل.

وهذا الموضوع الذي سيبدأ فيها هذا استحوذ تقريبًا على نصف الكتاب أو قريب منه، توحيد الأسماء والصفات فصل فيه أكثر.

(وَمِنَ الإيمَانِ بِاللهِ: الإيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ)

إذن مصادرنا في هذا الباب مصدران لا ثالث لهما.

لا نأخذ صفات الله ﷻ وأسماءه من غير هذين المصدرين، من البداية تحديد المصادر، وتحديد المصادر يحمي من الانحراف بإذن الله ﷻ، والاعتصام بالكتاب والسنة، الاعتصام بالكتاب والسنة ومعرفة قدر الكتاب والسنة، الاعتصام بهما في مسائل العقيدة، في جميع المسائل من أهم الأسباب التي تحمي من الانحراف، ولذلك الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه بما وصفه به رسوله محمد ﷺ.

إذا وجدنا في الكتب المؤلفة في أسماء الله ﷻ، وهي كثيرة، منها مثلًا كتاب للغزالي ومنها كتاب للرازي ومنها كتاب للشيرازي، وغيرهم، إذا وجدنا فيها اسمًا من أسماء الله ﷻ لم يرد في الكتاب والسنة لا نقلده، سنجد مثلًا من أسماء ﷻ واجب الوجوب، ذكره، طيب إيش الدليل؟ من أسماء الله ﷻ القديم؟ من أسماء الله ﷻ الصانع، إيش الدليل؟

لا بد أن يكون هناك دليل من الكتاب والسنة، وكذلك في: **باب الصفات توقيفي، وباب الأسماء توقيفي، وأضيقهما باب الأسماء.**

أي صفة يُزعم أنها صفة من صفات الله ﷻ لا بد من الدليل من الكتاب والسنة.

أما باب الإخبار :

فهو واسع، يُخبَر عن الله ﷻ بكل إيمان صحيح، وهذه المعاني نأخذها من الأسماء والصفات، فباب الإخبار أوسع، وباب الأسماء والصفات توقيفي، وأضيقهما باب الأسماء.

كل ما ثبت اسمًا يتضمن صفةً، كل ما ثبت اسمًا يتضمن صفةً، نأخذ منه اسمًا ونأخذ منه صفةً، وكل ما ثبت صفةً لا يلزم أن يكون متضمنًا للاسم، فالعكس لا يصح. إذن أضيق الأبواب هو باب الأسماء.

والصفات، أقسام الصفات باعتبارات من أشهر الأقسام وهو من أشهر التقسيمات أن الصفات تنقسم باعتبار تعلقها بذات الله ﷻ تنقسم إلى قسمين أو تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

صفات ذاتية.

وصفات فعلية.

وصفات ذاتية باعتبار، وصفات فعلية باعتبار.

الصفات الذاتية هي الصفات التي لا تنفك الذات المقدسة، الله ﷻ يتصف بها أزلًا وأبدًا.

والصفات الفعلية هي التي تتعلق بمشيئته وقدرته، ليست صفات أزلية، مثل : صفة الضحك، صفة الغضب، صفة المجيء، صفة الاستواء، الله ﷻ استوى بعد أن بنى السموات والأرض، ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾[**الحديد: ٤**]، بعد أن خلق السموات والأرض الله ﷻ استوى على العرش.

إذن هذه الصفة ليست أزليةً، ولا يصح أن يقال أن الصفات الفعلية؛ هي باعتبار الأصل أزلية ذاتية، لا يصح، الصفات الفعلية هي التي تتعلق بمشيئته وقدرته، هذا التقسيم بأي اعتبار؟

من حيث تعلقها من حيث ذات الله ﷻ.

وهناك تقسيم بالنظر إلى الأدلة.

وهذا التقسيم هناك صفات خبرية وهناك صفات عقلية، وهذا التقسيم في أصله للمتكلمين، هذا التقسيم في أصله للمكلمين:

الصفات الخبرية.

والصفات العقلية.

الصفات العقلية هي التي ثبتت بالعقل، والصفات العقلية هي عند الأشاعرية سبعة، وعند الماتريدية ثمانية، يزيدون صفة التكوين، الصفات الخبرية هي الصفات التي ليس لها سبيل إلا الخبر، تثبت بالخبر، والخبر هو الكتاب والسنة.

أصل التقسيم كما قلت للمتكلمين، ولكن أهل السنة أيضًا يستعملون هذا التقسيم بمفهومهم الخاص:

الصفات العقلية عندهم هي الصفات التي من أدلتها العقل، والأصل هو السمع، الأصل هو الكتاب والسنة، فمثلًا صفة اليد لو لم يأت الإخبار عنها في الكتاب والسنة ما كنا نهتدي إلى هذه الصفة بالعقل، فالطريق إليها هو الخبر المحض، واضح؟

أما صفة القدرة صفة السمع والبصر، صفة الحياة، صفة الكلام، صفة الإرادة، هذه الصفات، صفة العلو، هذه الصفات يستدل عليها بالسمع في الكتاب والسنة وبالعقل، هذا الخلق المشاهد ألا يدل على قدرة الله ﷻ؟ ألا يدل على إرادته؟ لأنه خص هذه المخلوقات خص كل مخلوق بصفته الخاصة، ألا يدل هذا على إرادته؟ على إرادة بها خص المخلوقات، كل مخلوق بصفة خاصة، وكذلك السمع وكذلك البصر، وكذلك بقية الأسماء، هذا التقسيم كما قلت أصله للمتكلمين ولكن أهل السنة أيضًا يستعملونه بمفهومهم الخاص، هذه أشهر التقسيمات.

(بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ)

ذكر شيخ الإسلام هنا أربعًا من الاحترازات، بهذه الاحترازات الأربعة يكون أهل السنة في إثباتهم وفي نفيهم متميزين، أهل السنة عندهم نفي وعندهم إثبات، وهناك من يشاركهم في النفي وهناك من

يشاركهم في الإثبات، من يشاركهم في النفي عنده انحراف، من يشاركهم في الإثبات عنده ، حتى يكون إثباتك إثباتًا صحيحًا ويكون نفيك نفيًا صحيحًا لا بد من هذه القيود الأربعة:

(مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلاَ تَعْطِيلٍ) هذان القيدان يتعلقان بالنفي.

(وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ) هذان القيدان يتعلقان بالإثبات.

(مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ):

التحريف المراد به هنا هو التأويل المذموم، التأويل الذي نجده عند المتكلمين هو في الحقيقة تحريف وليس تأويلًا.

التأويل يأتي لثلاثة معان:

المعنى الأول: التفسير، كما تجدون في كتب التفسير، في تفسير ابن جرير، تأويل قوله تعالى كذا وكذا، هذا التفسير بمعنى التأويل بمعنى التفسير.

والتأويل أيضًا يأتي بمعنى العاقبة وما يؤول إليه أمر الشيء وما تؤول إليه عاقبة الشيء.

﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾[يوسف: ١٠٠].

والتأويل يأتي أيضًا بمعنى صرف اللفظ عن المعنى المتبادر إلى غيره لدليل يقترن به أو لقرينة تقترن به.

وهذا التأويل هذا المانع إن التزم فيه بهذه القيود.

مثلًا هناك دليل اقترن به، هناك قرينة اقترنت به هو بمعنى التفسير، هو صحيح.

يقول شخص مثلًا: رأيت أسدًا يخطب، هذه القرينة والقرائن كثيرة منها قرائن مقالية، قرائن لفظية، يخطب هذه القرينة تدل على أن المراد هنا الرجل الشجاع وليس الحيوان المفترس، أليس كذلك؟

الآن الجملة هذه اقترنت بها قرينة، وهذه القرينة حددت المعنى، هذا من التفسير، ليس من التحريف وليس من التأويل المذموم، واضح؟

فإذا كان هناك دليل وإذا كانت هناك قرينة صحيحة صرفت عن المعنى المتبادر إلى غيره يكون التأويل صحيحًا، وهو بمعنى التفسير.

أما إذا كان الأمر لا يخرج عن الدعوة، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه: ٥]، الاستواء بمعنى الاستيلاء.

لماذا؟

لقرينة اقترنت، لقرينة صرفت هنا، ما هي القرينة؟

قرينة عقلية.

ما هي القرينة العقلية؟

لأن الاستواء هذا يستلزم كذا وكذا، يستلزم الافتقار، الأمر يرجع إلى قصتهم في تقديم العقل على النقل، وكذلك جميع القرائن بدون استثناء، التأويل القرينة التي يذكرونها في المجاز والتأويل قرينة عقلية، وهي ترجع إلى جذورها في تقديم العقل على النقل، إذن هذه قرينة من بدايتها الأصل الذي يذكرونه من بدايته فاسد، يعني ليست هناك قرينة، واضح؟

(مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ):

هو التأويل الذي يمارسه المتكلمون؛ لأنهم يزعمون أن هناك قرينة وأن هناك دليل، وليس هناك دليل وليس هناك قرينة.

بل القرائن الصحيحة والكثيرة والمتكاثرة على ضد ما يقولون، واضح؟

ألف شيخ الإسلام رسالةً مختصرةً أسماها «المدنية في الحقيقة والمجاز»، ناقش في تلك الرسالة المؤولة ناقشهم ثم ذكر أربعة أمور، وذكر أن هذه الأمور الأربعة إذا توفرت الصرف من الحقيقة إلى المجاز صحيح.

وذكر مثالًا وضرب مثالًا لتوضيح هذه القاعدة وهو:

صفة اليد، وأثبت بذكر الأمور الأربعة؛ أن الأمور الأربعة كلها تدل على أن المراد باليد هي اليد التي تليق بالله ﷻ، الصفة الحقيقية التي تليق بالله ﷻ.

وقد ذكر شيخ الإسلام أن معارضه قد اعترف حتى قواعدهم لو يطبقونها لا يكون التأويل هذا التحريف الذي نراه يكون بمعنى التفسير، وبالتالي لا يكون هناك تعطيل؛ لأن هذا التحريف يؤدي إلى التعطيل.

(مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ) :

هناك صلة بين التحريف والتعطيل، لذلك يذكران دائمًا مقترنين، الصلة بين التحريف والتعطيل، التحريف يكون دائمًا في الدليل، والتعطيل يكون في المدلول.

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه: ٥] .

هذه آية وهذا دليل، وهذا الدليل يدل على ماذا؟

على إثبات الاستواء لله، على إثبات هذه الصفة لله ﷻ، حتى يصل إلى تعطيل هذه الصفة يحرف في الدليل، يقول: المراد بالاستواء هو الاستيلاء وبالتالي صفة الاستواء وهو العلو والارتفاع ليست ثابتةً لله ﷻ، عطلها.

وهذا التعطيل وصل إليه من أي بوابة؟

بوابة التحريف، حرف في الدليل، فعطل في المدلول، واضح؟

التحريف يكون في الدليل والتعطيل يكون في المدلول، وهذا هو الفرق بين التحريف والتعطل، وفرق آخر، التحريف وسيلة، التعطيل غاية، لماذا حرف وقال: الاستواء بمعنى الاستيلاء، لماذا؟

عنده قاعدة يصل إليها، ولذلك إذا لم تكن هذه الغاية تلاحقه في بعض المواضع لا يحرف.

والتحريف عند المؤولة على مستويات، بعضهم في تحريفه يوغل في تحريفه، وبعضهم أقل منه، وبعضهم أقل منه، كل حسب توجهه، فيقل ويكثر من التحريف حسب ما يعتقده، فإذا أراد التعطيل حرف حتى يصل إلى التعطيل.

أهل السنة لا يحرفون.

لماذا لا يحرفون؟

الله ﷻ أثبت لنفسه صفة الاستواء، ماذا تريد؟ هل تريد أن تبحث عمن هو أعلم بالله ﷻ منه؟ من الذي سيخبرك عن صفات الله ﷻ؟ أليس هو الله ﷻ؟ أو رسوله ﷺ؟ لماذا تحرف؟ ليس لك إلا التلقي والإيمان بما ورد في الكتاب والسنة، لماذا تحرف؟ المبتدعة لماذا يحرف؟

عنده مصادر أخرى، هذه المصادر تحكمت فيه، وهذه المصادر أدت به إلى هذه البدع، وهذه المصادر أوهمته أن إثبات هذه الصفة فيها تشبيه، وأن إثبات هذه الصفة ليس فيها تنزيه، وأن إثبات هذه

الصفة يخالف التنزيه، يثبت لنفسه شيئًا ويكون مخالفًا للتنزيه؟ فأهل السنة لا يحرفون، وبالتالي لا يقعون في التعطيل.

(وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيل):

التكييف والتمثيل كلاهما يؤديان إلى التشبيه، والتكييف والتمثيل كلاهما يؤديان إلى التشبيه وهما متقاربان، والتكييف أعم من التمثيل، التكييف ذكر الكيفية، ذكر كيفية معينة، مثلًا كأن يقول الشيخ: يد الله ﷻ كيفيتها كذا وكذا، هذا تكييف.

(مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ) :

من غير تكييف أي نحن لا نعلم بالكيفية، ليس فيها نفي للكيفية؛ لأن العلم بالكيفية هذا الله ﷻ استأثر به، نحن لما نقول: من غير تكييف، أي من غير علمنا بالكيفية، لا نخوض في الكيفية؛ لأن الله ﷻ لم يعلمنا بها، أخبرنا عن الاستواء ولم يخبرنا عن كيفيته.

التكييف ذكر الكيفية كيفية معينة، إذا قورن هذا بمثال يكون تمثيلًا، مثلًا قال: كيفية صفة اليد كذا وكذا، هذا تكييف، مثل يد مثلًا بني آدم، هذا تمثيل، التمثيل يكون مبنيًا على التكييف، وكل تمثيل تكييف ولا عكس؛ لأن التمثيل أضيق، قد يذكر الكيفية ولا يقارنها بمماثل، فيبقى تكييفًا، وقد يقارنها بمماثل فيكون تمثيلًا، فأيهما أضيق؟ التمثيل؛ لأن التمثيل بعد التكييف، فكل تمثيل تكييف وليس كل تكييف تمثيلًا؛ لأنه قد يذكر الكيفية ولا يقارنها بمماثل.

إذن أهل السنة والجماعة:

لا يحرفون ولا يعطلون، أما الذين نفوا المعطلة ففيهم تحريف وفيهم تعطيل، نفي أهل السنة يستند إلى دليل كإثباتهم.

أهل السنة والجماعة عندهم أيضًا نفي وعندهم إثبات:

إثباتهم مفصل ونفيهم مجمل.

هذا من حيث القاعدة العامة.

وقد يكون هناك تفصيل في النفي أيضًا، هذا ليس قاعدةً عامةً، قد يكون هناك تفصيل في النفي لأمر اقتضاه هناك، أما عمومًا النفي مجمل والإثبات مفصل.

كما سيذكر شيخ الإسلام في هذه الآية:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ هذا نفي مجمل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، هل خصه بشيء معين؟

ليس كمثله هذا وليس كمثله هذا، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ تفصيل في الإثبات.

وهكذا القاعدة عند أهل السنة:

الإثبات عندهم مفصل والنفي عندهم مجمل.

التكيف والتمثيل هناك من يشاركنا أيضًا في الإثبات وهم المشبهة ولكن إثباتهم ليس إثباتًا صحيحًا؛ لأن المشبهة يقولون: نحن نثبت هذه الأسماء والصفات ولكن على ما نعهده من البشر، على ما نعهده من البشر، لاحظ الله ﷻ أضافها إلى نفسه وأنت تفهمها على ما يليق بالمخلوق؟!

الله ﷻ أضاف الاستواء إلى من؟ ثم استوى، إلى نفسه، فاستواؤه هل يمكن أن يكون فيه افتقار وحاجة؟

لا يمكن، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾[الروم:٢٥]، فالعرش مخلوق من مخلوقات الله ﷻ محتاج إلى الله.

كيف يكون الله ﷻ محتاج إلى العرش؟ إذن لماذا الاستواء؟

الله أعلم، إذن استواء الله ﷻ لا يكون فيه افتقار ولا يكون فيه حاجة.

المبتدعة لما يقول: لا أثبت الاستواء؛ لأن فيه افتقار وحاجة، هذا استواء المخلوق، والمشبه يقول: أثبت الاستواء على ما أعهده من البشر وبالتالي الذي أثبته المشبه ليس هو الذي أثبته الله ﷻ لنفسه، المشبه أثبت لله ﷻ شيئًا يليق بالمخلوق، إذن في إثباته خلل، هو في ظاهره مع الإثبات، ولكن في إثباته خلل، هذا الخلل تنفيه بهذا من غير تكييف ولا تمثيل.

نكتفي بهذا القدر، وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأسئلة

الطالب: ...

الشيخ: المعطلة مشبهة والمشبهة معطلة، ذكر شيخ الإسلام في التدمرية أن المعطلة جمعوا بين تشبيهين وتعطيلين.

لماذا عطل؟

لأنه لم يفهم منها إلا ما يليق بالمخلوق ،إذن وقعي التشبيه، ثم عطل النص عن مدلوله الصحيح، هذا التعطيل الأول، وعطل الله ﷻ عما أثبته لنفسه، هذا التعطيل الثاني، تعطيلان، ثم وقع في التشبيه؛ لأنه سيقع في التشبيه بالجمادات أو بالمحالات أو سيقع في التشبيه، بدأ بالتشبيه وانتهى بالتشبيه ومر بتعطيلين، التشبيه لا بد فيه من التعطيل؛ لأن المشبه لما أثبت الاستواء الذي يليق بالمخلوق عطل النص عما له من المعنى الصحيح، عطله، عطل الله ﷻ، إذن فيه تعطيل، أما الذي أثبته لم يثبته الله ﷻ، فالمشبهة يقعون في التعطيل والمعطلة يقعون في التشبيه.

الطالب:...

الشيخ: على هذا تكون أرجعت هذه الصفات إلى صفة القدرة، صفة القدرة غير هذه الصفات، الذين يقولون أن الصفات الفعلية باعتبار الأصل أزلية يقعون في هذا الخلل، يرجعونها إلى بعض الصفات إما الإرادة وإما القدرة وبالتالي يلغون هذا التقسيم، لماذا ترجعه إلى؟ هي صفات أثبتها الله ﷻ لنفسه وأثبتها الله ورسوله ﷺ، وهي ترجع إلى مشيئته.

الطالب: ما الضابط في التفريق بين الصفة الفعلية والذاتية...

الشيخ: مرة أخرى

الطالب: ما الضابط في التفريق بين الصفات الفعلية والصفات الذاتية...

الشيخ: الصفات التي هي ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار، هذه الصفات الله ﷻ يتصف بها أزلًا، صفة الكلام هذه الصفة ليس باعتبار قدرته، ليس باعتبار إرادته، هذه الصفة، الله ﷻ يتصف بها أزلًا وأبدًا.

هذا أولًا، أثبت الله ﷻ في نصوص كثيرة أن الله ﷻ يكلم بعض عباده متى شاء، ﴿**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ**﴾[فصلت: ٤٧]، هذا متى؟ وخاطب موسى، متى؟

وهكذا هذه الأدلة تدل على أن هذه الصفة أزلية، هي تتعلق بمشيئته وقدرته، من الصفات هذه الصفة أيضًا فعلية باعتبار، أنا لا أذكر الضابط ولكن نذكر نرجع إلى النصوص، لا أذكر الضابط.

الطالب: هي في الأصل أنها ذاتية، والفعلية.

الشيخ: هذه النصوص تدل لأنه يوم يناديهم ويوم يناديهم هل النداء الذي توجه إليه في الأزل؟

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[المجادلة: ١]:

الكلابية يقولون: سمع أزلًا ولكنه ظل معلقًا إلى أن جاء المتعلق، يقولون: التجديد التجدد في التعلق وليس في الصفة، لماذا؟

يقولون: النداء الذي سيتوجه إلى بعض المخلوقين هذا كان في الأزل وسيبقى معلقًا إلى أن يأتي متعلقه فيتجدد، التعلق لماذا؟ هذه الأدلة تدل على أن الله ﷻ يكلم من شاء بما شاء متى ما شاء.

الطالب: ...

الشيخ: لأن الله ﷻ أثبت لنفسه صفة الكلام، أثبت لنفسه أنه متكلم وهذه الصفة له أزلًا وأبدًا، هذا أولًا، هذا جانب انتهينا منه، ثم أثبت أنه كما قلت يكلم بعض عباده في الوقت الذي يريده، هذا يدل على أن هذه الصفة تجددت أيضًا، أما الغضب الله ﷻ أخبر أنه يغضب على بعض عباده لبعض الأمور، ولم يخبر أنه دائمًا بل ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف: ١٥٦]، أنت تلغي الرحمة إذا قلت: أن الغضب صفة أزلية، بل الرحمة أقرب إلى أن تكون بل هي هكذا صفة أزلية أما الغضب صفة غير أزلية، الدليل يحكم هذه الأمور كلها.

وأهل السنة في كل هذه الأمور:

أولًا: ينظرون إلى الأدلة، يجمعون الأدلة، ثم يختصرونها في بعض العبارات، وإن كان هناك خطأ يكون في الفهم وفي السبق ولا يتعمدون أن يخرجوا بنتيجة ثم يصدمون بالأدلة.

أما أهل البدع: يقررون شيئًا آخر ثم يأتون ينظرون إلى الأدلة وهذه الأدلة قد توافقهم وقد تخالفهم، إذا وافقتهم فهي للاعتضاد كما هم يصرحون، هي للاعتضاد وليس للاعتماد، اعتمادهم على الأصول التي ذكرها، الكتب التي ألفوها سموها أصول الدين، «أصول الدين» لعبد القاهر البغدادي، «أصول الدين» للبزدوي، أصول لفلان، إيش الأصول هذه؟

اقرأها، هي قواعد عقلية رتبوها على ضوء هذه القواعد يفهمون النصوص، ما وافقت هذه الأصول مشوا معه، ما لم توافق هذه الأصول يعتبرونها متشابهة على هذا الأساس.

أما أهل السنة لا لا، أولًا اقرأ افتح القرآن واقرأ السنة، من خلالها خذ عقيدتك.

الطالب:...

الشيخ: لا أذكر، اكتبها وأعطني إياها، بس هذا الاسم يدل على أنه صفة ذاتيه، والله أعلم

الطالب:...

الشيخ: طبعًا إذا كان هناك إشكال يعني إذا كان هناك إشكال يستغنى عن هذه عن هذه اللفظة؛ لأن الأهم هنا أنها تتعلق بالمشيئة، أما قدرته إذا أردت أن ترجع الصفات إلى القدرة كثير من الصفات تلغيها، الإرادة مبنية على القدرة، السمع والبصر هذه الصفات كلها مبنية على القدرة، هل تلغي هذه الصفات وتؤولها بالقدرة؟ لا، هذه صفة، وهذه صفة.

الطالب: تشبيه

الشيخ: ليس هناك إشكال إذا كانت تشبهها، خلاص، ليس معنى هذا أننا نرجعها إلى أن فيها جانب جديد يتعلق بمشيئته وقدرته أي هي تتعلق ليست أزليةً بحتةً إنما تتجدد هذا الذي نريده، تتجدد حسب إرادته، هل ترجعها إلى الإرادة أيضًا؟

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولوالدينا وللمسلمين.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ، وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تعالى وآيَاتِهِ، وَلاَ يُكَيِّفُونَ وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِه؛ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لهُ. ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهَ وَتَعَالَى. فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِه وَأَصْدَقُ قِيلاً، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ. ثُمَّ رُسُلُه صَادِقُونَ مُصَدَّقُون؛ بِخِلاَفِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لاَ يَعْلَمُونَ وَلِهَذَا قَالَ سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُون * وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الصافات:١٨٠:١٨٢]، فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلاَمَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْب وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بينَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ.

فَلاَ عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةُ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ والصَالِحِينَ.

وَقَدْ دَخَلَ فِي هِذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلاَصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، حَيثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١:٤].

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد:

ذكر شيخ الإسلام في بداية هذه الرسالة أن من الإيمان بالله ﷻ الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

في هذه الجملة ذكر شيخ الإسلام **القاعدة العامة في باب توحيد الأسماء والصفات**، وذكر في هذه القاعدة:

أن الأسماء والصفات هذا الباب توقيفي وأنه يؤخذ من الكتاب والسنة فقط.

وذكر أيضًا في هذه القاعدة:

أننا نثبت كل ما أثبته الله ﷻ لنفسه أو أثبته الله ورسوله ﷺ.

وذكر أيضًا في هذه القاعدة الضوابط والاحترازات والقيود التي بها يتمحض منهج أهل السنة والجماعة وتتمحض طريقتهم وتتميز طريقتهم، ويبين من خلالها كونها وسطًا بين طرفي الضلال، بين التشبيه وبين التعطيل.

بعد ذلك يقول: (بَلْ يُؤْمِنُونَ).

هذا تأكيد، هذا تأكيد بعد ما ذكر **من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل**، هم لا يحرفون ولا يعطلون ولا يكيفون ولا يمثلون بل يؤمنون.

إيمانهم وإثباتهم للأسماء والصفات لا بد أن ننظر فيه إلى أمرين:

الأمر الأول: أن هذه الأسماء والصفات وأن النصوص في الأسماء والصفات في الكتاب والسنة جاءت ألفاظًا.

الأمر الثاني: أن هذه الألفاظ تدل على معاني، فمن لم يثبت الألفاظ أو تلاعب فيها بالتحريف اللفظي أو المعنوي ومن لم يثبت المعاني فهذا لم يصف الله ﷻ بما وصفه به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ.

فالإثبات لا بد فيه من إثبات اللفظ واحترام اللفظ والإيمان بمقتضاه، هذا اللفظ الذي جاء في الكتاب والسنة هذا اللفظ له احترام وله وضع خاص؛ لأننا أخبرنا بهذا الأمر، وهذا اللفظ نؤمن به حتى ولو لم نفهمه، المعنى الذي يتضمنه هذا اللفظ هو المقصود، الألفاظ والجمل المقصود منها المعاني التي تتضمنها هذه الجمل، إذا لم نأخذ بهذه المعاني بهذه المدلولات ما استفدنا شيئًا من الألفاظ؛ فالألفاظ هي أوعية لتلك المعاني التي أودعت فيها، فلا بد من الأمرين، الألفاظ والمعاني.

هذه الألفاظ والمعاني أيضًا لها قواعد كثيرة، قواعد تتعلق بالألفاظ وقواعد تتعلق بالمعاني، فيما يشير شيخ الإسلام هنا في هذه الجمل، فيما يذكر سيشير إلى بعض هذه القواعد ومنها ما ذكر ولكن كثيرًا من القواعد أثبتها في رسالته القيمة «التدمرية»، ذكر فيها قواعد تتعلق بالألفاظ .

وأن الألفاظ نوعان:

١) الألفاظ الشرعية.

٢) والألفاظ غير الشرعية.

الألفاظ الشرعية لا بد أن نؤمن بها حتى ولو لم نفهم معانيها.

الألفاظ التي غير الشرعية أو التي لم تأت في الكتاب والسنة هذه تحاكم إلى الألفاظ التي جاءت في الكتاب والسنة حتى يكون إيمانك سالمًا.

الألفاظ الشرعية هذه، هذه كما قلت لا بد أن تؤمن بها وأنت متعبد بها، الإيمان بها عبادة، أنت مكلف بالإيمان بها، فلها من التقديس والتنزيه والاحترام ما يناسبها؛ لأنها تتعلق بالله ﷻ؛ لأنها إما أسماء لله ﷻ أو صفات لله ﷻ، الله ﷻ ينزه نفسه وينزه أسماءه وينزه صفاته، أسماؤه وصفاته بما أنها هي أسماؤه وصفاته فلها من التقديس والتنزيه ويليق بكمال الله ﷻ وبجلاله.

من هذا الباب يقول:

(بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سبحانه﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]) .

هنا ذكر هذه الآية وهذه الآية أيضًا قاعدة عامة في هذا الباب:

بهذه الآية جمع الله ﷻ بين النفي والإثبات، الذي سيشير إليه شيخ الإسلام.

جمع في هذه الآية بين النفي والإثبات.

وجمع في هذه الآية بين الرد على المعطلة والرد على المشبهة، وهذان الطريقان طرفا الضلال في هذه الباب، وأهل السنة هم وسط في هذا الباب بين طريقة التشبيه وبين طريقة التعطيل.

الله عز يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾.

هذه الآية في سورة الشورى، ذكرها الله ﷻ بعد ذكر صفات كثيرة لله ﷻ، ذكر من صفاته وأفعاله ما يتفرد بها ولا يشاركه فيها أحد، بعد ذلك يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ * وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[الشورى:٧ - ٤]، إلى هذه الآية، يقول الله ﷻ: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾[الشورى:١١]، أي التناسل بين الإنسان وبين الحيوانات الله ﷻ يخلقهم فيها بالتزاوج يكون خلقهم.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ في ماذا؟

في كل ما ذكره، في كل هذه الصفات، في كل هذه الأسماء التي ذكرها هنا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ، أكدها بقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾.

كل هذا التفصيل أذكره لبيان أن المعطلة الذين يستدلون بهذه الآية ويجعلونها يترسون بهذه الآية لرد النصوص؛ ليس لهم أن يستدلوا به الآية، لماذا؟

أنت لم تثبت شيئًا، أنت لما تقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ، في ماذا؟

في كونه عدمًا محضًا، في كونه مسلوب الصفات، في كونه مسلوب الأسماء، لماذا؟

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ في هذه الصفات التي أثبتها لنفسه، من يستدل بهذه الآية هو يثبت لله ﷻ جميع ما أثبته لنفسه، جميع ما أثبته الله ورسوله ﷺ

تعرفون أن هذه الآية يستدل بها المعطلة في النفي دائمًا، كذا كذا، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ، هذه فيها كذا، منفية، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ، لماذا؟

أنت لما تجعله تجعل الله ﷻ عدمًا محضًا أو قريبًا من العدم المحض ثم تقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ، في ماذا؟

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، شيء هذا للتعميم، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ في ماذا؟

لم يذكره في هذه الصفات وفي غيرها، ثم قال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ لم يقل سبحانه: (وهو العلي العظيم)، لم يذكر هنا تلك الأسماء التي تدل على العلو المطلق وعلى العظمة بل ذكر هذين الاسمين الكريمين: السميع، البصير.

ذكر **الشيخ الشنقيطي** رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره يقول:

لعل السر في اختيار هذين الاسمين أن الأحياء، الحيوانات تتصف بهذين الاسمين، تسمع وتبصر، تسمع المسموعات وتبصر المبصرات، مع ذلك الله عز أثبتها لنفسه؛ ليبين أن هذه الصفات التي قد تكون لبعض مخلوقاته له منها ما يليق بكماله وجلاله وأن هذا الذي ذكره ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ، ليس مصوغًا للتعطيل، وما نجده عند المعطلة.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ هذه؛ جعلوها قاعدةً للنفي، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

أولًا: هذه يذكرونها مبتروة الصلة بما قبلها بل لا يكاد أحدهم يكمل الآية، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وانتهينا.

طيب: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾، أنت أيها الجهمي وأيها المعتزلي أين أنت من هذه التكملة، قلنا: أنت لم تقرأ ما قبلها، طيب ما بعدها؟

إذن هذه قاعدة عامة، والاستدلال بهذه الآية كما قلت لا يتم إلا لأهل السنة الذين يثبتون، الذين يثبتون الأسماء والصفات لله ﷻ، وهم في إثباتهم يتحاشون التمثيل، فصفات الله ﷻ وأسماؤه ليست كصفات وأسماء المخلوقين.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾: في آية واحدة إثبات ونفي التمثيل، في آية واحدة إثبات للأسماء والصفات ونفي التمثيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾.

الكاف في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾، فيها أقوال، والراجح -والله أعلم- الذي رجحه كثير من العلماء أن الكاف هي صلة، هي صلة لها معنى، والصلات تكون في الإعراب لا يكون لها يكون زائدًا في الإعراب ولكنها لها معان، والمعنى هنا التأكيد.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ليس مثله شيء، ليس مثله شيء، هذا التأكيد والتكرار أخذناه من ماذا؟

من الكاف، هذا القول هو أشهر الأقوال.

والله أعلم أنه أقوى الأقوال في الكاف، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ وقيل: أن المثل بمعنى الصفة، ليس كصفته شيء.

وقيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أي ليس مثله شيء، هذا أيضًا له نظائر في اللغة ولكن فيه إشكال؛ أنه يوحي أن هناك مثل لله ﷻ.

وكما قلت أرجح الأقوال في هذا أن الكاف صلة جيء بها للتأكيد، والله أعلم.

يقول: (فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ).

ما دام أن هذه هي **قاعدة** إثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، لا ينفون.

النفي كيف يكون؟

النفي يكون بالرد كما تجده عند بعض المعطلة، الله عز أثبت أنا لا أثبت، لماذا؟

لا يليق به، كيف ترده مردود ويكون بالتأويل، الذي يؤل هذا ينفي، ينفي ماذا؟ ينفي الصفة عن الله ﷻ، الله عز أثبتها لنفسه وهذا ينفيها بالتأويل، مؤدى التأويل النفي، هذان الأمران واضحان، والأمر الذي سأذكره قد يخفى على البعض، لا يخفى على طلاب العلم ولكن هناك فئة يبدو تتعمد خطأ في التفويض، التفويض.

مثل التأويل في النفي، ذكرنا في شرح الحموية قول الجويني، الجويني أبو المعالي الجويني يقول: التأويل له ركنان:

الركن الأول: إزالة الظاهر.

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه: ٥]، الظاهر هو إثبات العلو والارتفاع، ليس الظاهر النسخ، هذا هو المعنى إثبات العلو لله ﷻ، أعظم ركني التأويل كما يقول: وأول ركني التأويل إزالة الظاهر، وأن تقول أن الظاهر هنا غير مراد، الظاهر هنا غير مراد، هذه خطوة، خطوة مهمة جدًا للتأويل.

الخطوة الثانية: هذا الظاهر غير مراد، طيب ما هو المراد؟

هو سيتبرع بتحديد المراد أن الظاهر هنا والمراد بالاستواء هنا هو الاستيلاء، هذا تعيين، يقول الجويني: أركان التأويل ركنا التأويل: إزالة الظاهر وتعيين المراد، وأعظم ركنيها هو إزالة الظاهر.

هذا المفوض لما يقول: إزالة الظاهر وتعيين المراد، وأعظم ركنيها إزالة الظاهر، الذي يقول أن المراد بالاستواء ليس هو الاستيلاء، هذا قد جاء بأعظم ركني التأويل، يقول بعد ذلك: إذا لم يوافقنا في تعيين المراد فالأمر سهل، الأمر سهل.

وهذا المفوض وهذا التفويض الذي ينسب إلى الأئمة؛ وللأسف ينسب إلى الإمام أحمد إمام أهل السنة، إمام أهل السنة ذلك الإمام الذي قيل: إمام أهل السنة ينصرف اللقب إليه رغم أنف المبتدعة، ينسب إليه التفويض؟!

سبحان الله، هذا الجهل المركب ينسب إلى الإمام أحمد!

وهذا التفويض تفويض المفوضة المعروفين يتفقون مع المؤولة في إزالة الظاهر.

المفوضة يقولون: الظاهر غير مراد، طيب ما هو المراد؟ الله أعلم، لو قال من البداية: الله أعلم، قلنا هذا المفوض يحترم نفسه، فعلًا جاهل، أما أن تقول: الظاهر غير مراد، ما الذي أدراك أن الظاهر غير مراد؟ أنت مفوض، قل هنا أيضًا: الله أعلم، كما حكاه شيخ الإسلام عن بعض الواقفة في الحموية.

أقول: التفويض هذا الذي ينسب إلى الإمام أحمد أو ينسب إلى بعض الحنابلة، نعم، بعض الحنابلة عندهم تفويض ولكن ينسب إلى الإمام أحمد وإلى أئمة أصحابه.

هذا كذبٌ!؛ كما ذكر شيخ الإسلام في «الحموية» هذا كذب على السلف، أن ينسبه إلى السلف هذا كذب، فالتفويض يؤدي إلى النفي، والتأويل يؤدي إلى النفي، والرد بدون ذكر المبرر يؤدي إلى النفي، وهذا أوضح، إذن لا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ما عندهم تأويل وما عندهم تفويض ولا يردون النصوص ببقية المعاول وهي كثيرة، المجاز والتخييل والقول بظنية إخبار الآحاد والقول بظنية الأدلة اللفظية من حيث الدراية، هي معاول كثيرة.

(لاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ)

طيب لماذا ينفون؟ المعطلة لماذا ينفون؟

هم ترى أكثر المعطلة مسلمون باستثناء الجهمية الذين جمعوا بن الجبر المحض والإرجاء المحض والتعطيل المحض، هؤلاء كفرهم الأئمة، أما البقية المعتزلة والأشاعرة والماتريدية لا نشك في إسلامهم.

مع ذلك لماذا هذا المنهج الذي يضاد النصوص؟

قالوا: نحن ننزه الله ﷻ، هذا النفي الذي يسلكونه قالوا: نسلكه بحجة التنزيه؛ لأن إثبات الصفات يستلزم التشبيه ويستلزم التركيب ويستلزم عندهم أمور كثيرة.

لماذا؟

لأنهم يقعون في القياس كما سيأتي في كلام شيخ الإسلام: (وَلاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهَ).

عندهم قياس الغائب على الشاهد، وهذه قاعدة هم يسلكونها سواء قالوا صرحوا بها أو لا، فطريقتهم في تحديد الأسماء والصفات في نفيها وإثباتها هي مبنية على القياس، وهذا التنزيه مما يجب أن ننزه الله ﷻ، هذه طريقة، كيف تنزه الله ﷻ بالرد عليهم؟ بالاستدراك عليه، هو يثبت وأنت تنفي، هل هذا من التنزيه؟ ليس من التنزيه في شيء، ليس من التنزيه في شيء.

(وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ) هذه الفقرة وما بعدها: (فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ) هذه كلها تفسير لقوله: (من غير تحريف ولا تعطيل) هاتان الفقرتان تفسير لما سبق: (من غير تحريف ولا تعطيل)

(وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ)

في النفي نقول: أهل السنة لا ينفون ما وصف به الله ﷻ نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ، لا ينفون، لماذا؟

لأمرين:

الأمر الأول: أن الله ﷻ أثبتها ورسولها ﷺ أثبتها، فلماذا تنفي؟

والأمر الثاني: أن النفي هذا يؤدي إلى العدم المحض، أنت لما تنفي الصفات عن شيء فأنت تقربه أو تجعله عدمًا محضًا، فهم لا ينفون اتباعًا للدليل ولا ينفون أيضًا لأن النفي المحض عدم محض.

والنفاة متفاوتون في هذا النفي:

فمنهم من يصرح بنفي جميع الأسماء والصفات، مثل القرامطة، ومنهم من ينفي النفي ونقيضه، ومنهم من ينفي الأسماء والصفات، ومنهم من ينفي الصفات، ومنهم من ينفي بعض الصفات، وكل من

ينفي يقربه إلى العدم المحض أو يقول به، وإلا شيء موجود ليس له اسم وليس له أي صفة، طيب ما هو الوصف الآن؟ ألا يوصف بالوجود أقل شيء، ووجوده كما يقولون واجب الوجود أو ممكن الوجود، وجوده بنفسه أو بغيره، إذن مسلوب الصفة مسلوب الصفات عدم.

(وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ)

الكلم جمع كلام، كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ لا يحرفونه عن مواضعه أي عن مدلولاته المطلوبة، هذه الألفاظ لها مدلولات ولها معان، هم لا يحرفونها، لا يخرجونها، لا يغيرونها عن مواضعها وعن مدلولاتها وعن معانيها، لا يحرفونها بالتأويل الذي عين التحريف كما سبق.

(وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تعالى وآيَاتِهِ)

كل هذه القيود لبيان أنهم يثبتون كما ينبغي، وينفون حينما يأتي النفي كما ينبغي.

(وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تعالى وآيَاتِهِ)

الإلحاد: هو الميل، لغةً هو الميل ومنه اللحد.

والإلحاد في أسماء الله ﷻ أنواع:

ذكر شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم منها خمسة أنواع:

منها أن تسمى الأصنام بأسماء الله ﷻ كتسمية اللات من الاهية والعزى من العزيز، ويسمون الصنم إلهًا إلحاد.

ومنها تسميته سبحانه بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أبًا.

ومنها وصفه بما يتعالى ويتقدس عنه من النقائص كقول أخبث اليهود: إن الله فقير.

ومنها تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، وهذا هو المراد، هنا هذا هو المراد.

(وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تعالى وآيَاتِهِ)

المراد به هنا : لا يعطلون الأسماء عن معانيها وكذلك الصفات ولا يجحدون حقائقها.

ومنها تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى عما يقولون ويشبهون علوًا كبيرًا.

والإلحاد في أسماء الله وآياته، ذكرنا الإلحاد في أسماء الله.

أما الإلحاد في آيات الله، الآيات منها الآيات الكونية، ومنها الآيات الشرعية.

أما الآيات الشرعية فهي الكتب المنزلة كلامه المنزل، هي آياته، الإلحاد فيها يكون بالتحريف، الإلحاد يكون فيها بالتحريف، ويكون بترك التعبد بها أيضًا ويكون أيضًا بصرفها عن ظواهرها التي دلت عليها.

هذا الإلحاد في الآيات الشرعية.

أما الإلحاد في الآيات الكونية فيكون بجحد خالقها، الله ﷻ خلق هذه المخلوقات، وجميع المخلوقات آيات أي علامات تدل عليه، هذه دلائل، والدليل هو الذي يوصلك إلى المدلول، وهذه كلها أدلة تدل على خالقها، الذي يجحد خالقها هذا ملحد في آياته الكونية، ويكون أيضًا هذا الإلحاد يكون بنفي حكم الله ﷻ في خلقه.

الشيخ **ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «القواعد المثلى» ذكر **قواعد تتعلق بأسماء الله** ﷻ:

أولًا: ذكر القواعد التي تتعلق بأسماء الله ﷻ، وذكر القواعد التي تتعلق بصفات الله ﷻ، ثم ذكر القواعد التي تتعلق بأدلة الأسماء والصفات.

المهم في الباب الأول القواعد التي تتعلق بأسماء الله ﷻ ذكر ستة أو سبعة.

القاعدة الأخيرة ذكرها عن الإلحاد، ذكر قاعدةً عن الإلحاد، منبهًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن كل ميل عن الحق في هذا الباب هو إلحاد.

والإلحاد يتفاوت، وأكثر ما يطلق على أشنع أنواع الإلحاد وهو جحد الخالق، وإلا الإلحاد كل انحراف عن الحق هو إلحاد؛ لأنه ميل، وذلك الشيخ آخر قاعدة ذكرها في الإلحاد؛ لينبه أن كل ما ذكره، كل القواعد التي ذكرها لا بد أن نتقيد بها؛ لأنها استدل عليها بالكتاب والسنة، ومن لا يتقيد بها ففيه من الإلحاد بحسب.

(وَلاَ يُكَيِّفُونَ وَلاَ يُمَثِّلُونَ) سبق أن ذكرنا معاني التكييف والتمثيل.

(وَلاَ يُكَيِّفُونَ وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِه)

صفات الله ﷻ التي تنسب إليه وتضاف إليه هي على ما يليق بكماله وجلاله، وبالتالي هي لا تماثل صفات المخلوقين.

لماذا؟

لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفء له ولا كفو له ولا ند له.

أنا ذكرت في بداية الدرس أن شيخ الإسلام أحيانًا يذكر النصوص بنصوصها وأحيانًا يضمنها، هو هنا يشير إلى الأدلة في كلامه هذا، لا سمي له.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم: ٦٥].

هذه الآية في سورة مريم.

هذه الآية جمعت بين أنواع التوحيد الثلاثة:

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ توحيد الربوبية.

﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ هذا توحيد الإلوهية.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ هذا توحيد الأسماء والصفات.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ هذا الاستفهام للاستنكار، ليس هناك من يساميه ، السمي هو المماثل الذي يستحق من الأسماء مثل ما يستحق هو، هل يوجد؟

لا يوجد؛ لأنه لا سمي له ولا كفو له.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١ : ٤]

(وَلاَ نِدَّ لهُ)

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾[البقرة: ١٦٥].

﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ٢٢].

إذن هو يشير هنا إلى الأدلة، الله ﷻ لا سمي له، لا كفو له، ولا ند له، الند هو النظير، وكل هذه الألفاظ هي متقاربة، الكفو هو أيضًا بمعنى المكافئ وهو المماثل، الألفاظ متقاربة، مؤداها واحد؛ أن الله عز ليست صفاته ليست كصفات المخلوقين، وأسماؤه لست كأسماء المخلوقين في معانيها.

ذكر شيخ الإسلام في التدمرية قاعدةً أو أصلًا:

القول في الصفات كالقول في الذات.

الله ﷻ من يثبت وجود الله ﷻ يثبت وجوده ولا يشك فيه، أيضًا ينفي المماثلة عن ذاته، وأيضًا يعترف بعدم العلم بالكيفية.

يقول شيخ الإسلام في هذا الأصل: القول في الصفات كالقول في الذات.

في هذه الأمور الثلاثة: في الثبوت، وفي عدم المماثلة، وفي عدم العلم بالكيفية.

فكما تثبت ذاته سبحانه وتعترف بعدم مماثلة ذاته لذوات المخلوقين، وتعترف بعدم علميك بكيفية ذاته، كذلك الأمر بالنسبة لصفاته، ولذلك ذكر هنا يقول: من سألك كيف استوى، اسأله أنت كيف ذاته؟ إذا كنت تعرف كيفية ذاته فمعرفية كيفية الصفة متفرعة عن معرفة كيفية الذات.

ثم قال: (ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهَ)

هذه من أهم القواعد التي يؤمن بها أهل السنة والجماعة:

لا يقاس بخلقه سبحانه.

هذا تلخيص لكل ما سبق، لا يكيفون، لا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سمي له، لا كفو له، لا ند له.

النتيجة: لا يقاس بخلقه سبحانه، الله ﷻ لا يقاس بخلقه، تقيسه على خلقه في ماذا؟

لا يقاس بخلقه لا في أسمائه ولا في صفاته ولا أفعاله؛ **هذه قاعدة أهل السنة.**

أما المخالفون فكما أشرت عندهم قياس الغائب على الشاهد، أنت لما تسأل الكلابية والأشاعرة وتقول لهم: لماذا أثبتم الصفات السبعة، ونفيتهم ما سواها من الصفات؟

طبعًا هناك خلاف عند بعضهم ولكن الجمهور منهم يرون أن هذه الصفات أثبتناها لأن العقل أثبتها؛ لأن العقل أثبتها، ثم يذكرون الأدلة من الكتاب والسنة للاعتضاد كما ذكرنا وليس للاعتماد.

طبعًا هناك خلاف بينهم، بعضهم يثبت السمع والبصر والكلام بالأدلة السمعية، وبعضهم يثبت السمع والبصر فقط بالأدلة السمعية، بعضهم، هذا الخلاف لا يمثل مذهب الجمهور، ولكن مذهب الجمهور عندهم أن هذه الصفات أثبتناها لإثبات العقل لها.

لما تسأله: كيف؟

يقول: نظرت ووجدت أن هذه الصفة تليق به وهذه الصفة لا تليق به.

كيف عرفت أن هذه الصفة؟

صفة الغضب.

كيف عرفت أنها لا تليق به؟

قال: لأن الغضب هو غليان دم القلب لإرادة الانتقام، هذا لا يليق بالله ﷻ، لما ينفي هذه الصفة دليله ماذا؟

فكر في هذا الدليل، دليله قياسه لله ﷻ على الشاهد.

طبعًا هناك خلاف هل نطلق الغائب على الله ﷻ؟

طبعًا الله ﷻ علمه محيط بكل شيء، من هذا الباب لا يطلق عليه أنه غائب، ولكن الغائب غائب عنا بهذا المعنى، فالنظر في الغضب في المخلوق الداعي إلى نفي هذه الصفة عن الله ﷻ.

أليس كذلك؟

هم يقولون بهذا، لا نقولهم، وكذلك بقية الصفات، الرحمة، قالوا: هذه تكون رقة في الخلق تؤثر ويكون فيها تأثر، والله ﷻ منزه عن الانشغال والتأثر، ولذلك ننفي هذه الصفة.

لماذا نفوها؟

قياسًا لله ﷻ على المخلوق، أليس كذلك؟

وإلا لو فهموا الغضب كما يليق بالله ﷻ، والرحمة كما تليق بالله ﷻ، وكذلك بقية الصفات ما كانوا يقعون في هذه (٤٢:٤٣)، فعندهم هم عندهم تشبيه دائمًا، وعندهم قياس دائمًا بل ينطلقون من القياس، وبعضهم يعترف بهذا، يعترف بأن عندنا قياس الغائب على الشاهد وأكثرهم ما يعترفون، ودائمًا يقولون: نحن نرد على التشبيه، ونحن نرد على التشبيه، وهو ينطلق من التشبيه وينتهي إلى التشبيه، يبدأ من التشبيه وينتهي إلى التشبيه.

إذن كما يقول شيخ الإسلام: (لاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهَ) هنا أيضًا رد على المعتزلة ومن تأثر بهم من الروافض الذين يقولون الذين يقيسون الله ﷻ بخلقه فيما يسمونه العدل.

كما تعرفون أصولهم منها التوحيد ومنها العدل.

والعدل هو قياس الله ﷻ على المخلوق فيما يحسن منه ويقبح، فيما يحسن منه في التقبيح والتحسين، لذلك يقولون: الله ﷻ يجب عليه أن يتبع هذا العدل الذي يفهمه المعتزلة.

هذا العدل كيف رسموه؟ كيف حددوه؟

بالقياس إلى المخلوق، كما يقول أهل العلم: هم مشبهة في الأفعال ومعطلة في الصفات.

قالوا: إثبات الصفات هذا يؤدي إلى التشبيه، وحتى ننزه الله ﷻ عن التشبيه وحتى نحقق التوحيد ننفي هذه الصفات، طبعًا التوحيد عندهم نفي الصفات، من أصولهم التوحيد، وهذا التوحيد عندهم نفي الصفات، لا يتحقق إلا بالنفي، توحيد أهل السنة لا يتحقق إلا بالإثبات والنفي، عندهم لا يتحقق إلا بالنفي، والعدل الذي ذكروه هو تشبيه الله ﷻ بخلقه في الأفعال.

كل هذه يتجنبها أهل السنة والجماعة، لا يقاس بخلقه، والقياس الذي لا يجوز استعماله في باب الأسماء والصفات هو قياس التمثيل وقياس الشمول، وفي كليهما إلحاق الفرع بالأصل.

لماذا؟

لعلة جامعة بينهما، هناك علة جامعة، ما هي العلة التي تجمع بين الخالق والمخلوق، واضح؟

هناك قياس اسمه قياس الأولى، هذا القياس ليس من هذا القياس، نحن لما ننفي القياس لا ننفي هذا الذي أثبته الله ﷻ؛

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[النحل: ٦٠]

المثل الأعلى هو قياس، خلاصته أن كل كمال لا نقص فيه وجد في المخلوق فواهبه أولى، كل كمال لا نقص فيه وجد في المخلوق فواهبه أولى، العلم من الكمالات المطلقة، العلم الذي وجد في المخلوق، من الذي أعطاه؟ من الذي وهبه له؟

الخالق، هل يعقل أن من يعطيه العلم ليس عنده أيضًا؟!

القدرة التي في الإنسان الله ﷻ هو الذي أعطاه، هو الذي وهبها له، هل يعقل أنه ليس قديرًا والمخلوق قدير؟ إذن كل كمال مطلق، نحن نتحدث عن الكمالات المطلقة، لا نقص فيه بوجه من الوجوه وجد في المخلوق فواهبه أولى، وهناك كمالات نسبية هذه الكمالات لا نتحدث عنها، فالكمال بالنسبة لنا النوم، من لا يأتيه النوم هذا عنده خلل في صحته، أليس كذلك؟

بالنسبة لنا الكمال من الكمال أن نتزوج، أليس كذلك؟

هذه كمالات نسبية، ولكننا نحن نتحدث عن الكمالات المطلقة، كل كمال مطلق لا نقص فيه بوجه من الوجوه فواهبه أولى، وكماله يكون ككمال ذاته، كماله يكون، فالعلم الذي يتصف به المخلوق يكون لائقًا بحاله، والعلم الذي يتصف به الله ﷻ لا يشبه معلم المخلوق، الشامل المحيط؛ ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر: ٧]،

فإنه سبحانه، هذا تعليل لما سبق، نحن نثبت لك ما أثبته الله ﷻ لنفسه ونثبت كل ما أثبته النبي ﷺ لربه، ونتقيد بالكتاب والسنة في هذا الباب، لماذا؟

لأنه سبحانه أعلم بنفسه.

ذكر شيخ الإسلام هنا الأمور التي توجب قبول الكلام.

الأمور التي توجب قبول الكلام أربعة: العلم، والصدق، والفصاحة، وإرادة الخير أو النصح، العلم والصدق والفصاحة وإرادة النصح.

لا بد من العلم فيمن ستأخذ منه أما الجاهل لا تأخذ منه، هو جاهل كيف تأخذ منه؟

فاقد الشيء لا يعطيه، الذي تأخذ منه وتقبل كلامه لا بد أن يكون متصفًا بالعلم، والله ﷻ أعلم بنفسه وبغيره، هل هؤلاء المتهوكون كما يقول شيخ الإسلام أعلم بالله ﷻ منه؟

هل هم أعلم به من نبيه محمد ﷺ؟

ومن أنبيائه ورسله؟ حاشا وكلا، هذا أولًا.

ثم الصدق: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[النساء: ١٢٢] وكذلك نبيه ﷺ الصادق المصدوق.

العلم والصدق، ثم الفصاحة، قد يكون الشخص عالمًا ويكون مع ذلك صادقًا ولكن لا يستطيع أن يعبر عما يريده بكلام واضح بين، قد يريد شيئًا ويتلفظ بشيء آخر، هو في واد ومراد في واد، الله ﷻ كلامه معجز، كلامه معجز، وكلام نبيه ﷺ له من ذلك نصيب، والنبي ﷺ أفصح الخلق، أوتي جوامع الكلم.

فهل المريسي مثله في الفصاحة؟ وابن أبي دلامة والجهم بن صفوان؟ هم مثله في الفصاحة؟

قد يكون الشخص عالمًا صادقًا وفصيحًا وبليغًا لكنه لا يريد الخير لك، لا يريد الخير لك، الخير لك أن يرشدك إلى مكة وهو يرشدك إلى كذا وكذا، هذا ناصح؟

ليس ناصحًا، ليس ناصحًا، يرشدك إلى اليونان، فهذه الشروط هي شروط أو هي الصفات الموجبة للكمال، بالله عليكم هذه الصفات يعني من الذي يتصف بهذه الصفات على أكمل وجه؟

لذلك يقول شيخ الإسلام: (فَإِنَّهُ سبحانه أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ)

أعلم بنفسه وبغيره، وهو أعلم بما يستلزم ما يليق به وما يستلزم ما لا يليق به، المعطلة دائمًا يقولون: هذا يستلزم كذا وكذا، طيب الله ﷻ ما كان عالمًا بهذا؟ لما وصف نفسه بالاستواء هل كان غافلًا؟

حاشا وكلا، أما يستلزم الصفة من هذه المعايب والنقائص؟

(وَأَصْدَقُ قِيلاً، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ. ثُمَّ رُسُلُه صَادِقُونَ مُصَدَّقُون؛ بِخِلاَفِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لاَ يَعْلَمُونَ)

أين نسبتهم إلى الله ﷻ وإلى رسله الكرام؟

وكما قلت: هذه الأمور هي موجبات القبول، فالنبي ﷺ أعلم الخلق بالحق، أعلم الخلق بالحق وبما يليق بالله ﷻ، وهو أصدقهم في بيان، وهو أفصحهم في بيان الخلق، وهو أنصحهم للخلق، فلماذا نأخذ من غيره؟ لماذا نأخذ من المريسي؟ لماذا؟

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلِهَذَا قَالَ سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الصافات: ١٨٠: ١٨٢]، فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلاَمَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْب)

أولًا: كما يقول شيخ الإسلام هنا الله ﷻ (سَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ) هنا يقول الله ﷻ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[الصافات: ١٨٠] أي ينزه الله ﷻ نزه ربك عما يصفه به من؟

هؤلاء المخالفون، الله ﷻ لما يذكر التسبيح أحيانًا يذكر المتعلق وعما ينزه، التسبيح هو التقديس والتنزيه، أحيانًا يذكر ما ينزه عنه كما هو هنا ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ .

وكما في قوله سبحانه: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس: ١٨].

وأحيانًا ما ينزه، ما يذكر ما ينزه عنه؛ لأن التنزيه تقديسه وتنزيهه عن جميع النقائص والمعايب، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾[الإسراء: ١]، سبحانه، أي سبحه تسبيحًا، هذا مصدر، سبحه أي قدسه ونزهه، عن ماذا؟

عن جميع النقائص، عما لا يليق به، هل تلك النقائص أو بعض تلك النقائص، بعض ما ورد في الكتاب والسنة كما عند المعطلة، ننزهه عما جاء في الكتاب والسنة؟ عما أثبته لنفسه سبحانه؟

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾ الله ﷻ هنا أضاف الربوبية إلى النبي ﷺ تشريفًا، هو رب العالمين، هنا يقول: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾ هذا للتشريف لبيان مكان النبي ﷺ، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ أي: ذي العزة، صاحب العزة، والعزة هي القوة والغلبة والمنعة، ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ما يصفون به لم يأخذوا ما يصفون به الله ﷻ عن الرسل ولذلك انحرفوا، يصفون الله ﷻ بما تمليه عقولهم، وهم يقولون: نحن لا نصفه إلا بما يليق، حتى المشركون، لا نصفه إلا بما يليق، وهذا الذي تصفه به لا يليق به.

الله ﷻ يقول: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾السلام هنا الذي ذكره الله ﷻ سلام مطلق، السلام من جميع العيوب ومن جميع النقائص.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الصافات: ١٨٢] ختم هذه الآيات بذكر المحامد كلها بإثبات المحامد كلها لله ﷻ، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لما حمد نفسه ذكر بعض متعلقات الحمد وهو ربوبيته للعالمين، والربوبية تتضمن الخلق والإيجاد والرزق والتدبير، هو الذي خلقهم وهو الذي يرزقهم، كما يقولون منه الإعداد والإمداد، ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[النحل: ٥٣]، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الصافات: ١٨٢]

يقول شيخ الإسلام: (فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ)

في هذه الآيات نأخذ منها قاعدةً مهمةً:

وهي أن أتباع الرسل لهم من هذه السلامة نصيبهم بحسب تقيدهم بأقوال الرسل.

أتباع الرسل لهم من هذه السلامة بحسب تقيدهم بما يقول الرسل، أتباع الرسل الذين تقيدوا بما قال به الرسل لهم من هذه السلامة بحسب موقعهم من أقوال الرسل، وكل من انحرف عن طريقة الرسل

فهو بعيد عن السلامة بحسب موقعه وبحسب بعده عن طريق الرسل، فأنت لما تكون على طريقة الرسل تكون مطمئنًا، ولو خالفك فلان وعلان، الذين يخالفونك هم أصلًا مخالفون لطريقة الرسل، فلا تعبأ بمخالفتهم.

(وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلاَمَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ)

هنا الله ﷻ بين الحمد والتسبيح، والجمع بين التسبيح والحمد هو تمام باب الأسماء والصفات، وهما متلازمان؛ لأن الذي يقدس عن جميع المعايب، لماذا يقدس؟

لأن صفاته كاملة؛ لأنه متصف بصفات الكمال، وإلا لو كان عنده نقص ما نزه وما قدس، فالتسبيح يدل أو يستلزم الكمال في الصفات، ومن تثبت له جميع صفات الكمال لماذا؟

منزه عن العيوب، لذلك هناك تلازم بين التسبيح والتحميد، هذا أولًا، ثانيًا: منهج أهل السنة والجماعة أنهم يسبحون ويقدسون الله ﷻ بالإثبات، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾[ق: ٣٩]، نزهه وقدسه، كيف تسبحه؟ بنفي صفاته؟ لا، بإثبات صفاته، هذا هو المنهج الصحيح، وبالتالي ما ينتهجه المتكلمون من التنزيه المزعوم، التنزيه المزعوم الذي يبنونه على النفي والسمت والسلوك، هذا منهج معكوس.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بينَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ) .

ذكر شيخ الإسلام هنا أيضًا **قاعدةً مهمةً من قواعد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات**، وهذه القاعدة أن أهل السنة يؤمنون بالطريقة التي يجدونها في الكتاب والسنة، فيما يتعلق بالأسماء والصفات، والمنهج الذي نجده في الكتاب والسنة:

أن هناك نفي وهناك إثبات.

أولًا: هناك نفي وهناك إثبات:

إثبات لجميع أوصاف الكمال، ونفي للنقائص، أيضًا نفي لمشابهة أسمائه وصفاته لمشابهة أسماء وصفات المخلوقين.

ما الذي ننفيه وما الذي نثبته؟

المثبت كله صفات الكمال، صفات حمد صفات الكمال والجلال، الصفات التي تليق بكماله وجلاله نثبتها تبعًا لإثبات الله ﷻ ورسوله، نثبتها كلها، أيضًا ننفي ما نفاه الله ﷻ وما نفاه عنه رسوله ﷺ.

إذن باب الأسماء والصفات فيه نفي وإثبات.

هذا أولًا.

ثانيًا: النفي مجمل عمومًا، والإثبات مفصل.

كما سيأتي في الأمثلة التي ذكرها شيخ الإسلام في سورة الإخلاص وفي آية الكرسي، هناك نفي وهناك إثبات، والنفي مجمل ولا يكون النفي مفصلًا إلا لأمر يقتضيه.

قاعدة عامة:

لا يكون النفي مفصلًا إلا لأمر يقتضيه وإلا النفي مجمل، أما الإثبات فالأصل فيه التفصيل، وأحيانًا نجد الإثبات المجمل.

من ذلك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة: ٢]

هذا إثبات مجمل، الحمد لله معناها أن جميع صفات الكمال لله ﷻ.

هذا إثبات مجمل، الإثبات الأصل فيه مفصل، والنفي الأصل فيه.

كيف عرفنا هذا؟

بالنظر إلى الكتاب والسنة وجدنا أن الله ﷻ أثبت لنفسه أسماءً كثيرةً سماها ذكرها، وأثبت لنفسه صفات كثيرةً بالتفصيل، وأحيانًا نفى، نفى أمورًا وهي نقائص، ولكن في الأغلب النفي مجمل.

عرفنا أن القاعدة العامة:

أن النفي مجمل وأن الإثبات مفصل، وقد يكون هناك إثبات مجمل، وقد يكون هناك نفي مفصل لأمر يقتضيه، كما سيأتي في الأمثلة.

إذن هو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات.

بالنسبة للإثبات الأمر واضح.

بالنسبة للنفي لا بد أن نعتقد أنه ليس هناك نفي مراد لذاته في الكتاب والسنة، ليس هناك نفي مقصود لذاته، لا يوجد، وبالتالي كل ما كان فيه نفي نأخذ منه النفي ونأخذ منه إيش؟ إثبات كمال ضد الصفة المنفية، ليس هناك نفي مجرد مقصود لذاته.

يقول: (فَلاَ عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةُ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ)

هذه طريقة أهل السنة؛ أن الإثبات هو مفصل في الأغلب والنفي مجمل في الأغلب، وطريقة المخالفين؟ العكس.

شيخ الإسلام في مقدمة التدمرية أو في بدايات التدمرية ذكر، أوضح هذه القاعدة وذكر الأمثلة لذلك الأمثلة كثيرة، الصفات التي ذكرها الله ﷻ والأسماء التي وردت في الكتاب والسنة بالتفصيل، وذكر أمثلةً أيضًا للنفي المجمل، وذكر أيضًا أمثلةً للنفي المفصل.

إذا أردتم أن تتطلعوا على هذه القاعدة بالتفصيل فعليكم بالتدمرية أوضحها بما لا مزيد عليه، أوضح هذا كله قبل القواعد السبعة أو الثمانية التي ذكرها، أما المخالفون طريقتهم بالعكس، فتجدون عندهم من النفي المفصل ما لم يأت في الكتاب والسنة.

نستكمل إن شاء الله بعد الصلاة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد...

كنا نشير إلى طريقة المخالفين للرسل وأتباعهم، هؤلاء المخالفون هم مخالفون للرسل ولطريقتهم ومخالفون لأتباع الرسل ولطريقتهم.

طريقتهم عكس ما ذكرته عن طريقة أهل السنة والجماعة: التفصيل في الإثبات والإجمال في النفي.

هذه قاعدة أهل السنة والجماعة.

أما الخالفون فعندهم عكس: (التفصيل في النفي والإجمال في الإثبات)، لا تكاد تجد عند بعضهم إثباتًا يليق بالله ﷻ إثباتًا لأسمائه وصفاته.

أما النفي فكلهم يفيضون فيه ويفصِّلون فيه، فأنت لما تقرأ في بعض كتب الكلام صفحة أو أكثر في النفي ليس جوهر ولا عرض ولا يمين ولا شَمال ولا فوق ولا تحت ولا ولا ولا.

أبو الحسن الأشعري في كتابه «مقالات الإسلاميين» نقل مذهب المعتزلة في النفي والسلوك، وذكر صفحة كاملة فيه.

وهناك فرق بين نفي المبتدعة ونفي أهل السنة، نفي أهل السنة أولًا هو نفيٌ للنقائص والعيوب عن الله ﷻ، نفيهم تقديس وتنزيه لله ﷻ، أيضًا نفيهم مبنيٌ على الأدلة من الكتاب والسنة، الصفات التي أثبتها الله ﷻ لنفسه هذه تتضمن معاني وهذه معاني تليق بالله ﷻ كل ما يناقضها يُنفى عن الله ﷻ، هذا بالإجمال.

وهناك النفي أحيانًا يكون مفصلًا ولابد أن ننفي.

أيضًا نفي أهل السنة ليس مقصودًا لذاته، وإنما هو مقصودٌ لغيره، فنحن ننفي ونعلم أن هناك شيئًا آخر مقصود مع النفي.

أما عند المعتزلة عند المخالفين لن تجد هذه الأمور الثلاثة في المجمل، لا يتقيدون بأدلة في النفي، والنفي مقصودٌ لذاته، والنفي عندهم مفصَّل في الأمور الثلاثة.

في الأمور الثلاثة هناك خلاف بين أهل السنة والجماعة وبين المخالفين في النفي، طريقة أهل السنة في النفي أن النفي عندهم في الإجمال عمومًا النفي عندهم مجمل، وعند أولئك مفصل.

النفي عند أهل السنة والجماعة يرجع إلى الدليل، يستند إلى دليل، وعندهم لا، عندهم مثل الإثبات، الإثبات عندهم بالأدلة العقلية كما يزعمون، والنفي عندهم بالأدلة العقلية.

نفي أهل السنة ليس مقصودًا لذاته، بينما نفيهم مقصودًا لذاته.

تجد في بعض ما ينفونه سوء أدب مع الله ﷻ، لما تقرأ هذا الذي نقله أبو الحسن الأشعري؛ لا تكاد تكمل الصفحة مما يصيبك من الانخباط، ماذا تنفي عن الله ﷻ؟!

لا هو خارج العالم ولا هو داخله ولا محايزه ولا ولا.

ما الذي أثبته؟! وكيف تنزه الله ﷻ بهذه الطريقة؟!

النفي إذا كان مقصودًا لذاته، والنفي لما يكون مفصلا؛ هذا أصلا سوء آدب.

ولله المثل الأعلى، لما تذهب إلى ملِك إلى أمير وتقول له: لست مثل فلان ولست مثل فلان ولست مثل فلان ولست مثل الكناس ولست مثل الزبال؛ يؤدبك على هذا النفي المفصل.

أما إذا قلت: لست مثل أحدًا من رعيتك؛ هذا الذي يليق في النفي، النفي عمومًا: الإجمال هو الذي يدل على العظيم.

أما التفصيل في النفي: هذا لا يكون فيه تعظيم، وكما قلت: منهج أهل السنة هو عمومًا: التفصيل في الإثبات والإجمال في النفي.

(فَلَا عُدُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ)

فلا عدول لأهل السنة، أي لا ميل لهم ولا انحراف، هذا إخبار، لا يعدلون دائمًا أبدًا، لا يعدلون، عن ماذا؟

عن ما جاء به المرسلون؛ لأن عقيدتهم مبنية أصلا على ما جاء به المرسلون؛ فكيف يعدلون عما جاء به المرسلون؟!

فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون، لماذا؟

(فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ)

فإنه الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه الذي يوصلك إلى الله ﷻ، في كل مكان من صلواتنا نسأل الله ﷻ ونقول: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]

في كل ركعة يذكرنا الله ﷻ بأعدائه، يذكرنا بأن هناك أعداء، وهم أعداؤه، وهم سيجرفونك، سيحولونك وسيحرفونك وسيغيرونك عن هذا الطريق المستقيم.

﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ وهو صراط واحد، ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ**﴾ [الأنعام: ١٥٣] فيه سبل كثيرة.

وكما ذكر النبي ﷺ «**على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»

أنت لو سلكت طريقا ورأيت أن الشيطان بنصه وفصه جالس يدعوك إليه، هل تتبعه؟!

أبدًا، لا يمكن أن يتبعه أحد؛ لأنك تعلم أن هذا يؤديك إلى الهلاك، ولكن هذا الجالس، هذا يشوه صورة أهل الحق، تريد التنزيه؟

عندي.

تريد التوحيد؟

عندي.

تريد العدل؟

عندي.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

عندي.

إذن هذا الذي يزعم أنه يتبع الرسل ومشبه ومجسم، هو كذا، هذه عدته، وهو شيطان؛ فله طرقه وله؛

وبالتالي كثيرٌ من الناس اتبعوه.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] لابد أن تعلن العداوة مع الشيطان ومع من يسلك طريقه، وبهذا التلبيس والتدليس يؤثر على كثيرٍ من الناس.

أهل السنة والجماعة دائمًا مع الرسل، أعلام الرسل معروفة عندهم، طريقة الشيطان وأسلوبه وأساليبه معروفة عندهم، لماذا؟

لأن تلاميذ الرسل.

ودائما يأخذونها من الرسل، يلتزمون بطريقة الرسل.

(فَلَا عُدُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ)

الصراط: الطريق الوحيد.

يقول ابن القيم رحمه الله: أنك لابد أن توحد في المطلوب وفي الطلب وفي الطريق الذي يوصلك إلى الله ﷻ.

يقول: فلواحدٍ كل واحدًا في واحدٍ: أعني طريق الحق والإحسان والإيمان.

فلواحدًا كن: كن موحدًا في الله ﷻ تفرده بالعبادة، تفرده بالألوهية والربوبية وبالأسماء والصفات.

فلواحدٍ كن واحدًا: أي في طلبك.

في واحدٍ: أي في طريق واحد، هناك طريق واحد وهو طريق الرسل وهو الذي يؤديك إليه.

في واحدٍ أعني طريق الحق والإيمان: التوحيد المطلوب هو الله ﷻ هو الطلب وهو عملك والطريق تأخذ الطريق طريق واحد، ليست هناك طرق.

ولواحدٍ كن واحدًا في واحدٍ أعني طريق الحق والإيمان

فإنه الصراط المستقيم: من الذي يسلك هذا الطريق؟

صراط الذين أنعم الله عليهم.

هناك أربعة أصناف ذكر الله ﷻ أنهم هم المُنعَم عليهم إطلاقًا، هؤلاء الأصناف الأربعة مُنعَم عليهم أطلاقًا، سلكوا طريق الحق ووصلوا إلى رضا الله ﷻ؛ فأنعم عليهم، لابد أن تكون معهم ولو لم يكن معك أحد ممن...، فلا تستغرب ولا تستوحش إذا كنت واحدًا في السبيل في الطريق.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾

المُنعَم عليهم إذا كنت على طريقهم وإذا كنت على منهجهم وإذا كنت معهم وإذا كانوا معك فلا تستوحش.

مَن هم هؤلاء؟

﴿مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾(النساء:٦٩)

﴿مِنَ النَّبِيِّينَ ﴾: الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله ﷻ لهداية خلقه.

﴿ وَالصِّدِّيقِينَ ﴾: الذي بالغوا في تصديقهم، وهم في التصديق ما عندهم شك، مثل الصدِّيق صدِّيق هذه الأمة، لُقِّب بالصدِّيق، لماذا؟

لأن تصديقه بالنبي ﷺ ليس فيه أي شك، في الإسراء والمعراج لما جاؤوا وقالوا أن صاحبك يقول كذا وكذا؛ نعم إذا كان فعلا يقول؛ فهو صادق.

كيف ذهب إلى بيت المقدس ومن هناك إلى السماوات ومن هناك إلى كذا؛ نعم صادق؛ هذا هو التصديق، فهؤلاء الصديقون هم بعد الأنبياء والرسل.

﴿ وَالشُّهَدَاءِ ﴾: الذين قدَّموا أرواحهم في سبيل الله ﷻ.

﴿ وَالصَّالِحِينَ ﴾: الذين دائمًا على الصلاح.

هؤلاء الأصناف الأربعة هؤلاء هم المُنعَم عليهم.

وطريقة أهل السنة والجماعة ومنهجهم الالتزام بما عليه السلف الصالح.

يقول ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» ونقله ابن أبي العز في مقدمة «شرح الطحاوية»:

أن الرسل جاؤوا بثلاثة أمور:

أولا: التعريف بالمعبود.

ثانيا: التعريف بالطريق الموصل إلى المعبود.

ثالثا: بيان ما للواصلين هناك من النعيم، وبينان على من لم يصل من النِقم والعذاب.

أولا: التعريف بالمعبود:

كيف تتعرف على المعبود؟

بأسمائه وصفاته، فقطاع الطرق هنا هم الجهمية ومن سلك سبيلهم الذين لا يثبتون لله ﷻ الأسماء والصفات أو لا يثبتون بعضها، ها هم قطاع الطرق في هذه المحطة.

وقطاع الطرق في السبيل: الشهوات والشبهات التي تمنع.

إذن هو الصراط المستقيم وهو صراط الله ﷻ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

غيرهم: هذه الكتب التي ملؤها بقال الحكي وقال...

ما مصادرهم؟

يقول الشيخ صالح أل الشيخ، طبعا كلامه مقتبَس من كلام شيخ الإسلام، يقول: غيرهم وهم متبعون للمشركين أو لليهود أو للنصارى أو للملحدين، وجميع البدع من الأسماء والصفات لم تؤخذ من الأنبياء والمرسلين وإنما أُخِذَت من غيرهم.

يقول هذا في شرحه لآلئ البينات:

وهذا ذكره شيخ الإسلام في الحموية، ذكر مصادر القوم بالتفصيل، حتى تعلم أن هذا البدع مصادرها أولئك الكفار بأصنافهم.

أما منهج أهل السنة وطريقتهم وسبيلهم لهم في ذلك الأنبياء والرسل لأنهم أتباعهم.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ)

طبعا هو أولا ذكر مذهب أهل السنة والجماعة، وذكر بعض القواعد التي تتعلق بهذا الباب.

الآن بدأ يدخل في المقصود شيئًا فشيئًا.

(وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ).

ما هي هذه الجملة؟

ما ذكره في الإثبات وما ذكره في النفي، وأن هناك إثباتًا، وأن هناك نفيًا.

(وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ).

يقول بعض الحفاظ: لم يصح عن النبي ﷺ في فضل سورة من القرآن أكثر مما صح عنه في فضل:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]

وذكر النبي ﷺ أنها تعدل ثلث القرآن، يقول النبي ﷺ فيما رواه البخاري: «**والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن**» (أخرجه البخاري).

ويقول النبي ﷺ أيضًا فيما رواه البخاري: «**أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة**» في كل ليلة، أيعجز عن ذلك، فشق ذلك على الصحابة وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله، فقال: «**الله الواحد الصمد ثلث القرآن**» يعني هذه السورة ثلث القرآن.(أخرجه البخاري).

أيضًا يقول النبي ﷺ فيما رواه أحمد: «**من قرأ (قل هو الله أحد) مرةً فكأنما قرأ ثلث القرآن**» طبعا هذا في الفضل، ليس معناه أنك لما تقرأ (قل هو الله أحد) هذا يقوم مقام قراءتك ثلث القرآن، هذا فضل.

توجيه ذلك توجيه كون هذه السورة تعدل ثلث القرآن.

قال بعض العلماء: القرآن باعتبار ما يتضمنه، باعتباره معانيه ثلاثة أثلاث:

ـ ثلثٌ توحيد.

ـ ثلثٌ قَصص.

ـ ثلثٌ أمر ونهي.

وهذه السورة هي سورة (الإخلاص) فيها التوحيد توحيد رب العالين؛ من هذا الباب هي تعدل ثلث القرآن.

وتفصيل هذا: القرآن -كما تعرفون- هو كلام الله ﷻ، والكلام إما إنشاء وإما خبر، الإنشاء هو الأمر والنهي (الثلث) الذي ذكرنا (ثلث توحيد-ثلث قَصص-ثلث أمر ونهي)، الإنشاء هو أمرٌ ونهي.

وأما وما يتبع ذلك ك...ونحوه، وهو الأحكام.

أما الأخبار: فالأخبار:

ـ إما إخبار عن الخالق.

ـ إما إخبار عن المخلوق.

والإخبار عن الخالق: هو التوحيد وما يتضمنه من أسماء الله وصفاته.

أما الإخبار عن المخلوق: فهي القصص، إخبار عما كان وإخبار عما سيكون؛ من هذا الباب هذه

السورة تعدل ثلث القرآن.

الله ﷻ وصف في هذه السورة ونفي، وصف في هذه السورة نفسه بصفات، ونفى عن نفسه أيضًا بعض العلماء هذه السورة جمعت بين النفي والإثبات (سورة الإخلاص).

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

قل: هذا أمر، والنبي ﷺ لم يتصرف في هذا الأمر؛ لأن هذا القرآن كلام الله ﷻ، لو كان من كلام النبي ﷺ هل هناك حاجة لهذه اللفظة (قل)؟ ليس هناك حاجة.

هكذا أُنزِلَت عليه، وهو كلام الله ﷻ.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

الأحد من أسماء الله ﷻ، والأحد يأتي عمومًا (لفظ الأحد) يأتي عمومًا بعد النفي كما في آخر هذه السورة ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ولا يوصف به هكذا في الإثبات إلا الله ﷻ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ فمن أسمائه أنه أحد.

ومن أسمائه أنه الصمد، والصمد هو الكامل الذي تناهى في كماله وسؤدده، الله ﷻ كاملٌ في كماله وسؤدده وواحدٌ في ذاته، الصمدية فيها إثبات الكمال، والأحدية فيها انفراده بهذه الكمالية،

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ :

الصمد فيه إثبات جميع الكمال لله عز وجل.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾:

الله: لفظ الجلالة: مبتدأ، والصمد: خبر، والخبر إذا كان معرَّفًا بالألف واللام فإنه يقتضي الحصر، فالصمدية محصورة في الله ﷻ.

أنت لما تقول: (محمد العالم) ليس معناه مثل قولك: محمدٌ عالِمٌ.

محمدٌ عالمٌ، فيه إخبار أن محمدًا عالمٌ من العلماء.

أما لما تقول: محمدٌ العالم؛ حصْر العلم فيه، الخبر لما يكون معرَّفا بالألف واللام؛ فإنه يفيد ويقتضي الحصر، هذا من أدوات الحصر.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾:

الصمدية محصورة في الله ﷻ، ليس هناك من تصمد إليه بحوائجه المخلوقات إلا الله ﷻ.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾:

هذا فيه نفي، نحن قلنا أن النفي يكون لأمرٍ يقتضيه، المشركون كانوا ينسبون إلى الله ﷻ أن الملائكة بنات الله، الله ﷻ يقول أنه من صمديته ومن أحديته أنه لم يلد ولم يولد، ليس فرعًا لأصلٍ وليس أصلًا لفرع.

لماذا لم يكن له كفوًا أحد؟

لأن الولدية يكون كونه والد أو مولود؛ هذا يقتضي أن الوالد مثل الولد والولد مثل الله، والله ﷻ لم يكن له كفوًا أحد.

فنفي الولد، نفي كونه والدًا أو الولد هذا من تمام أحديه ومن تمام صمديته ﷻ.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾:

فيه نفي المكافئ وهو المماثل والمثيل عن الله ﷻ، وفيه النفي المجمل.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ :

وهذا فيه النفي المجمل، أليس كذلك يا مشايخ؟ النفي المجمل.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ :

ليس هناك مكافئ ومسامي له أحد، هو النفي المجمل، وفيه أيضًا نفي مفصل: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ هذا نفي مفصَّل، ذِكر نفيٍ لصفةٍ خاصة هذا هو النفي المفصل.

وذكرنا أن هذا النفي يكون هناك أمرٌ يقتضيه.

مثل قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]؛ لأن تحديد خلق السماوات والأرض في هذه الأيام الستة قد يأتي في ذهن البعض أن هذا الذي أمكنه الله سبحانه وتعالى، قد يأتي في ذهن البعض، بل هذا قاله اليهود، اليهود قالوا: خلق السماوات والأرض في ستة أيام ومرِض في الأخير، أصابه اللغوب؛ الله ﷻ نفى هذا النقص هنا؛ لأن هناك من يقول به، ولأنه قد يُفهَم من تحديد هذه الأيام، لماذا الله ﷻ...؟!

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]؛ لماذا خلق السماوات والأرض

في ستة أيام؟

لحكمةٍ اقتضاها لا نعرفها، ولكن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]

إذن النفي يكون لأمرٍ يقتضيه ويكون بيان لكمال ضد الصفة التي يزعمون، فنفي اللغوب يدل على كمال القدرة.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وما وصف به نفسه في أعظم أية في كتاب الله.

نكتفي بهذا القدر

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمس نسينا أن نعلق على قول شيخ الإسلام هنا:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

هنا يشير شيخ الإسلام إلى حديث الافتراق، حديث الافتراق رواه فيما ذكره أحد الإخوة في رسالةٍ علمية جميلة طُبِعَت في ثلاث مجلدات، رواه ثمانية عشر صحابيًا هذا الحديث حديث الافتراق، وصح عن ستةٍ أو سبعةٍ منهم، طبعًا هو خرَّج هذا الحديث بالتفصيل، يعني بذل فيه جهدًا مشكورًا ولم يترك من الكلام فيه إلا وذكره، والخلاصة أن هذا الحديث صحيحٌ أو حسنٌ وثابتٌ عن ستة أو سبعة من هؤلاء الصحابة، وضعيفٌ أو موضع من الطرق الباقية.

وهذا الحديث ثابتٌ كما ذكرت، وبعض الناس يطعنون في هذا الحديث، سمعنا عن بعض من ينتسب إلى العلم يطعن في هذا الحديث، وطبعًا هذا يدل على جهله المركب وليس جهل عادي.

الطعن في مثل هذه الأمور والاستشهاد بكلام فلان أو علان فقط في أمورٍ مشتهرة بين أهل العلم هذا ... ليس من منهج أهل العلم، فبعض من يتطفل وكذا له رأي في هذا الحديث وهناك من سبقه، الدكتور (عبد الرحمن بدوي) -لعلكم تسمعون عنه- من الأسماء اللامعة في ميدان الفلسفة، له كتب في الفلسفة وله كتب في الفلاسفة، له كتاب في الفِرَق في مجلدين، ذكر فيه أن هذا الحديث موضوع، لماذا يا دكتور؟

قال: "لأن النبي ﷺ، هذا من النَبوَة وهو الارتفاع، لأن النبي ﷺ قدره أعلى من غيره، أو من النبوءة وهو الأخبار لأنه يخبر عن المغيبات، يقول: لأن النبي ﷺ لا يمكنه أن يخبر بما سيأتي لأنه لا يعلم الغيب".

سبحان الله! أنا أقول: "لو قال: بأن الرسول"؛ قلنا: لعله غفل عن هذا المعنى الذي هو في النبي، ولكنه يقول: "لأن النبي لا يمكنه أن يخبر"؛ ولذلك يقول أن الحديث موضوع.

وهذا الحديث أهتم به العلماء في جميع الفنون الشرعية سواءً في العقدية، سواءً في التفسير، سواءً في الحديث، في شروح الحديث، وحتى في الفقه اهتموا بهذا الحديث، وهذا الحديث في الإشارة إلى الافتراق وأيضًا سبب الافتراق وأيضًا سبب نسبة من الافتراق، هذا الذي يشير إليه شيخ الإسلام.

والأحاديث والروايات التي ثبتت ألفاظها فيها تنوع، أنت لما تجمع بين هذه الألفاظ؛ تخرج منها بهذه النتيجة:

لماذا الافتراق؟

ما العصمة من هذا الافتراق، ووقوع الافتراق، الافتراق سيحدث، وهذا من هذا الإخبار من معجزات النبي ﷺ، النبي ﷺ أخبر عن هذا الذي سيكون، وقد حصل وأخبر عنه النبي ﷺ، وهذا كثير، ولعل الدكتور (عبد الرحمن بدوي) لم يطلع إلا على هذا الحديث لأن همه مع الفلاسفة، له موسوعة الفلاسفة، كتب كثيرة له، وهناك رسائل علمية (ماجستير-دكتوراه) معروف، لذلك ضرَبْت مثالا به.

وهذا الحديث كما قلت هو أصلٌ في هذه الأبواب كلها في ذكر الافتراق، والافتراق، ولماذا الافتراق، والعصمة من الافتراق؛ فلذلك اهتم بهذا الحديث كثيرون وبعضهم بنوا عليه كتبهم التي ألفوها في الفِرَق مثل اليماني وغيرهم –ما أتذكر أسماءهم- ولكن كثيرًا من العلماء بنوا كتبهم في الفِرَق على هذا الحديث.

وشيخ الإسلام هنا أشار إلى هذا الحديث، وأشار أن الذي له العصمة والنجاة هم أهل السنة والجماعة، وهذا الذي عناه النبي ﷺ أخبر وأشار إليه في قوله: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**» وهم أهل السنة والجماعة، والله أعلم.

الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولوالدينا وللمسلمين.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

(وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[البقرة:٢٥٥] أي لا يكرثه ولا يثقله، ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾[الفرقان:٥٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد:٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[التحريم:٢]، و﴿هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾[سبأ:١، ٢]، ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[الأنعام:٥٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر:١١]، وَقَوْلُهُ: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٨]

وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١] وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[النساء:٥٨] وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[الكهف:٣٩]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[البقرة:٢٥٣] ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة:١] ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[الأنعام:١٢٥]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة:١٩٥]، ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩]، ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[التوبة:٧]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[البقرة:٢٢٢]، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤]، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران:٣١]

وَقَوْلُهُ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[المائدة:١١٩]

وقوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[النمل:٣٠]، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر:٧]، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب:٤٣]

وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[الأنعام:٥٤]، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧]، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[يوسف:٦٤]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء:٩٣]

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[محمد:٢٨]

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ﴾[الزخرف:٥٥]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾[التوبة:٤٦]

وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[الصف:٣]

وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾[البقرة:٢١٠]، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا ﴾[الأنعام:١٥٨]، ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر:٢١:٢٢]،﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلًا﴾[الفرقان:٢٥]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[الرحمن:٢٧]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص:٨٨]

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:٧٥]، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[المائدة:٦٤]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطور:٤٨]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾[القمر:١٣-١٤]، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[طه:٣٩]

وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[المجادلة:١]

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد:

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه العقيدة الواسطية يقول: (وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِ الله) هذا معطوف على ما سبق من قوله: (وَقَدْ دَخَلَ فِي هِذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلاَصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ) وعطف عليه وقال: (وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِ الله) كما سبق أن ذكر شيخ الإسلام أن هذا الباب الذي نحن فيه هو من الإيمان بالله ﷻ، وأن الإيمان بالله ﷻ لا يتحقق إلا بتحقيق التوحيد، ومن أنواع التوحيد توحيد الأسماء والصفات.

قبل أن يبدأ في سرد الآيات بدأ شيخ الإسلام بذكر هذه السورة وهذه الآية، أولًا: في هذه السورة وفي هذه الآية فيهما صفات لله ﷻ وأسماء لله ﷻ، وهذا الذي بدأ فيه، ثانيًا: سبق أن ذكرنا فضل سورة الإخلاص، وأن هذه السورة تعدل ثلث القرآن، وسنذكر فضل هذه الآية آية الكرسي، وأعظم سورة في القرآن سورة الفاتحة، وهذه السورة سورة الإخلاص، وهذه الآية آية الكرسي، ولها هذه الفضائل،

لماذا؟ لتضمنها هذا الباب العظيم، شيخ الإسلام هنا بهذه البداية يبين أننا نحن في أعظم أبواب الدين، هذه السورة فضلت لتضمنها لهذا الباب، وهذه الآية فضلت لتضمنها لهذا الباب، كما هو الحال في سورة الفاتحة.

نحن لسنا كما قلنا في مباحث كلامية بل نحن في صميم توحيد الأسماء والصفات، بل نحن في هذا الباب فضلت لأجله هذه السورة وهذه الآية. ذكرنا سورة الإخلاص.

هنا يقول: (وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِ الله)

لماذا كانت أعظم آية في كتاب الله؟

لتضمنها هذا الباب العظيم، هذا يدل على عظمة هذا الباب.

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾.

في هذه الآية آية الكرسي سميت بآية الكرسي لورود ذكر الكرسي فيها، **﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾** .

في هذه الآية إثبات ونفي.

وعلى قاعدة أهل السنة المعروفة:

أن الإثبات مقصود بذاته ويكون مفصلًا في الغالب، وأن النفي مقصودًا لذاته بل يكون معه إثبات، النفي لا بد أن يكون معه إثبات وإلا ليس هناك في الكتاب والسنة نفي مقصود لذاته ليس معه إثبات، في هذه الآية نفي وإثبات.

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾:

بدأت الآية بإثبات إلوهية الله ﷻ، الله لفظ الجلالة، هي في الأصل الإله، والإله هو المألوه المعبود.

﴿لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾:

فيها بيان لمعنى هذا الاسم الله.

﴿لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾:

الله ﷻ هو الذي يستحق الإلوهية، سبق أن ذكرنا أن هذه الجملة تتضمن نفيًا وإثباتًا، وأن النفي والإثبات بجمعهما يتم التوحيد، هنا النفي والإثبات.

﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾:

هذان الاسمان ورد ذكرهما مقترنين في القرآن في ثلاث مواضع، الحي القيوم:

اسم الله الحي، هذا مرجع للصفات الذاتية.

واسم الله القيوم هذا مرجع للصفات الفعلية.

الحي أي الذي له الحياة الكاملة التي لا نقص بها بوجه من الوجوه، القيوم الذي قائم بنفسه لا يحتاج في قيامه إلى غيره، ومقيم لغيره، ما سواه كلهم محتاجون إليه في قيامهم.

وفيها معنيان: القيام بنفسه، وغيره هو مقيم لها، قائم بنفسه ومقيم لغيره.

هذا الاسم كما ذكرت مرجع للصفات الفعلية، والحي مرجع للصفات الذاتية. وقيل أن هذين الاسمين هما الاسم الأعظم، والله أعلم.

الحي: الذي له الحياة الكاملة، والحياة الكاملة التي لا نقص فيها هي لله ﷻ، وسيذكر المؤلف آيةً أخرى فيما سيأتي: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾[الفرقان:٥٨]

أما حياة المخلوق فيعقبها موت، كما أنها يسبقها عدم، وهذه الحياة حياة المخلوق في الحقيقة ليست حياةً يعتمد عليها المخلوق، ليس بيده منها شيء، لا بدايتها ولا نهايتها، نحن ما ندري عن بداية حياتنا ولا ندري عن نهاية حياتنا، وكثير من الفراعنة لما أحياهم الله ﷻ وجدوا في أنفسهم أنهم آلهة، ولكنهم هلكوا كما هلك الآخرون، فهذه الحياة حياة المخلوق هي حياة ناقصة، ليس هي الحياة التي ينبغي أن تسمى الحياة الكاملة، ولأجل هذا التفاوت في حياة الله ﷻ بين حياة الله ﷻ وبين حياة المخلوق ذكر شيخ الإسلام في التدمرية والحموية أن الناس اختلفوا في النسبة بين الحياتين، هل هي التواطؤ أو الاشتراك؟

ورجح أنها من المتواطئ المشكك، بمعنى أن المتواطئ يكون متفقًا ولكن بعض الأنواع يكون هناك تفاوت كبياض الثلج وبياض هذا، فهناك تفاوت، حياة الخالد وحياة المخلوق يشتركان في أصل الحياة بمعنى الحياة ضد الموت، يشتركان في ذلك.

ولكن هناك تفاوتًا عظيمًا في حقيقة الحياتين:

أولًا: حياة المخلوق بيد الله ﷻ ليست بيده منها شيئًا.

ثانيًا: كما قلت هي سبقها العدم ويلحقها الموت. فإذن حياة الله ﷻ هي الحياة.

القيوم: كما قلت معناه قائم بنفسه ومقيم لغيره.

﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ :

نفي السنة والنوم هنا يتضمن كمال الحياة والقيومية، وكما قلنا النفي لا يكون مقصودًا بذاته وإنما يكون لإثبات كمال ضد الصفة المنفية.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته:

ولـــه الحيـــاة كمالهـــا فلأجـــل ذا ... مـــا للمـــات عليـــه مـــن ســـلطان

وكـــذلك القيـــوم مـــن أوصـــافه ... مـــا للمنـــام لديـــه مـــن غشـــيان

وكـــذاك أوصـــاف الكمـــا ل جميعهـــا ... ثبتـــت لـــه ومـــدارها الوصـــفان

كما ذكرت الحي مرجع للصفات الذاتية، والقيوم مرجع للصفات الفعلية.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ :

في هذه الجملة إثبات تمام ملكه سبحانه، تمام ملكه لما في السموات والأرض، فالله عَزَّ وَجَلَّ هنا بعد قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾نفى الشفاعة، نفى أن يكون هناك من يقتحم الشفاعة ويشفع بدون إذنه، لماذا؟ لأن من يُشفع عنده بدون إذنه فملكه ليس تامًا، فيأتي فلان ويشفع وهو مرغم لقبول شفاعته، لماذا؟ لأن ملكه ليس تامًا، فالله عَزَّ وَجَلَّ له الشفاعة كلها.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾:

الاستفهام هنا للإنكار، ليس هناك من يشفع إلا بإذنه، لماذا؟ لتمام ملكه.

الله عَزَّ وَجَلَّ يقول في سورة سبأ يقول: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾﴿وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾[سبأ: ٢٢، ٢٣]

يقول: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾:

في هذه الجملة بيان سعة علمه سبحانه، وفيها بيان أنهم لا يعلمون من علمه إلا ما علمهم إياه.

كما قالت الملائكة: ﴿لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾[البقرة:٣٢].

وفي هذا النفي إثبات أن عباده لا يعلمون إلا ما علمهم إياه، وهو العالم بالمعلومات ولا يعلم أحد شيئًا إلا بتعليمه، وستأتي فقرة مستقلة في بيان صفة العلم.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾:

هذا النفي هنا: ﴿وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ هذا النفي يتضمن إثبات كمال القدرة كمال قدرته سبحانه، وفي هذه الجملة إثبات سعة كرسيه، الكرسي ثابت في الكتاب والسنة وإجماع السلف، وعلى قول ابن عباس -رضي الله عنهما- أن الكرسي هو موضع قدمي الرب -سبحانه وتعالى-

﴿وَلا يَئُودُهُ﴾ :

بمعنى لا يثقله ولا يكرثه، وهذا مناسب لذكر بعضهم قالوا: الكرسي كمال العلم، وهذا طبعًا هذا ثبت عن الإمام البخاري هو نقله عن بعض السلف أن الكرسي بمعنى العلم.

وهنا: ﴿وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ هذا لا يناسب، هذا يناسب القدرة ولا يناسب العلم، وهذا التأويل خطأه كثير من السلف.

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾:

ختم هذه الآية العظيمة بهذين الاسمين الكريمين، وهو العلي هو الذي له جميع أنواع العلو، علو الذات، وعلو القهر، وعلو القدر والمكانة، علو القدر والمكانة وعلو القهر يثبتها أيضًا أهل البدع أما علو الذات فهم ينكرون، ينكرون علو الذات، وستأتي فقرات تتعلق بهذه الصفات صفة العلو.

واسمه سبحانه العظيم يتضمن صفات عديدة، العظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال.

يقول شيخ الإسلام: ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

طبعًا ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ حديث أبي هريرة ﷺ لما وكله النبي ﷺ بحفظ زكاة الفطر فسلك الشيطان ليلة بعد ليلة وهو يمسكه فيتوب فيطلقه فيقول له النبي ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة؟» فيقول: زعم أنه لا يعود، فيقول: «كذبك وإنه سيعود» فلما كان في المرة الثالثة قال: دعني أعملك. الشيطان يقول له: دعني أعملك ما ينفعك، إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ

﴿الْقَيُّومُ﴾ إلى آخرها؛ فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فلما أخبر النبي ﷺ قال: «صدقك وهو كذوب» وأخبره أنه الشيطان.

وقولُه أو وقولِه يصح هذا وهذا، وقولِه سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]:

هذا سيتكرر معنا، سيتكرر معنا إما نقول وقولُه أو نقول وقولِه، وقولِه عطفًا على قولِه قد دخل في هذه الجملة، أما وقولُه بالرفع أي وقد دخل فيه قوله، يصح هذا وهذا.

دخل فيه أيضًا قولُه سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾.

التوكل يجمع بين أمرين:

الأمر الأول: بذل الأسباب.

الأمر الثاني: صدق التفويض وصدق الالتجاء لله ﷻ.

والجمع بين الأمرين يكون به التوكل.

وبعضهم قالوا: استعمال الأسباب ينافي التوكل، وهذا خطأ.

في هذه الآية إثبات أن الله ﷻ حي لا يموت، وحياته كما قلنا كاملة لا يلحقها نقص ولم يسبقها نقص.

وقولِه سبحانه: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد: ٣].

في هذه الآية وفي هذه الأسماء الأربعة:

اسم الله ﷻ الأول والآخر والظاهر والباطن، فيها في قوله الأول والآخر والظاهر والباطن فيها بيان إحاطة الله ﷻ الإحاطة الزمنية والمكانية، الله ﷻ كما ورد في تفسير هذه الآية يقول النبي ﷺ: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء »

في قوله: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾[الحديد: ٣]

فيه جمع بين الأزلية والأبدية، أي وصف تحيط به الزمان لا يمكن أن تأتي بأبلغ من هذين الاسمين، في هذين الاسمين الجمع بين الأزلية والأبدية.

وفي قوله: ﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[الحديد: ٣]

فيهما الجمع بين علوه وقربه، فكما سمعنا في هذا التفسير في تفسير النبي ﷺ: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء**» هذه أزلية وأبدية، «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**».

يقول ابن أبي زمنين رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الأسماء يقول: هو الأول لا شيء قبله والآخر الباقي إلى غير نهاية ولا شيء بعده الظاهر العالي فوق كل شيء والباطن بطن علمه بخلقه.

طبعًا اسمه الظاهر هذا يضمن أو يتضمن معنى العالي كما قال سبحانه: ﴿**فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ**﴾[الكهف: ٩٧]، فكلما علا الشيء ظهر.

ولهذا قال: «**أنت الظاهر فليس فوقك شيء**» فأثبت الظهور وجعل موجب الظهور أنه ليس فوقه شيء، ففيه إخبار أنه ليس فوقه شيء في ظهوره وعلوه على الأشياء، أما اسمه سبحانه الباطن يوجب أن لا يكون شيء دونه، فلا شيء دونه باعتبار البطون -كما يقول شيخ الإسلام- وفي هذا اللفظ معنى القرب والبعد من وجه ومعنى الاحتجاب والاختفاء من وجه.

قوله: «**وأنت الباطن فليس دونك شيء**» فيه نفي أن يكون شيء دونه كما فيه نفي أن يكون شيء فوقه، ولو قدر شيء فوقه لكان أكمل منه في العلو والبيان؛ إذ أن هذا شيء شأن الظاهر، ولو كان دونه شيء لكان أكمل منه في الدنو والاحتجاب وهذا شأن الباطن.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كلام جميل يقول: فأولية الله ﷻ سابقة على أولية كل ما سواه، وآخريته ثابتة بعد آخرية كل ما سواه، وأوليته سبق لكل شيء، وآخريته بقاؤه بعد كل شيء، وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضي العلو، وظاهر الشيء ما علا منه وأحاط بباطنه، وبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء بحيث يكون أقرب إليك من نفسك، وهذا قرب غير قرب المحب من حبيبه.

لأن القرب نوعان:

قرب خاص وقرب عام، هذا القرب العام بالإحاطة بعلمه، هذا لون وهذا لون، فمدار الأسماء الأربعة على الإحاطة هي إحاطتان: زمنية ومكانية.

الخلاصة: أن في هذه الأسماء الأربعة فيها جمع بين الأزلية والأبدية وفيها جمع بين علوه سبحانه وقربه.

طبعًا في قوله: والباطن، بعضهم بعض الحلولية والاجتهاديين يستدلون بهذا الاسم على أنه حال في الأشياء، طبعًا هذا جهل؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[الحديد: ٣] أين تضع الظاهر إذا كنت تفسر الباطن هكذا؟

الظاهر ذاتًا والباطن وصفًا، الله ﷻ هو عالم بذاته، وهو محيط بكل شيء علمًا، هذا معناه.

وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[التحريم: ٢]، وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾[سبأ: ٢] في قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢] فيه إثبات هذين الاسمين الكريمين، اسمه العليم واسمه الحكيم، وفيهما إثبات صفة العلم وصفة الحكمة، وصفة الحكم.

يقول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[التحريم: ٢] بالنسبة للعلم متعلق العلم كل شيء، الله ﷻ يعلم كل شيء وعلمه شامل محيط بما كان وبما سيكون وما لم يكن لو كان كيف سيكون.

أما الحكيم فمادة حَكم هذه المادة تدل على حُكم وتدل على إحكام.

ففيها معنيان:

على الأول الحكيم بمعنى الحاكم.

وعلى الثاني الحكيم بمعنى المحكم، أي موصوف بالحكمة.

والمعنى الثاني هذا المعنى نفاه الجهمية ومن تبعهم من الأشاعرة صفة الحكمة فهم ينفونها وهم يسمونها الغرض، لما تقرءون في كتبهم يعنونون هكذا: نفي العرض والغرض من الله ﷻ، وأنت لما تقرأ في مثل هذه العناوين تظن أن فيها علم، وهم ينفون بها النصوص الثابتة المعاني الثابتة في الكتاب والسنة، الحكمة يسمونها غرض، ومن ينفي الغرض توافقه في الظاهر ولكن هذا خطأ وتشويه للحق، فحكمة الله سبحانه هي حكمة وليست غرضًا؛ لأن الغرض فيه صاحب الغرض يستفيد من هذا الأمر.

أنا الآن حضرت لهذا الدرس لأن لي غرضًا فيه، هذا الغرض إما أن يكون دنيويًا وإما أن يكون أخرويًا، ونسأل الله أن يكون غرضنا أخرويًا، فلي غرض أنا أستكمل بهذا الغرض، أستكمل بهذا لغرض، أستفيد منها.

وهل هذا الغرض هكذا الله ﷻ؟

لا، ولكن الله ﷻ له في شرعه وله في حكمه الكوني حكم بالغة قد نعرفها وقد لا نعرفها، قد نعرفها وقد لا نعرفها ولكننا نؤمن أنه لا يخلو شيء من شرعه ولا يخلو شيء من حكمه الكوني عن حكمة بالغة، إن عرفناها جيد إن لم نعرفها لا ننفها، فتسميته له غرض هذا من دأبهم دائمًا هكذا يشوهون الحق حتى يسهل لهم نفي هذا الحق بل هم ينفون ويسهل لهم جر المخالف أيضًا إلى هذا الباطل.

وقوله سبحانه: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾[سبأ: ٢]

ما يخرج منها من النبات والمعادن وغير ذلك.

﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾[سبأ: ٢]

من المطر والملائكة وغير ذلك.

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾[سبأ: ٢]

أيضًا من الملائكة والأعمال، والعلم كما قلنا له عموم التعلق يتعلق بالموجود والمعدوم ويتعلق أيضًا بالخالق والمخلوق.

يقول الله ﷻ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾[الأنعام: ٥٩]

هناك اختلاف في الترتيب لكنه موجود، فيه تقديم وتأخير في نسختكم ونسختي، ولكن كما سمعت موجودة ليست سقطت، إذا انتهت الفقرة ولم أقرأ شيئًا من النص فهنا استأنفوا، لكن فيه كما قلت فيه تقديم وتأخير.

يقول الله ﷻ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾.

قيل مفاتح الغيب مبادئها، وقيل خزائنها، وكله صحيح.

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ﴾ :

من جميع المخلوقات، هذا عموم بعد خصوص.

﴿وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ﴾ هذا عموم بعد الخصوص، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، طبعًا من أركان الإيمان بالقدر الإيمان بالكتاب؛ ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ﴾[فاطر: ١١].

في هذه الآيات كلها إثبات صفة العلم لله ﷻ.

وهذه الصفة ضل فيها طوائف، منهم الفلاسفة قالوا: إن الله ﷻ يعلم بالكليات ولا يعلم بالجزئيات، مثلًا يعلم النوع الإنساني ولا يعلم بما يفعله زيد وبكر وعمرو، هذه الجزئيات ما يعلم عنها.

وضلالهم لا نلومهم؛ لأنهم أصلًا كفار.

ضل في هذه الصفة أيضًا غلاة القدرية، غلاة القدرية الذين لا وجود لهم الآن حسب ما يكتبه الذين يكتبون في الفرق وحسب علمهم القاصر؛ غلاة القدرية الذين كانوا ينكرون المرتبتين الأوليين من مراتب القدر: العلم والكتاب.

القدر له أربع مراتب كما تعرفون: العلم والكتابة والمشيئة والخلق، غلاة القدرية كانوا ينكرون العلم والكتاب، وهم كفار.

أيضًا ضل فيه من يقول بالبداءة، وهم أيضًا كثر.

ضل فيه أيضًا الذين التزموا بسبب الأزلية أو بسبب القول بالأزلية، التزموا بعض الأحكام التي نجد أن الأدلة بخلافها وهم الأشاعرة، الأشاعرة يثبتون صفة العلم، يثبتونها، يثبتونها أزليةً بحتةً، وبالتالي إذا اختلف نعت الصفة لا يقبلون بهذا الاختلاف ولا يقبلون بهذا الحدوث، مثلًا علم الله ﷻ بهذا الشخص قبل خلقه؛ لأن الله ﷻ يعلم ما كان وما سيكون علمه شاملًا محيطًا به، وهو يعلم أن هذا الشخص سيولد في التاريخ الفلاني، وعلمه به قبل ولادته، بعدما يولد هل نستطيع أن نقول: الله ﷻ الآن يعلم به بعد ولادته؟ قبل، بعد، هذا لا يوجد عندهم؛ لأن هذا فيه الحدوث، وهذا من حلول الحوادث بذاته سبحانه، وهذا عندهم يوجب حدوث الذات، فلذلك أنت اسأل أي أشعري إذا كان عالمًا بمذهبه لا يمكنه أن يقول: الله عز الآن عالم به بعد وجوده، قبل، بعد، لا يوجد عندهم، هي الصفة واحدة ولكن النعت

اختلف، علمه به قبل وجوده، وعلمه به بعد وجوده، ألم يختلف؟ هل علمه به قبل وجوده هو علمه به بعد وجوده؟

الله ﷻ يعلم به قبل وجوده وبعد وجوده، هذه تفاصيل، أليس كذلك؟

فعندهم أيضًا شيء من الخطأ، وهذا الخطأ بسبب التزامهم بأزلية الصفة وبسبب التزامهم بأحكام هذه الأزلية في هذه الصفات، وهذا سيمر معنا في بعض الصفات التي هم يثبتوها.

طبعًا في نسخة: **وهو العليم الخبير**، عندكم؟

وهو العليم الخبير، فيها أيضًا في هذه الآية أيضًا إثبات صفة العلم، وفيها أيضًا إثبات صفة اسمه الخبير، والخبير هو العليم ببواطن الأمور، الله ﷻ أثبت لنفسه العلم وهو العليم ثم أثبت لنفسه صفة الخبرة والخبرة العلم ببواطن الأمور، ففيه تخصيص بعد تعميم، العلم كما قلنا علمه شامل ومحيط، يشمل الظاهر والباطن ويشمل كل شيء، ولكن الله ﷻ نص على علمه ببواطن الأمور تأكيدًا وإلا بعضهم يقولون: العلم هو العلم بظواهر الأمور، والخبير الخبرة، العلم ببواطن الأمور، لا، العلم شامل، وهذا من ذكر الخاص بعد العام، من ذكر الخاص بعد العام، وهذا موجود في اللغة وعكسه أيضًا موجود.

وقوله: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٨]

في هاتين الآيتين الكريمتين إثبات قدرة الله ﷻ وإثبات قوة الله ﷻ وإثبات اسمه الرزاق وإثبات اسمه المتين، على القول لأن فيه قولان، وهذا أيضًا من أسماء الله ﷻ، القوة والقدرة متقاربان، القوة والقدرة متقاربان، القدرة صفة يتمكن بها الفاعل من الفعل بدون عجز.

انتبهوا لهذا الفرق، القدرة صفة يتمكن بها الفاعل من الفعل بدون ضعف، في القوة بدون ضعف وفي القدرة بدون عجز، واضح؟

القدرة يقابلها العجز والقوة يقابلها الضعف، القدرة من الفروق أيضًا بين القوة والقدرة، القدرة يوصف بها ذو الشعور فقط، والقوة عام في ذي الشعور وغيره، من الفروق أيضًا أن القوة أخص من قد تكون قادرًا على حمل هذا الشيء ولكن على ضعف، قد تكون قادرًا على حمل هذا الشيء ولكن على ضعف، فنستطيع أن نقول أن القدرة أخص من القوة.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٨]

الرزاق صفة مبالغة من الرزق، هناك فرق بين الرَّزق والرِّزق، الرِّزق هو ما تعطاه من الرزق، أما الرَّزق فهي صفة مثل الخلق والملك.

﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾:

المتين هو المتناهي في القوة، ذو القوة المتين، المتين هو المتناهي في القوة، القدرة متعلقها كل ما يصلح أن يُشاء، كل ما يصلح أن يُشاء يصلح أن يكون متعلقًا للقدرة، ولذلك الممتنع لذاته لا حقيقة له ولذلك لا يُشاء، بعضهم يقولون: هل يقدر الله ﷻ على خلق مثله؟

هذه خرافات، لأن هذا ممتنع لذاته، والممتنع لذاته لا يُشاء، لذلك نقول: متعلق القدرة كل ما يصلح أن يُشاء.

وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[النساء:٥٨]

في هاتين الآتين إثبات السمع والبصر، إثبات صفة السمع والبصر، والسمع والبصر، السمع هو إدراك المسموعات والبصر هو إدراك المبصرات.

والسمع الذي أثبته الله ﷻ لنفسه في الكتاب والسنة أو ورد إثباته في الكتاب والسنة قسمان أو نوعان:

النوع الأول: السمع العام، ويراد به إدراك المسموعات أو إدراك الصوت، ويراد به أيضًا معرفة المعنى، فسمع الله ﷻ شامل لجميع الأصوات؛ لأنه سميع لكل مسموع.

تقول عائشة أم المؤمنين ﵂ وأرضاها: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، قد جاءت المجادلة لتشتكي إلى رسول الله وأنا في جانب الحجرة يخفى علي بعض كلامها فأنزل الله قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[المجادلة:١].

هذا النوع الأول.

النوع الثاني: السمع الخاص، وهو سمع الإجابة والقبول، وهذا النوع متعلق بمشيئة الله ﷻ وقدرته، هذا من الصفات الفعلية، كقوله: سمع الله لمن حمده، وقول الخليل: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وقوله: إنك سميع قريب، المراد أنه يستجيب الدعاء.

أما البصر فهو إدراك جميع المبصرات وليس فيه هذا التنويع، وسمع الله ﷻ وبصره الذي يثبته أهل السنة يثبتهما أهل السنة ليس مجرد العلم بالمسموعات والمرئيات، كما يقول به المعتزلة؛ لأن الله ﷻ فرق بين العلم وبين السمع والبصر، فرق بين السمع والبصر، وهو لا يفرق بين علم وعلم لتنوع المعلومات؛ لأنهم يقولون: هذا التنويع لتنوع المعلومات، فإذا كان العلم بالمسموع يسمى سمعًا، وإذا كان العلم بالمبصر يسمى هذا العلم بصرًا.

يقول الله ﷻ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، في موضع آخر: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[فصلت: ٣٦] أيضًا.

ويقول سبحانه: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٢٧].

ويقول سبحانه لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[طه: ٤٦].

في السنن أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال على المنبر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[النساء: ٥٨]، ووضع إبهامه على أذنه وسبابته على عينه، أخرجه أبو داود في سننه.

المخالفون في السمع والبصر غير الجهمية والمعتزلة : الأشاعرة والماتريدية لأنهم كما سبق في العلم جعلوهما أزليتين بمعنى أنه لا يتجدد نعت ولا صفة لهذه الصفة.

الله ﷻ قال: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[المجادلة: ١]، متى سمع؟

عندهم سمع في الأزل، عند الأشاعرة والكلابية والماتريدية سمع في الأزل، هذا السمع ظل معلقًا إلى أن جاء متعلقه؛ فحدثت التعلق، هم يقولون بحدوث التعلق، لماذا هذا التكلف؟

لأنهم ينفون الصفات الاختيارية، أيضًا الصفات التي هي ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار يجعلونها أزليةً بحتةً كصفة الكلام، وشيء من هذا موجود في السمع والبصر، الله ﷻ لما خاطب موسى متى خاطبه؟ في وقته.

وكما في صفة الكلام: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾[القصص: ٦٢].

فهذه كلها جوانب يعني الجانب الفعلي في هذه الصفات الأزلية، هذا الجانب هم ينفونه حتى في الصفات التي يثبتونها، فالأشعري لا يستطيع أن يقول: الله ﷻ يسمعنا الآن، اسألوهم لا يستطيع أن يقول،

إذا كان دقيقًا في مذهبه لا يمكنه أن يقول؛ لأن هذا حلول للحوادث بذاته سبحانه، وإذا قال: الله ﷻ يسمعنا الآن يكون قد تخلى عن مذهبه من البدء، ويكون قد أثبت مبدأ الصفات الفعلية، لا يمكنه أن يقول، يقولون: الله ﷻ سمع كلامنا في الأزل، وهذا السمع كما قلت ظل معلقًا إلى أن جاء متعلقه، وكذلك كلامه، خطابه، خطابه لموسى، الله ﷻ تكلم في الأزل، وبقي معلقًا إلى أن جاء الوقت فتوجه إلى المراد، إلى المتعلق وهو موسى عليه السلام هكذا يقولون، وهم مع أنهم يثبتون هذه الصفات إلا أنهم لضلالهم فيه ولنفيهم للصفات الاختيارية لا يمكنهم أن يقولوا في الإثبات مثل أهل السنة، لا يمكنهم أن يلحقوا ركب أهل السنة في إثبات الصفة، حتى ولو أثبتوا إما أن يكونوا قد أخطئوا في الدليل أو أخطئوا في المسألة؛ لأنه إما دلائل وإما مسائل.

فإما أن يخطئوا في الدليل مثل خطئهم هنا يقولون: اعتمادنا على العقل، اعتمادنا في الإثبات على العقل، والسمع للاعتضاد، هذا خطأ، إذن صوابك هذا ليس لأنك ائتمرت بأمر الله ﷻ واستمعت إلى النبي ﷺ وأثبت ما قاله ﷻ وقاله رسوله، إنما أنت مؤتمر هنا وممتثل لعقلك، هذا خطأ، مع ذلك نقول: إثباتهم أحسن ممن ينفي، لكن إثباتهم لا يمكن أن يكون مثل إثبات أهل السنة، فهنا خطؤهم لأجل قولهم بالأزلية البحتة.

في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾[النساء:٥٨] نعما هذا اللفظ من ألفاظ المدح، وكلمة ما قيل هي نكرة موصوفة، وقيل كأنه قيل مثلًا نعم، نعما شيئًا، نعمًا شيئًا يعظكم به، أو موصولًا؛ نعم الشيء الذي يعظكم به.

وقوله: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[الكهف:٣٩]، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[البقرة:٢٥٣] وقوله:﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[المائدة:١]، وقوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[الأنعام:١٢٥]

في هذه الآيات إثبات الإرادة والمشيئة، إثبات الإرادة والمشيئة؛ المشيئة دائمًا كونية، المشيئة دائمًا كونية.

أما الإرادة فتنقسم إلى قسمين: إرادة شرعية، وإرادة كونية.

والفرق بينهما أن الإرادة الشرعية تلازمها المحبة، الإرادة الشرعية دائمًا تكون محبوبة لله ﷻ.

أما الإرادة الكونية فلا تستلزم المحبة، قد تكون محبوبةً وقد لا تكون محبوبةً، كلتا الإرادتان اجتمعتا فيهما الإيمان، إيمان المؤمن لم يكن إلا بتقدير الله ﷻ الكوني وهي إرادة كونية، وإيمانه محبوب لله ﷻ فاجتمعت فيه، أما كفر الكافر ففيه الإرادة الكونية وليست فيه الإرادة الشرعية.

والله ﷻ كما قال سبحانه: ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾[الزمر:٧]، ثم قال: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] ، فالإرادة الكونية لا تستلزم المحبة، الإرادة الشرعية تستلزم المحبةز

هذا الفرق الأول.

الفرق الثاني: أن الإرادة الكونية لا تتخلف أما الإرادة الشرعية قد تتخلف.

فالكافر مثلًا الله ﷻ أراد منه شرعًا أن يؤمن وأرسل إليه الرسل وأنزل له الكتب وهداه هداية الدلالة إلى سبيله مع ذلك لم يؤمن، فتخلفت فيه الإرادة الشرعية، تخلفت في حقه الإرادة الشرعية، أما الإرادة الكونية فلا تتخلف.

بعض الناس طبعًا الذين فرقوا هذا التفريق هم أهل السنة والجماعة، أما البقية فبعضهم جعلوا الإرادة إرادة واحدة وهي إرادة شرعية.

كما هو حال الصوفية، قالوا: جميع ما يكون في الكون هو مراد لله ﷻ كونًا وشرعًا، وهو محبوب لله ﷻ ، هكذا يقولون الصوفية، والمعتزلة لا أتذكر الآن رأيهم في التفريق.

طبعًا هم لم يفرقوا هذا التفريق الذي عند أهل السنة ولكن لا أستحضر الآن قولهم، أما الصوفية فجعلوا الإرادة واحدةً وهي إرادة محبوبة لله ﷻ وهي إرادة شرعية، الكونية والشرعية عندهم باب واحدة.

يقول أحدهم:

أصبحت منفعلًا لما تختاره ... مني ففعلي كل طاعات

هذه العظائم التي يأتي هذا الصوفي كلها طاعة، عندهم.

فإذن في هذه الآيات إثبات الإرادة وهي نوعان كما قلت، والمشيئة وهي دائمًا تكون كونيةً، الفرق بين الإرادة والمشيئة أن المشيئة كونية بحتة، كونية فقط، أما الإرادة فتنقسم إلى قسمين.

في قوله سبحانه: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ﴾[الأنعام:١٢٥]

المراد بالهداية هنا هداية التوفيق؛ لأن هداية الدلالة قد وقعت بإرسال الرسل وإنزال الكتب، هداية الدلالة الهداية نوعان: هداية الدلالة وهداية التوفيق، هنا: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ﴾ أي هداية التوفيق.

﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾

وهذه الهداية هي التي نفاها الله ﷻ عن رسوله محمد ﷺ.

﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[القصص:٥٦]، أي : هداية التوفيق، أما هداية الدلالة فهي ثابتة لكل، ولكل قوم هاد.

﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ ضيقًا عن قبول الإيمان، ﴿حَرَجًا﴾ أي شديد الضيق، حرجًا أي شديد الضيق، يقال: مكان حرج إذا كان كثير الشجر ضيقًا لا تصل إليه الراعية، ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ أي كأنما كلف بصعود السماء، كأنما بالصعود إلى السماء.

ومذهب الأشاعرة في الإرادة مثل مذهبهم في صفة الكلام والسمع والبصر، وهم يثبتونها قديمةً بحتةً، والجديد عندهم هو التعلق، فالله ﷻ يريد أن يخلق فلانًا الآن، طبعًا كل ما هو مخلوق مكتوب، الله ﷻ لا يزال مريدًا ويريد.

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[الرحمن:٢٩].

عندهم لا يمكن أن تقول: الله ﷻ يريد الآن، مراداته أرادها مرةً واحدةً في الأزل، وانتهينا، جميع المرادات أرادها في الأزل وانتهينا، أما أنه يريد الآن لا يقولون به؛ لأنه عندهم على خرافتهم المعروفة يستلزم حلول الحوادث بذاته سبحانه.

وقوله: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة:١٩٥]، وقوله: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الحجرات:٩]، وقوله: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[التوبة:٧]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[البقرة:٢٢٢]، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[آل عمران:٣١]، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[المائدة:٥٤]،

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[الصف: ٤]، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾[البروج: ١٤]، وهو الغفور الودود هذه سقطت عندكم؟

صفة المحبة لاحظنا هنا أن شيخ الإسلام هنا أكثر من ذكر الآيات هنا، ألا تلاحظون؟

هكذا منهجه هنا؛ إذا كان الخلاف كثيرًا والمخالفون كثر يذكر من الأدلة ما يدل على أن خلافهم لنصوص كثيرة فيكثر من ذكر الأدلة مع أن هذه النصوص هي بعد الأدلة التي تدل على إثبات صفة المحبة.

وصفة المحبة هي من الصفات الفعلية، كل ما قلنا هي من الصفات الفعلية لا بد أن نتذكر أنها من الصفات التي نفاها جميع المتكلمين، ما نحتاج أن نكرر مرةً أخرى، إذا قلنا: هذه من الصفات الفعلية، فيكون قد أنكرها جميع المتكلمين؛ جهميةً ومعتزلةً وكلابيةً وأشاعرةً وماتريديةً، المتكلمون كلهم لم يثبتوا الصفات الفعلية، وهذه من الصفات الفعلية.

قالوا: المحبة، قالوا: هي ميل الإنسان إلى ما يلائمه، ميل الإنسان إلى ما يلائمه وليس هناك ملائمةً بين أو ميل النفس إلى ما يلائمها وليس هناك ملائمةً ومناسبةً بين الخالق وبالتالي لا نثبت هذه الصفات.

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه« جلاء الأفهام» عن منهج المتكلمين ذكر كلمةً جميلةً، يقول: المتكلمون أو المبتدعة هؤلاء يأخذون في مسمى الصفة خصائص المخلوقين، يأخذون في مسمى الصفة خصائص المخلوقين ثم ينفونها جملةً عن الخالق. واضح؟

الآن صفة السمع أو صفة المحبة، المحبة، المحبة عند المخلوق نعم شيء مما ذكروه موجود، هل هذه هي محبة الله ﷻ؟

وكما ذكرنا في الغضب، غليان دم القلب لإرادة الانتقام، هذا عندنا، هل هذا موجود أيضًا عند الله ﷻ؟

وكما ذكروا في الاستواء، الاستواء يستلزم الاحتياج والافتقار، هذا موجود في صفة الله ﷻ؟

أبدًا.

من أين أخذوها؟

أخذوها من صفات المخلوقين، مسمى الصفة معنى عام، مثلًا البصر، البصر بالنسبة لنا من شروط البصر عندنا الضوء، أليس كذلك؟ إذن عدم الضوء نبصر؟

ما نبصر، من شروط البصر عند الخفافيش الظلام، في الضوء ما يبصرون، البصر الذي نراه في هذه الآية ما نعرف هذه الآلة عندها بصر، ما نعرف.

الآن إذا قلت أنا: البصر إدراك المبصرات في الضوء، صحيح هذا؟

غير صحيح، تكون قد استبعدت أصنافًا من المبصرات، استبعدتهم، لماذا؟

لماذا عرفت بهذا التعريف؟

لأني ما أعرف من البصر إلا هذا، فحصرته وقصرته على بصري أنا، حتى هذه الآية، حتى الخفافيش استبعدتها؛ لأن من شروط البصر عنده الظلام، هكذا المبتدعة، يأخذون في مسمى الصفة، مسمى الصفة يأخذون فيها خصائص الصفة للمخلوقين، هذه الصفة تستلزم كذا وكذا وبالتالي لا نثبتها لله ﷻ؛ لأنها لا تليق.

نستكمل إن شاء الله بعد الصلاة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد...

كنا نتحدث عن منهج المبتدعة في باب الأسماء والصفات، فهم لما ينفون ويظنون أن هذه الأسماء أو هذه الصفات تستلزم التشبيه ويقعون في التشبيه ثم يقعون في التعطيل ثم ينتهي أمرهم إلى التشبيه، بدايتهم تكون لخطئهم في فهم النصوص أو في التعامل مع النصوص.

كما قلت: هم يأخذون في مسمى الصفة التي أثبتها الله ﷻ لنفسه، يأخذون في مسماها خصائص المخلوقين، يظنون أن خصائص المخلوقين لازمة لهذا السبب، هكذا يظنون، ثم يقولون أن هذا لا يليق بالله ﷻ؛ فينفونها عن الله ﷻ، وهذا خطأ في التعامل مع النصوص وخطٌ في الفهم، مادام أن الله ﷻ أضافها لنفسه الكريمة؛ فلابد على أن نفهمها على ما تليق به وعلى ما تليق بكماله وجلاله؛ وبالتالي هذه الصفات التي أثبتها الله ﷻ ليس فيها نقصٌ من أي وجه، ليس فيها نقصٌ بوجهٍ من الوجوه؛ هكذا ينبغي أن نعتقد.

وإذا ورد شيءٌ من هذا الذي يوهم أن هذه الصفة فهيا كذا وكذا؛

فأعلم أن المبتدع خلط بين أمرين:

ـ بين مسمى الصفة (المعنى العام للصفة)

ـ وبين لوازم الصفة عند المخلوقين، يكون خلط بينهما، وظن أن هذه اللوازم التي تلزم المخلوقين في هذه الصفة هي جزءٌ من معنى الصفة المعنى العام.

كما هو الحال هنا في المحبة: قالوا: المحبة ميل الإنسان إلى من يلائمه لكذا وكذا، وهذه محبة الإنسان، وهل هكذا محبة الله ﷻ؟!

وبالتالي هذا التعريف الذي يذكره خطأ، هذا تعريف محبة المخلوق، أما محبة الله ﷻ فهي تليق به وبكماله وبجلاله.

هذا أولًا.

ثانيًا: المحبة هي أصل العبادة، والمحبوب لذاته هو الله ﷻ لاتصافه بصفات الكمال؛ هو المحبوب لذاته وهو المعبود، وكل من نحبه محبةً شرعية غير الله ﷻ فلموقعه منا إما يكون رسوله أو يكونون

صحابة رسوله أو يكونون من الصالحين، هذه المحبة لله ﷻ، وهذه المحبة لله ﷻ أوثق عرى الإسلام، المحبوب لذاته هو الله ﷻ، ونحب رسول الله ﷺ لماذا؟

لأنه رسوله، نحن نحب الصحابة –رضي الله عنهم أجمعين– نحبهم كلهم، لماذا؟

لأنهم صحابة رسول الله ﷺ، كما قلت: "المحبة هي أصل العبادة".

يأتي الجهمي ويقول: "لا يجوز أن تثبت صفة المحبة لله ﷻ"، بل الجهمية ينفون المحبة من الطرفين، لا يجوز أن تقول: "أحب الله ﷻ"، ولا يجوز أن تقول: "يحبني الله ﷻ أو يحب أحدًا من خلقه"، والنتيجة أنه سد باب العبادة.

بغض النظر عن كونه كافرًا أو مسلمًا هذا شيء آخر، قد يكون جاهلًا ولا يدري عن لوازم قوله، لكن انظر إلى حاله: سد باب العبادة.

الله ﷻ رد على المشركين الذين يحبونه، أثبت لهم أنهم يحبونه، ولكنه يحبون غيره أيضًا: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**﴾[البقرة:١٦٥]

هم يحبون الله ﷻ، ولكن بما أنهم يحبون أصنامهم ومعبوداتهم أيضًا؛ الله ﷻ رد عليهم، فكيف بمن يقول: لا يجوز أن تحب الله ﷻ لا يجوز، وهكذا هم كما يعبِّر به بعض أهل العلم: (قطاع الطرق في هذا الباب).

كما أنهم قطاع الطرق في باب المعرفة معرفة الله ﷻ لا يوصف بكذا ولا يوصف بكذا ولا يسمى بكذا؛ إذن لن تعرف معبودك ولا يجوز لك أن تحبه وبالتالي سد عليك أيضًا باب العبادة؛ هذا يدل على خطورة هذا الإله.

نحن لما نقول: الجهمية أنكروا المحبة من الطرفين؛ بعض الناس قد يستهين بهذه البداه، هذه البداه خطيرة جدًا؛ ولذلك كثيرٌ من السلف كفَّروا الجهمية الأوائل كما ذكرنا أمس، الجهمية الاوائل الذين جمعوا بين الجبر المحض والإرجاء الغالي وبين التعطيل المحض؛ كفَّروهم؛ لأن من تجتمع فيه هذه الصفة لا يكاد يكون مسلم.

وكما قلت: الجهمية أنكروا المحبة من الطرفين، أما الأشاعرة فأنكروا المحبة من جهة الله ﷻ: لا يجوز أن يحب أحدًا من خلقه –لنفس حجة الجهمي– لكن يجوز أن نحب الله ﷻ، والله ﷻ أثبت

المحبة من الطرفين في آية واحدة، هذه الآية ضمن الآيات التي ذكرها شيخ الإسلام: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[المائدة:٥٤] أثبت المحبة من الطرفين.

وكذلك في الآيات الأخرى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤]، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾[البروج:١٤]

الودود معناه: المحب، والله ﷻ يَوَد ويُوَد، وهو يُحِب ويُحَب، من أسمائه الودود.

وهؤلاء الذين أنكروا المحبة أولوها بالإرادة، وبعضهم أولوها بلازم الإرادة كالإحسان، شيخ الإسلام ناقشهم في (التدمرية) من مناقشاته لهم: "إذا كنتم ترون أن المحبة معناها كذا وكذا؛ فيلزمكم أيضًا في الإرادة".

ما هي الإرادة بالنسبة لنا؟

نحن ألا نستكمل بمراداتنا؟

أريد شيئًا لماذا؟

لشيء معين لي غرضٌ فيه، أليس كذلك؟!

وهل هكذا إرادة الله؟

قالوا: لا، إرادة الله ﷻ تليق بكماله وجلاله.

لماذا تنزه تلك الصفة ولا تنزه هذه الصفة؟

القول في بعض الصفات كالقول في بعض، والقول في الصفات كالقول في الذات، كما أثبت الذات، الذات المقدسة ونفيت المماثلة ونفيت علمك بالكيفية وأثبتها إثباتًا حقيقًا؛ كذلك يكون التعامل مع الصفة لأن صفة الله ﷻ تابعة له، وصفة كل موصوف تكون تابع له، صفة المخلوق تكون لائقة بضعفه وكونه مخلوقًا وصفة الخالق تكون لائقةً بكماله وجلاله.

المحبة مراتب:

أعلاها الخُلة، وهذه الدرجة لم يرد إثباتها إلا للخليلين: (إبراهيم عليه السلام ونبينا محمد ﷺ)، فهما الخليلان وهما أفضل الرسل، أفضل الرسل أولوا العزم الخمسة، وأفضلهم الخليلان، وأفضلهما نبينا

محمد ﷺ.

وقد ورد إثبات المحبة والخُلة في النصوص، ولكن لم يرد إثبات بعض أنواع المحبة كالعشق والتتيم والهوى والصبابة والعلاقة، وهذه الأنواع التي لم يرد إثباتها في النصوص؛ لا يجوز أن يوصف الله ﷻ بها.

تجدون بعض المبتدعة يقولون: أنا أعشق الله ﷻ، أنا من عشاق النبي ﷺ!؛

لا يجوز؛ لأن بعض هذه الأنواع من المحبة لها، هي تستلزم أنواع أخرى أيضًا أمورًا أخرى؛ فنتقيد في أنواع المحبة ما ورد إثباته في الكتاب والسنة، ولا يجوز أن نتعدى إلى غيرها من الأنواع التي لم يرد إثباتها فلا نثبتها.

وقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ ﴾[الفاتحة:١]

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر:٧]

﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[الأحزاب:٤٣]

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف:١٥٦]

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[الأنعام:٥٤]

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[يونس:١٠٧

﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[يوسف:٦٤]

والترتيب الذي عندكم أحسن من الترتيب الذي عندي لأن صفة الرضا هي قريبة من صفة المحبة، أما عندي بعد صفة الرحمة.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[البينة:٨]

صفة الرضا أيضًا من الصفات الفعلية.

والفرق بين المحبة والرضا:

أنهما متقاربان وبينهما تقارب وتلازم، ولكن مع ذلك لا يلزم التلازم وحده لا يلزم منه اتحاد المعنى، ولا يصح تفسير أحدهما بالآخر، فالرضا ضد السخط، والمحبة ضد البغض والكراهة، والله ﷻ أثبتها لنفسه كما أثبت لنفسه المحبة.

في هذه الآيات: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر:٧] إلخ هذه الآيات: فيها إثبات صفة

الرحمة، والرحمة صفةٌ ذاتية باعتبار.

هذه الصفة ذاتيةٌ باعتبار وفعليةٌ باعتبار:

ذاتيةٌ باعتبار اتصاف الله ﷻ بها أذلًا وأبدًا، الله ﷻ متصفٌ بها أذلًا وأبدًا، هذا هو الصحيح عند أهل السنة والجماعة.

وفعليةٌ باعتبار أن الله ﷻ يرحم برحمته من يشاء وكيف يشاء، وهي مثل صفة الكلام ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار بخلاف صفة البغض –هذا سيأتي– فعلية بحتة.

والرأفة هي أبلغ من الرحمة، وقيل أن: الرأفة هي الرحمة، وقيل أن الرأفة أبلغ من الرحمة.

في قوله سبحانه: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ**﴾[الفاتحة:١]

هذه بداية المسلم، دائمًا يبدأ بـــ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ)، والباء هنا للاستعانة، فأنت تستعين بالله ﷻ الذي من أسمائه: (الرحمن الرحيم)، طبعًا الرحمن الرحيم هذان الاسمان ذُكِرا هنا صفتين لاسم الجلالة (الله) وهذا يرد كثيرًا، هذا الاسم لا يأتي صفةً للأسماء الأخرى، دائمًا بقية الأسماء تأتي صفة للفظ الجلالة (الله)

من أسماء الله ﷻ (الرحمن)، ومن أسماء الله ﷻ (الرحيم) وكلا الاسمين اسمان كريمان يدلان على اتصاف الله ﷻ بصفة الرحمة.

والفروق بينهما: قيلت أقوال كثيرة.

مما اختاره شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم وذكره أيضًا الشيخ ابن عثيمين أن: الرحيم تدل على الرحمة الواصلة: ﴿**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا** ﴾[الأحزاب:٤٣]

والرحمن تدل على الرحمة الواسعة، الله ﷻ متصفٌ بهذه الصفة، طبعًا هذا يدل عليه الاسمان، ولكن الرحمن يدل على اتصافه بالرحمة الواسعة، والرحيم يدل على اتصافه بالرحمة الواصلة، فهو متصفٌ بصفة الرحمة ويرحم عباده بهذه الصفة.

لماذا ذُكِر هذا الاسمان؟

خُصا بهذا الذي نبدأ به أعمالنا، يذكرنا الله ﷻ بهذين الاسمين دائمًا، الذي تستعين به هو رحمن رحيم، لم يقل: بسم الله الجبار المنتقم، لا، أيضًا هي من أسماء الله ﷻ.

قال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

الله ﷻ متصفٌ بصفة الرحمة وهو قادرٌ على كل شيء، فلابد أن تتعبد الله ﷻ بالأسماء الحسنى، تعبده بالأسماء الحسنى هذا أيضًا من صميم التعبد، نحن قد نغفل عن معاني هذه الأسماء، قد نغفل عن التعبد بالأسماء والصفات أسماء الله ﷻ وصفاته، نستحضرها نتعبد الله ﷻ بها،، فلما نقول: بسم الله الرحمن الرحيم؛ فنحن قد استعننا بالله ﷻ الذي يتصف بهذه الصفة وبيده أزِمَّة الأمور لا يعجزه شيءٌ في السموات والأرض؛ فتكون مطمئنًا.

لا تكون مثل النصارى الذين يقولون: بسم الأب والابن والروح القدس إلها واحدًا، أولا هذا الخلط في بداية أمرك: "بسم الأب والابن والروح القدس إلها واحدًا" هذه الثلاثة كيف صارت واحدة؟! فيبدأ أمره بهذه الحيرة والاضطراب، أليس كذلك؟!

أما نحن: فلا، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هذا تميزُنا من أهل المِلل، تميزنا تميز أهل السنة والجماعة، بقية الفِرَق ينفون اتصاف الله ﷻ بالرحمة؛ لأنهم يقولون: الرحمة صفةٌ تكون لرقةٍ في القلب وكذا وكذا وهي لا تليق بالله ﷻ وبالتالي ينفيها.

الأشعري والماتريدي من البداية يكون في حيرةٍ من أمره؛ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من هنا يبدأ تأويله، من هنا تبدأ مصادمته للنصوص، لاحظتم كيف أن السُنَّة رحمة؟

أنت لما تلتزم السنة في أمورك كلها، رحمة في العقيدة ورحمة في التصور ورحمة أيضًا في السلوك، رحمة أيضًا في كل شيء.

أما ذلك المبتدع فهناك نصوص كثيرة جدا لابد أن ينظر إلى حلها كيف يمكنه أن ينقذ نفسه منها، كيف يمكنه أن يتخلص منها؟

من قولك: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يبدأ الخلاف هنا في النصوص.

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر:٧]

الله ﷻ أثبت لنفسه رحمةً عامة ورحمةً خاصة، الرحمة العامة لا يخلو منها أي مخلوق، وقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ هذا من هذا الباب.

أيضًا: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف:١٥٦] من هذا الباب.

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[الأنعام:٥٤] من هذا الباب.

وقوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب:٤٣] هذه رحمة خاصة.

وكما قلنا في صفة المحبة نقول هنا أيضًا: إذا كانت الرحمة معناها رقةٌ تكون في القلب إلى آخر لوازمها وتأولونها بالإرادة؛ نفس الشيء تكون في الإرادة أيضًا، الإرادة التي نعرفها في الشاهد إرادة فيها استكمال للنفس وفيها غرض للمريد وفيها كذا وكذا، إذا كنت تنزه وتقدس صفة الإرادة؛ فنزه هذه الصفة أيضًا وأثبتها، وكما قلنا دائما.

ويقول شيخ الإسلام:

القول في الصفات كالقول في الذات والقول في بعض الصفات.

كالقول في ماذا؟

"في المصدر": مصادرها واحد، هذه في الكتاب والسنة وهذه في الكتاب والسنة، وفي ماذا أيضًا؟

المتصف بها واحد هو الله ﷻ، فلماذا فرقَّت بينهما؟

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[النساء:٩٣]

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد:٢٨]

﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[الزخرف:٥٥]

﴿كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾[التوبة:٤٦]

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾[الصف:٣]

في هذه الآيات الكريمات إثبات صفة الغضب والسخط والأسف والكره والمقت، وكلها صفات فعلية بحتة قولا واحدًا عند أهل السنة والجماعة كلها صفاتٌ فعلية.

في قوله: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ أي: فلما أغضبونا.

والغضب الذي أثبته الله تعالى لنفسه لا نقص فيه بوجهٍ من الوجوه، ليس هو كما يقولون: غليان دم القلب لإرادة الانتقام، هذا غضب المخلوق.

أما الغضب الذي أثبته الله ﷻ لنفسه لا نقص فيه لوجهٍ من الوجوه، والغضب على من يستحق

الغضب عليه من القادر على عقوبته صفته.

وهذه الصفة أيضا أنكرها من ينكر الصفات الفعلية وهم يؤولونها إما بالعقاب ومنهم من يقول: ما ثم إلا إرادة قديمة أو ما أشبهها، أو يؤولونها من الصفات بالإرادة، ومنهم من يؤولها بالنِقم وهي العذاب.

وقوله سبحانه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾[البقرة:٢١٠]

وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨]

وقوله: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢١، ٢٢]

وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾[الفرقان:٢٥]

في هذه الآيات المباركات إثباتُ الإتيان والمجيء لله ﷻ وهذا أيضًا من الصفات الفعلية لله ﷻ، يقول الله ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي هل ينتظرون.

والنظر يأتي بمعنى الانتظار، والنظر يأتي بمعنى النظر الرؤية، والقرائن تبين وتحدد هذا، يأتي بهذا وهذا، والقرائن تحدد.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي هل ينتظرون.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾:

هذا متى؟ متى يأتي الله ﷻ في ظلل من الغمام؟

يأتي لفصل القضاء يوم القيامة.

﴿فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾:

ظُلل: جمع ظُلة، وهي ما يظلك.

الغمام: هو السحاب الرقيق الأبيض، سُمِي بذلك لأنه يغم أي يستر.

والملائكة: أي والملائكة أيضًا في ظللٍ من الغمام.

﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾[البقرة:٢١٠]

وهو إهلاكهم، ففيه تهديد، الله ﷻ يهددهم ويقول: هل تنظرون ذلك اليوم الذي سيأتيكم لماذا لم تؤمنوا قبل ذلك اليوم، فيه تهديد.

الشاهد هنا قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ :

وذكر معه أيضًا الملائكة؛ لأنهم يؤولون، أحيانا يقولون: هذا بعض الملائكة وأحيانا بعض أمر الله ﷻ، وستأتي في بقية الآيات تفنيد هذا التأويل أيضًا.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ :

ما أبقى شيئًا، ليس لتأوليهم أبدًا.

﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ :

لقبض أرواحهم، هنا إتيانهم، وهناك إتيانهم مع الله ﷻ لما ينزل لفصل القضاء، هنا إتيانهم لقبض أرواحهم.

﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾: لفصل القضاء، ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ بعض هذه الآيات هي طلوع الشمس من مغربها وبه يُغلَق باب التوبة أيضًا تهديد.

﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾[الفجر:٢١]

﴿كَلَّا﴾ طبعا هذا فيه ردع وزجر لما ذكر قبلها.

﴿ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ :

أي: زُلزِلَت وحُرِكَت تحريكًا بعد تحريك.

﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[الفجر:٢٢]

ففيه صفة المجيء والإتيان.

أيضًا قوله: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا ﴾[الفرقان:٢٥]

تتفطر وتنفرج السماء، يعني يوم القيامة.

بِالْغَمَامِ: بذلك الغمام الذي ينزل الله ﷻ فيه.

الشاهد هنا أن الله ﷻ أثبت له مجيئًا وإتيانًا، وهذه من الصفات التي يثبتها أهل السنة والجماعة، والأحاديث في إتيان الرب يوم القيامة كثيرة حتى قال بعض أهل العلم أنها متواترة، وكذلك إتيانه سبحانه

وتعالى لأهل الجنة يوم الجمعة.

وحكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الكلمة من المسلمين على أنه ينزل يوم القيامة لفصل القضاء ولم يشكوا في ذلك، وأن الإتيان المذكور والمضاف إلى الله ﷻ إتيان الله بنفسه يوم القيامة.

أما المتكلمون فكلهم نفوا هذا فقالوا: أن الإتيان والمجيئ يستلزم الحركة والحركة تستلزم الجسمية والأجسام متماثلة وبالتالي هذا يستلزم التشبيه، سلسلة خرافات طويلة –سبحان الله– دائما هكذا يضربون النصوص بهذه الخرافات.

تستلزم الحركة: أهل السنة طبعا عندهم جمهورهم يثبتون الحركة، ومن يتوقف في الحركة يتوقف فقط للفظ، أما الذي ينفي الحركة فهذا غريب.

نحن بالتزامنا بقاعدة أهل السنة في الألفاظ:

ما نصف الله ﷻ إلا بما ثبت.

قد يتوقف بعض الناس في إثبات الحركة، ولكن كما ذكر الدارمي: جمهور أهل السنة، بل حكى الإجماع على إثبات الحركة.

ولكن الذي ينفي الحركة ويقول: الحركة تستلزم الجسمية وينفي الحركة وينفي لأجلها صفاتٍ أخرى كالإتيان والمجيئ هذا خطأ، من الذي أخبرك أن الله ﷻ منزه عن الحركة؟

كلها أصول عقلية شبهات عقلية لأجلها يردون هذه النصوص.

ويقول الله ﷻ ﴿**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن: ٢٧] **وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ [القصص: ٨٨].

في هاتين الآيتين إثبات الوجه –سبحانه وتعالى– وثبوت الوجه جاء في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة وإثباته كلمة اتفاق بين أهل السنة والجماعة.

والوجه من الصفات الخبرية، الصفات الخبرية هي صفاتٌ ذاتية يتصف الله ﷻ بها أزلا وأبدا، سُميت صفاتٍ خبرية بالنظر إلى دليل ثبوتها.

هذه التقسيم: تقسيم الصفات من حيث الدليل إلى صفاتٍ خبرية وصفاتٍ فعلية:

هذا التقسيم كما ذكرت في أول الدرس هو في أصله للمتكلمين، ولكن أهل السنة أيضا يستعملونه

حسب تصورهم الخاص.

فالصفات الخبرية: الدليل لإثباتها هو الخبر أي الكتاب والسنة، لو لم يأتِ الخبر؛ ما كنا نثبته بالعقل، أما الصفات العقلية التي هم يسمونها (الصفات العقلية) هم يسمونها (الصفات العقلية) لأن العمدة عندهم في إثباتها العقل، ونحن نسميها (الصفات العقلية) لأن الأدلة فيها تضافرت (أدلة سمعية وأدلة عقلية) مثل العلو.

فهنا الصفات الخبرية معناها أن الدليل لإثباتها هو الخبر وفقط، أيضا هذه الصفات الخبرية فيما يقابل في حقنا نحن، الصفات الخبرية هي في حقنا نحن أجزاء وأعضاء: القدم واليدان والعينان والوجه، هذه الصفات في حق المخلوقين أجزاء وأعضاء، وهم الأشاعرة والماتريدية ينفون هذه الصفات، يقولون: هذه الصفات تستلزم التجزء وتستلزم التركيب، طبعا مستلزماتهم كثيرة، وأدلتهم أو خرافاتهم لنفي هذه الصفات كثيرة.

من خرافاتهم هنا في هذه الصفات أنها تستلزم التجزء والتركيب يكون الله ﷻ مُرَكبًا من أجزاء وهذا لا يجوز.

سبحان الله –أنا شخصيا واللهِ أستغرب من موقف هؤلاء دائما أستغرب–؛ أنت لما تقرأ هذه الآية: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)﴾ [الرحمن: ٢٧] ماذا تفهم من هذه الآية؟

هم يقولون: ظاهر الآية أنه لا يبقى إلا الوجه تذهب ذاته ويبقى وجهه، وهل تقولون بهذا؟!

ليس هذا هو الظاهر –سبحان الله– بقاء الوجه يدل على بقاء الذات، ويبقى وجهه: أي يبقى هو سبحانه، ولماذا خص الوجه بالذِكر؟

لحكمةٍ يعلمها منها أنه يمتحنك أيها المبتدع، الله ﷻ أثبت هذه الصفة وأنت لا تثبتها؟!

هذه من الحِكم تمييز المؤمن من غير المؤمن، المؤمن بهذه الصفة.

﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي يبقى الله ﷻ وخص هذه الصفة والعظيمة ووصفها: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ لأن هذه الصفة عظيمة من صفات الله ﷻ، فلما تقرأ هذه الآية مع ذلك تنفي هذه الصفة؟!

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]

ظاهرها أنها كذا وكذا، دائما ظاهر النصوص عندهم شيء بشع وهذا من عدم احترام النصوص، ظاهر كلام الله ﷻ لا يكون إلا لائقًا بكماله وجلاله، دائما كلام الله ﷻ لا يدل إلا على الحق لا يدل على هذه الظواهر التي هي من أبعد ما تكون.

المهم هنا: الله ﷻ أثبت هذه الصفة، والمنكرون لهذه الصفة، أوائل الأشاعرة يثبتون هذه الصفة، الأشاعرة في مرحلتهم الكُلابية يثبتون هذه الصفة يثبتون غالب أو أكثر الصفات الخبرة يثبتونها، الباقلاني مثلا وغيره تلك الطبقة يثبتونها، ولكن الأشاعرة بعد الجويني والماتريدية كلهم ينفون هذه الصفة الصفات الخبرية عموما ينفونها، أما أوائل الأشاعرة وأهل كلهم يثبتون هذه الصفات.

وقوله: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص: ٧٥].

﴿**قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾ [المائدة: ٦٤].

في هاتين الآيتين أثبت الله ﷻ لنفسه يدين كريمتين تليقان بكماله وجلاله.

وأهل السنة والجماعة قاطبةً على إثبات هذه الصفة، وهي أيضًا من الصفات الخبرية، وكل ما ذكرته عند الوجه يكون هنا أيضًا من حيث إثبات أوائل الأشاعرة لها وتعطيل أواخرهم أو تعطيلهم بعد الجويني لهذه الصفة.

وهذه الصفة وردت في الكتاب والسنة بصيغة الإفراد وبصيغة التثنية وبصيغة الجمع، وهذا التنوع في الصيغ من أدلة الأشاعرة في تعطيل هذه الصفة، قالوا: ورد إثبات أيدٍ كثيرة لله ﷻ وإثبات يدٍ واحد وإثبات يدين وور إثبات عينٍ واحدة وعينين وأعين كثيرة، وشخصٌ له أيدي ويد ويدن وعينان وعين واحدة وأعين يقول الرازي: "لا شخص" –نسيت نَصَه– أكثر قبحا من هذا النص، فهذا التنوع في الصيغ جعله دليلا للتعطيل.

بينما هذا التنوع ليس دليلا للتعطيل، وهذا التنوع معروف جدا، وما أظنهم على هذا المستوى، في أمورٍ كثرة تجد أن المبتدع ليس على هذا المستوى، مع ذلك تجده يتعمد لأن الشُبَه تكون قد تحكمت فيه.

بالنسبة للإفراد: لأن المفرد المضاف يراد به ما هو أكثر، أنت لما تقول: "يدي" هذا المفرد المضاف

يتناول أيديك لو كانت كثيرة أيضًا، المفرد المضاف يراد به أكثر من أمر؛ فإطلاق المفرد مع أن اليدين الكريمتين ثنتين من هذا.

ما الذي بقي؟

التثنية والجمع.

التثنية: لأنها نصُّ السورة، لأنها يدان كريمتان لقوله ﷻ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]

أما الجمع: صيغة الجمع للتعظيم، الله ﷻ يذكر نفسه المقدسة يذكرها بالإفراد لأنه الواحد الأحد ويذكرها أيضًا بصيغة الجمع للتعظيم؛ فليس هناك إشكال في ذكر هذه الصفة أحيانا بصيغة المفرد وأحيانا بصيغة التثنية وأحيانا بصيغة الجمع.

والمخالفون فيها كالمخالفين في صفة الوجه، أوائل الأشاعرة يثبتون اليدين، أوائل الأشاعرة: أي الأشاعرة في طبقتهم الكلابية يثبتون، وبدأ تعطيلهم لهذه الصفة بعد الجويني وهي الطبقة الثانية من طبقات الأشاعرة، وهم يؤولون اليد بالقدرة أو بالنعمة.

اليد بمعنى القدرة، واليد بمعنى النعمة هذا سائد في اللغة من حيث العموم، "فلان له عليَّ يد" سائد.

أيضًا: اليد بمعنى القدرة في اللغة سائد، ولكن اليد لما تكون بمعنى القدرة ولما تكون بمعنى النعمة ولما تكون بمعنى اليد الحقيقية السياق والسباق والقرائن تحددها.

هنا الله ﷻ لما يقول: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] التثنية، الصيغة هنا نصٌّ على أن المراد بها يدان كريمتان يلقان بكمال الله ﷻ وجلاله.

﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ لا يصح أن تقول: بقدرتي، ولا يصح أن تقول: بنعمتي، يصح هذا؟!

لا يصح، القدرة صفة واحدة أو صفتان: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] نِعم الله ﷻ لا تُعَد ولا تُحصى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤] لا تحصى، كيف تؤولها بنعمتيْ، وهذا نص في ال...

أيضًا لو كان الأمر كما تقول: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] أي بقدرتي، هل كان إبليس بهذه الغباوة، كان إبليس ...الله ﷻ، كان بإمكانه أن يقول: وأنا أيضًا خلقتني بقدرتك ما الذي

يميزه عني؟

كان بإمكانه وهو في أصلا في المناظرة مع رب العالمين، كان بإمكانه أن يعرض، هذا كله يدل أن هذا التأويل هنا وفي غير هذه الصفة تأويل ممجوج بعيد جدا، وهم دائما ينظرون إلى المعاني عموما.

مثلا يقولون: "الاستواء جاء على ستة عشر معنى وله أن يختار المعنى الذي يريده"، لا أبدًا، المتكلم هو الذي يختار والمتكلم هو الذي يحدد مراده من كلامه، أما الله ﷻ هو المتكلم والمريد من، الذي يحدد هو هذا الأشعري أو ذاك الماتريدي، لا، هذا كلام الله ﷻ وليس كلامكم.

فالتأويل دائما عندهم من خلال التأويل يريدون المعنى الذين هم يريدونه وليس المعنى الذي يريده الله ﷻ، والتأويل لما يكون للوصول إلى مراد المتكلم سهل جدا، أما إذا كان للوصول إلى مرادك من خلال كلام المتكلم؛ هنا الخلل، هذا الذي يكون عندهم دائما.

أنا لما أقول: "رأيت أسدًا يخطب" أنا قصدت قرينة واضحة لمرادي، أليس كذلك؟!

يأتي شخص ويقول: مرادك من هذا كذا.

يا أخي: مرادي واضح، وقد نصبت قرينة واضحة تدل على مرادي، أما الذي تقول فهو مرادك أنت، أنشأ لمرادك كلاما يدل على مرادك فأنت حر، أما أن تسوِّق مرادك من خلال كلام الله ﷻ فهذه الجريمة، تسوق مرادك من خلال كلام الله ﷻ أو كلام رسوله ﷺ وتلوي أعناق النصوص تخسفها تأويلا وتحريفا كل ذلك لتصل إلى مرادك مع أن مراد الله ﷻ واضح، هذا التأويل الذي تجدونه عندهم أحيانا يكون بعيدا جدا كما هو الحال هنا بقدرتيْ بنعمتيْ –سبحان الله–

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأسئلة

الطالب: ...

الشيخ: هذه الأسماء التي أطلِقت على الله ﷻ وعلى المخلوق هل هي من قبيل المشترك أو هي من قبيل المتواطئ، إذا قلت أنها من قبيل المشترك والمشترك ما اتحد لفظا واختلف معنى، والمتواطئ ما اتفق لفظا ومعن، مثل الإنسان: الإنسانية التي فيك والإنسانية التي فيَّ واحد، والتعدد هنا بالعين، أليس كذاك؟!

فكلنا أفراد الإنسان

والمشترك يكون متفقا في اللفظ مختلفا في المعنى (كالعين) كلمة واحدة تدل على العين الباصرة وعلى الذات وعلى الجاسوس وعلى الذهب، كلمة واحدة وهي متفقة لفظا ومختلفة معنى.

الآن إطلاق الحي على الله ﷻ وعلى الإنسان: لما تنظر إلى التفاوت الكبير معنى الحياة، حياة الله ﷻ هي الحياة الدائمة لا تقص فيها بوجهٍ من الوجوه، حياة الإنسان ليست بيده بدايةً ونهايةً، ليس له منها شيء، لما تنظر إلى هذا التفاوت؛ تجعلها من قبيل المشترك وهذه حياة وهذه حياة مع أن الكلمة واحدة.

ولكن لما تنظر إلى اتحادهما في أصل المعنى وأن الحياة ضد الموت؛ تجعلها من قبيل المتواطئ، والمتواطئ قد يكون أفرادها متساويةً في المعنى كالإنسانية، وقد يكون أفرادها متفاوتةً في المعنى كالبياض وهذا يسمى مشكك لأنه يشكك السامع في تحديدك، رجَّح شيخ الإسلام أنه من قبيل المتواطئ وإن أردت أن تسميه مشككا؛ على الرأس.

والمعنى أن حياة الله ﷻ وحياة المخلوق مشتركان في أصل المعنى مع التفاوت العظيم في حقيقة المعنى.

التواطئ عموما يكون المتواطئ ما اتحد لفظا ومعنى مثل الإنسان، الإنسان كلمة واحدة، هذه الإنسانية فيَّ وفيك نفس الشيك، أليس كذلك؟

الإنسان هذه نستطيع أن نجعلها من المشكك ونستطيع أن نجعلها من المتواطئ العام، إذا أردنا أن نقول أن الإنسانية في فلان بالنظر إلى المعاني؛ عظيمة جدا، نقول فلانٌ الإنسان بمعنى أن معاني الإنسانية من المروءة والكرم والشجاعة فيه على ...

ولكن إذا أردنا أن نجعلها من المتواطئ العام؛ عندنا كلنا سواء في الإنسانية، أو الإنسانية فلان نختلف؟ لا، هي نفسها.

المهم ليست من المشترك، بل هي من المتواطئ، وهي نوع من المتواطئ الذي هو المشكك.

الطالب: ...

الشيخ: أنا قد أكون قادرا على حمل هذه ولكن مع ضعف، أما القوي فيرفعها ولا يثقله هذه، هذا في الخلاصة.

الطالب: ...

الشيخ: من غير عجز، القدرة يقابلها العجز، والقوة يقابلها الضعف.

الطالب: ...

الشيخ: هم قالوا أن القول بالحكمة هو قولٌ بالغرض، الله ﷻ لا غرض له في مخلوقاته تقديسا له وتنزيها له عن إثبات الغرض؛ يقولون: ننفي الحكمة، الحكمة ليست هي الغرض.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولوالدينا وللمسلمين.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَقَولُهُ: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطور:٤٨]، ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر:١٣]، ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾[القمر:١٤]، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه:٣٩]

وَقَولُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[المجادلة:١]، ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[آل عمران:١٨١]، ﴿قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[طه:٤٦]، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[الزخرف:٨٠]

وَقَولُهُ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾[العلق:١٤]، ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾[الشعراء:٢١٨]، ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[الشعراء:٢١٩]، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة:١٠٥]

وَقَولُهُ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾[الرعد:١٣]

وَقَولُهُ: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[النمل:٥٠]

وَقَولُهُ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾[الطارق:١٥]، ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[الطارق:١٦]

وَقَولُهُ: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء:١٤٩]

وَقَولُهُ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[النور:٢٢]

وَقَولُهُ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون:٨]، ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[ص:٨٢]

وَقَولُهُ: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[الرحمن:٧٨]

وَقَولُهُ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم:٦٥]

وَقَولُهُ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص:٤]، ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢]، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾

[البقرة:١٦٥]، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[الإسراء:١١١]

وَقَوْلُهُ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[التغابن:١]

وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[الفرقان:١]، ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان:٢]

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إذن لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[المؤمنون:٩١]، ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[المؤمنون:٩٢]

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:٧٤]

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٣]

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

بسم الله الرحمن الرحيم، نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد:

لا زال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ يذكر الآيات التي فيها إثبات أسماء الله ﷻ وصفاته، وهذه الصفات بعضها ذاتية أزلية، وبعضها خبرية، وبعضها فعلية، ولاحظنا أنه إذا كان الخلاف كبيرًا يكثر من ذكر الشواهد والأدلة التي تدل على إثبات هذه الصفة التي كثر الخلاف حولها.

في هذه الفقرة، في قوله: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطور:٤٨]، ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾[القمر:١٣]، ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾[القمر:١٤]، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[طه:٣٩]

في هذه الآيات الثلاث إثبات صفة العين لله ﷻ، وهذه الصفة ورد إثباتها في القرآن بلفظ الجمع وبلفظ المفرد، وورد إفرادها في السنة بلفظ التثنية بما يدل على أن الله ﷻ موصوف بعينين كريمتين تليقان به سبحانه.

هنا: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطور:٤٨] أيضًا ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، هنا بصيغة الجمع، وفي قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[طه:٣٩] هنا صيغة المفرد.

ذكرت أمس عندما علقنا على تنوع الصيغ في صفة اليدين وأن الإفراد جاء لأن المفرد المضاف يراد به ما أكثر من واحد، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[طه:٣٩] المفرد هنا مضاف إلى ياء المتكلم، وهذا المضاف يشمل الجميع وليس المراد به واحدًا، أما الجمع فذكرنا أن الجمع للتعظيم، للتعظيم ، والمناسبة هنا مقابلة الجمع بالجمع، الله ﷻ يقول: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطور:٤٨] الله ﷻ ذكر نفسه المقدسة بصيغة الجمع للتعظيم، وقابلها أيضًا بالجمع، وأيضًا في قوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[القمر:١٤] هذا مثل قوله سبحانه: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[التحريم:٤]، المفروض يقال: قلباكما، لكن الجمع لمقابلة جمع الجمع.

وقوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطور:٤٨] المراد به معناه: فإنك بمرأًى منا وتحت حفظنا، فلا تبالي بأذى الكفار، أيضًا: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[القمر:١٤] أي بمنظر منا.

﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾ [القمر:١٣] الضمير يرجع إلى نوح عليه السلام، ﴿عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر:١٣] أي على السفينة، والسفينة التي بناها وأنشأها نوح عليه السلام كانت مثل بقية السفن؛ ذات أخشاب عريضة ومسامير شدت تلك الألواح الأخشاب ومفردها دثار.

وكما قلت هذا الجمع هنا مشاكلة للفظ الجمع، والعرب إذا أضافوا المفرد المتصل إلى جمع ظاهرًا كان أو مضمرًا جمعوه مشاكلة.

إذا قلت: نحن نراك بأعيننا، إذا قلت هذا لشخص ترى نحن نراك بأعيننا، ونحفظك بأيدينا، هل معناه أن لك أيد كثيرة؟ ولك أعين كثيرة؟ هل هذا ظاهر اللفظ؟ كما ذكره الرازي وكما ذكره غيره، قالوا: ظاهر اللفظ أن الله ﷻ له أعين كثيرة وأيد كثيرة وأحيانًا تكون يد واحدة وعين واحدة، إلى آخر ما ذكر.

وذكر هنا أيضًا: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطور:٤٨] ظاهر اللفظ أنك داخل أعيننا، ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[القمر:١٤] تجري داخل أعيننا، هل هذا ظاهر اللفظ؟

الباء هنا للمصاحبة، وهذا يدل على أن الله ﷻ يراك وإحاطته لك بحفظه ورعايته مصاحبة لك دائمًا، وكما قلنا: هؤلاء لما يذكرون ظواهر الألفاظ يبشرونها بشكل ينفروك عن هذا الظاهر حتى توافقهم، ليس هذا ظاهر اللفظ، ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[القمر: ١٤] تجري داخل أعيننا، ذكره الرازي وغيره.

إذن الله ﷻ أثبت لنفسه أنه متصف بالعين، وحددت السنة أن له عينين تليقان به سبحانه؛ لأن النبي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم قال: «إن ربكم ليس بأعور» والعور هو العور في العين، ليس هو العور العوار، ليس هو العوار، العور هو أن يكون ذات عين واحدة، وهذا نص في أن الله ﷻ متصف بعينين كريمتين تليقان بكماله وجلاله.

ثم ذكر آيات كثيرةً في صفتي السمع والرؤية، وقد ذكر شيخ الإسلام فيما سبق آيات لإثبات صفتي السمع والبصر، إذا كنتم تذكرون، سبق هذا في أوائل سرده للآيات، لماذا أعاد هنا جملةً من الآيات تدل على السمع والبصر؟ لم يعدها هنا لإثبات الصفتين فقط، لا، أعاده هنا لإثبات أمر يتعلق بهاتين الصفتين كثر خلاف المتكلمين في هذا الأمر.

وهذا أمر مهم جدًا.

وهو ما يتعلق بالجديد في هذه الصفات، صفة العين، صفة السمع والرؤية، وكذلك العلم، وكذلك الإرادة، في هذه الصفات مع أنها صفات أزلية فيها جانب نحن نستطيع أن نقول كما عبر عنه بعض العلماء جانب يتعلق بالمشيئة، ونستطيع أن نقول أيضًا جانب جديد تجنبًا للخلاف؛ لأن هذه الصفات نفهم من كلام شيخ الإسلام في بعض المواضع أنها مثل صفة الكلام، ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار.

سبق في الآيات التي ذكرها شيخ الإسلام المحبة، سبق قول شيخ الإسلام هناك أن كل ما تعلق بالمشيئة مما يتصف به الرب فهو من الصفات الاختيارية، مثل: كلامه وسمعه وبصره وإرادته ومحبته ورضاه ورحمته وغضبه وسخطه.

ألا تلاحظون أنه سرد هذه الصفات على مساق واحد؟

هذا يدل على أنه يرى أن صفتي السمع والبصر يمكن أن نطلق عليها أنها ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار، يمكن، ولكن هناك فرقًا بين صفة الكلام وصفة السمع والبصر.

صفة الكلام جميع أهل السنة كلهم يرون أنها ذاتيةً باعتبار وفعليةً باعتبار، باستثناء من تأثر منهم بالأشاعرة كبعض الحنابلة، تأثروا بالأشاعرة وقالوا أن صفة الكلام هي أزلية بحتة، وإلا مذهب أهل السنة قاطبةً أن صفة الكلام ذاتيةٌ باعتبار وفعليةٌ باعتبار.

ونحن لما نقول أنها ذاتية باعتبار أن الله ﷻ متصف بها أزلًا وأبدًا، هذا واضح، ولا يخالفنا فيه الكلابية الأشاعرة والماتريدية، هما يخالفوننا في الجانب المتعلق بالمشيئة والقدرة:

نحن نقول: فعلية باعتبار وذاتية باعتبار، هم يوافقوننا على أنها ذاتية أزلية ولكن يخالفون في كونها لها جانب يتعلق بالمشيئة والقدرة، فالله ﷻ يتكلم ويكلم من شاء بما شاء متى ما شاء، واضح؟

والكلام فعل، أنت لما تتكلم أليس الكلام فعلًا؟ ولما يتكلم الله ﷻ لما يكلم من شاء كما ستأتي الآيات الكثيرة، ذكرها شيخ الإسلام فيما سيأتي لإبراز هذا الجانب في صفة الكلام، سيأتي فقرة مستقلة، ذكر فيها أبرز فيها هذا الجانب.

لما يتكلم الله ﷻ أو لما يكلم من شاء متى ما شاء بما شاء، هذا يدل على أن الله ﷻ متكلم طبعًا هو له صفة الكلام أزلًا وأبدًا، ويكلم ويتكلم أيضًا متى ما شاء.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾[القصص: ٦٢].

والنداء هو الكلام بصوت مرتفع.

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[المجادلة: ١].

هذا واضح أن هذه الصفة لها جانب بالمشيئة والقدرة، ولكن الكلام فعل، فهذا الجانب في هذه الصفة واضح؛ أن الله ﷻ يتكلم والكلام مشيئة.

أما السمع والبصر الله ﷻ يسمع بعد وجود المسموع ويبصر بعد وجود المُبصَر، وذكرنا في صفة العلم أن صفة العلم تتعلق بالموجود والمعدوم بقية الصفات تتعلق بالموجودات، لا يصح أن تقول: أن الله ﷻ سمع قبل أن يوجد مسموع، ولا يصح أن تقول: أنه أبصر قبل أن يوجد مُبصر؛ لأن هذه الصفات تتعلق بالموجود، وهذا هو الفرق من الفروق بين السمع والبصر وبين العلم، والمعتزلة جعلوه ضابطًا واحدًا، وقالوا: هذا التنوع في التسمية بالنظر إلى التنوع في المعلوم، سبق أن ذكرت، الله ﷻ يسمع بعد وجود المسموع، هذا جانب جديد، له صفة السمع أزلًا وأبدًا، هذا الجانب يتفق فيه معنا الكلابية، يسمع

مع وجود المسموع، هم يخالفون، هم يقولون: سمع المسموعات كلها في الأزل، وأبصر المبصرات كلها في الأزل، جعلوها أزليةً بحتةً، واضح؟

ولكن لما يسمع الله ﷻ بعد وجود المسموع هل تجدد فعل أيضًا؟ تجدد السمع، هذا التجدد واضح ولكن هل تجدد فعل أيضًا؟ في صفة الكلام تجدد فعل أيضًا، واضح؟

إذن هذه الصفات صفة السمع والبصر هي مثل صفة الكلام في جانب وليست مثلها في جانب، في صفة الكلام قولًا واحدًا هي ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار، وهذه الصفات يؤخذ من كلام شيخ الإسلام أيضًا أنها ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار؛ باعتبار هذا التجدد، واضح؟

وهذا التجدد من يرى أنه يرقى إلى أن نسمي هذه الصفة مثل صفة الكلام ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار يصرح وبعضهم يقول: لا، هذا لا يرقى إلى أن نسميه أنها من الصفات الذاتية باعتبار وفعلية باعتبار مثل صفة الكلام، إذا اتفقنا على هذا الجديد وأن الله ﷻ له هذا الجانب الذي في صفة السمع والبصر والإرادة اتفقنا عليه فالتسمية هو اصطلاح ولا مشاهدة في الاصطلاح ولكن من ينكر هذا الجديد أو هذا الجانب الذي فيه جديد هذا الذي يخالفنا مخالفةً جوهريةً، واضح؟

هناك من يقول أنه لا يجوز أن نقول هاتين الصفتين فعلية باعتبار وذاتية باعتبار، طبعًا هذا النفي بهذا الإجمال هذا قد يكون أبعد عن الصواب، ومن يثبت هذه التسمية فعليه أن يفصل بهذا التفصيل حتى لا يظن أن الله ﷻ يسمع إذا شاء ولا يسمع إذا شاء، لا، يسمع جميع المسموعات ويبصر جميع المبصرات، واضح؟ ليس الأمر أنه يسمع إذا شاء ولا يسمع إذا شاء، ويبصر إذا شاء ولا يبصر إذا شاء، واضح؟

هنا في قوله سبحانه: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾[المجادلة: ١] قد سمع، متى سمع؟

في الوقت الذي كلمته، في الوقت الذي كلمته ولم يسمع في الأزل كما يقول الكلابية.

﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ﴾[المجادلة: ١] يسمع الآن تحاوركما.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[آل عمران: ١٨١] متى سمع؟

لاحظوا أن هذه الآيات كلها فيها هذا الجانب، بما يؤكد أن هذه الآيات ذكرها لإثبات هذا الجانب الذي يتعلق بالمشيئة والقدرة أو هذا الجانب الجديد.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[آل عمران:١٨١] وهم إيش؟ يهود، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:٨٠] لا نسمع، ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ﴾[طه:٤٦]، ما تقولان وما يقول، عدوكم وأرى مكانكم وأرى مكانهم، إذن هذه الجمل أعادها لإثبات الجانب المتعلق بالمشيئة والقدرة أو كما بالتفصيل الذي ذكرته.

في هذه النصوص أيضًا أن الله ﷻ قد يخص بعض المخلوقات بالنظر والاجتماع ولكن هذا النظر والاجتماع نظر واجتماع خاص، أما النظر والاجتماع العام فهذا عام، وقد يكون هناك نظر واجتماع خاص وهو بمعنى القرب البعيد.

﴿قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[طه:٤٦]

أسمع كلامكم لأجيب ما تقولون، وهكذا، وسمعه ورؤيته في هذه الآيات وما بعدها يراد به إذا كان السمع والرؤية الخاصة يراد به إثبات علمه بذلك وأنه يعلم ذلك هل هو خير أو شر ويثيب على الحسنات ويعاقب على السيئات.

وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾[العلق:١٤] الآن، ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء:٢١٨]، ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[الشعراء:٢١٩] ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء:٢٢٠]، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾[التوبة:١٠٥] بعد وجوده، {وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} [التوبة:١٠٥]

وكما قلنا هذه الآيات ساقها لإثبات هذا الجانب الذي يخالف فيها من يوافقنا في إثبات هاتين الصفتين، وهم الكلابية وفروعهم من الأشاعرة والماتريدية.

ثم قال شيخ الإسلام وقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾[الرعد:١٣] وقوله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[آل عمران:٥٤]، وقوله: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[النمل:٥٠] وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾[الطارق:١٥]، ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق:١٦]

في هذه الفقرة ذكر الصفات التي تطلق على الله ﷻ على سبيل التقابل والمقابلة، ولا يجوز إطلاق هذه الألفاظ على الله ﷻ أفعالًا إلا على ما ورد، يمكر بمن يمكر، ويكيد بمن يكيد، ويستهزئ بمن يستهزئ، لا يجوز إطلاقها هذه الصفات إلا على سبيل ما ورد، وكذلك يخادع وكذلك يمكر، أيضًا لا

يشتق له منها أسماء، لا يقال مثلًا المخادع والماكر والكائد، لا يجوز، ولا يجوز أيضًا استعمالها على وجه الإخبار، حتى على وجه الإخبار لا يجوز استعمالها لله ﷻ إلا بذكر المقابل.

يقول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾[الرعد: ١٣]

﴿الْمِحَالِ﴾ :

معناه أن الله ﷻ شديد الأخذ بالعقوبة.

وقيل: المحال بمعنى المكر وهي من الممحالة وهي شدة المماكرة، فهو سبحانه شديد المكر والكيد لأعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون، ويبدو من سياق المذكور هنا من سياق ما ذكره شيخ الإسلام أنه يختار.

المعنى الثاني أو على الأقل في هذا الموضع وأن المحال بمعنى المكر، ظاهر صنيعه هنا أنه يريد بها بمعنى المكر لأنه ذكرها في المكر والكيد، المكر والكيد معناهما التوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصم، وهذا قد يكون محمودًا وقد يكون مذمومًا، قد يكون محمودًا إذا كان في محله، قد يكون مذمومًا إذا لم يكن في محله.

علي بن أبي طالب ﷺ لما خرج للمبارزة ووصل إلى مبارزه نادى بأعلى صوته وقال: إنني لم أخرج لأبارز اثنين، هكذا، وهذا كان منه ﷺ مكرًا لأن هذا الذي خرج لم يخرج ليهنئه، خرج ليقتله، وفوجئ بهذا الصوت واندهش، فضربه وقتله، مثل هذا مكر بمن يستحق المكر والكيد، يستحق، وهذا محمود، ومثل هذه الأسماء من أسباب عدك إطلاقها على الله ﷻ؛ لأن أسماء الله ﷻ كلها حسنى، وليس فيها ما هو غير الحسن، وكما قال العلماء: لا تقديرًا ولا وهمًا، فما يكون مذمومًا لا يطلق على الله ﷻ على الإطلاق.

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[النمل: ٥٠]

هذا في قوم صالح، قوم صالح الذين كانوا هناك التسعة الرهط تشاوروا فيما بينهم.

﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾[النمل: ٤٩]

واتفقوا على قتله وذهبوا، الله ﷻ أهلكهم قبل أن يذهبوا، ولكن كيف أهلكوا؟ قال بعض المفسرين أنه انطبق عليهم الغار وذكروا أمرًا آخر ولكنهم لم يصلوا إلى ما كانوا يريدون، والله ﷻ نجى صالحًا، ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[النمل: ٥٠]

وفي قوله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾[آل عمران: ٥٤]

هذا ورد هذا نزل في عيسى عليه السلام لما أحاطوا به وأرادوا، اليهود أحاطوا به وأرادوا قتله، ودخل ذلك الشقي ليباشر قتله.

﴿وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[آل عمران: ٥٤]

الله ﷻ جعله شبيهًا بعيسى وعيسى عليه السلام رفعه إليه، فلما دخلوا قالوا: أنت عيسى، هو يقول: لست عيسى، لا، أنت عيسى؛ فقتلوه، فهذا هو المكر بمن يمكر بأولياء الله ﷻ، الله يقول هنا: ﴿خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[آل عمران: ٥٤] ولم يقل: أمكر الماكرين؛ لأن المكر بمن يستحق يوصف بهذا.

ويقول الله عز: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[الطارق: ١٦] هذا في النبي ﷺ، لما جمعوا، لما اجتمعوا وأرادوا قتله؛ ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾[الأنفال: ٣٠]، الله ﷻ أخرجه سالمًا غانمًا، وأفشلهم، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[الطارق: ١٥، ١٦] وكما قلت هذه الصفات لا يجوز إطلاقها إلا على سبيل المقابلة.

وقوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩] وقوله: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون: ٨]، وقوله عن إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[ص: ٨٢]

في هذه الآيات الكريمات الأربعة إثبات صفة العفو والمغفرة والرحمة والعزة، صفة الرحمة سبق أن أورد لها شيخ الإسلام أورد لها عددًا من الآيات؛ ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧] سبقت الآيات في ذلك.

ومن المسائل التي تتعلق بالرحمة ونبهنا عليها أحد الإخوة:

أن الرحمة المضافة إلى الله ﷻ تنقسم إلى قسمين، الرحمة المضافة إلى الله ﷻ تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: قسم يضاف إليه من إضافة الصفة إلى الموصوف، بإضافة الصفة إلى الموصوف، كما في قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف: ١٥٦]، إضافتها إلى الله ﷻ لأنه صفة.

وأيضًا كما في قوله: «برحمتك أستغيث».

القسم الثاني: قسم يضاف إلى الله ﷻ من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، وهي رحمة مخلوقة، ومنها قول النبي ﷺ: «إن الله خلق مائة رحمة» وهذه رحمة مخلوقة، ومنها قول الله ﷻ للجنة: «أنتِ رحمتي أرحم بك من أشاء» والحديثان متفق عليهما.

بقي هنا العفو والمغفرة والعزة، العفو صفة ذاتية فعلية مثل الرحمة، ومعنى العفو التجاوز عن الذنب وترك العقاب، التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس، كما قال الشاعر:

عفت الديار محلها فمقامها ... بمنى تأبد غولها فرجامها

منى هذا موضع وليس منى المعروف، عفت الديار، محلها هو الذي تقيم فيه قليلًا والمقام هو المحل الذي تقيم فيه أكثر، كلها اندثرت، تأبد أي توحش، الغول والرجام موضعان معروفان.

فالعفو أصله المحو والطمس، ولذلك صفة العفو أبلغ من صفة المغفرة؛ لأن المغفرة هو الستر فقط، هي مأخوذة من المغفر، هي الستر فقط، والعفو إزالة الأثر، وأبلغ من العفو الصفح؛ لأن هي في الترتيب: المغفرة والعفو والصفح، والصفح كما قلت أبلغ من العفو لأنه لا لوم معه ولا تثريب، والصفح مأخوذ من صفحة العنق؛ لأنك لما تتجاوز عنه تجعله في العنق، وهذه الصفة الله ﷻ أثبتها لنفسه، وفي هذه الآيات إثباتها.

﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾[النساء: ١٤٩]

يعني ما تأتون به من الخير سواءً تظهرونه أو تخفونه، والخير هو الأعمال الصالحة عمومًا.

﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾[النساء: ١٤٩]

ذكره بخصوصه ذكر هذا الخاص بعد العام لأهميته ولإبرازه.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾[النساء: ١٤٩]

فالله ﷻ سيعفو عنكم مقابل عفوكم عن الناس.

وذكر هنا قرن بين هذين الاسمين، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾[النساء:١٤٩] قرن بين العفو والقدرة؛ لأن العفو مع العجز لا يُمدح عليه الإنسان، أنت لما تعفو عمن لا تصل إليه ما سويت شيئًا، العفو مع القدرة هذا الذي يُمدح عليه الإنسان.

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[النور:٢٢]

وليعفوا: اللام هنا للأمر، واللام إذا كان للأمر تسكن إذا كانت بعد الواو أو بعد الفاء أو بعد ثم، أما لام التعليل فتكون مكسورةً دائمًا.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون:٨]، ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[ص:٨٢].

العزة الله ﷻ أثبتها لنفسه، ومعنى هذه الصفة دائر على ثلاثة معان، على القوة والامتناع والغلبة، على القوة والامتناع والغلبة، يقول شيخ الإسلام: فإن العرب تقول: عزَّ يعَز، بالفتح إذا قوي وصلت، وعزَّ يعِز، بالكسر إذا امتنع، وعزَّ يعُز، بالضم إذا غلب، والعزة تشتمل هذه المعاني الثلاثة.

بالنسبة للعفو والمغفرة وغيرها من صفات الفعل يؤلها المعتزلة بأثرها، ويؤلها الأشاعرة والماتريدية بالإرادة؛ لأنهم يثبتون صفة الإرادة، ويرجعون إلى صفة الإرادة، أما المعتزلة لا يثبتون صفة الإرادة، وبالتالي يؤولونها بأثرها، هذا كله تأويل، وهذا التأويل فيه نفي لهذه الصفة، مما يدل على بطلان هذا التأويل، يرجع إلى أصل الصفة بالنفي مما يدل على بطلان هذا التأويل.

ثم قال: وقوله: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[الرحمن:٧٨].

هذه الآية الكريمة فيها وصف أسماء الله ﷻ بأنها تبارك، تباركت، والبركة لغةً النماء والزيادة، والتبريك هو الدعاء بذلك، وتبارك معناه تعاظم وعلا وارتفع شأنه، تبارك فعل ماض، وهو خاص بالله ﷻ.

والبركة نوعان:

الأول: بركة هي فعل الله ﷻ، والفعل منها بارك ومنه مبارك أي من جعل الله ﷻ فيه البركة، النبي ﷺ مبارك.

والثاني: بركة تضاف إليه إضافة الرحمة إلى العزة أي إضافة الصفة إلى الموصوف، والفعل منها تبارك، وتبارك لا يصلح إلا الله ﷻ ، لا يطلق على غير الله ﷻ، تبارك اسم مضاف إلى كلمة ربك، وهذا يشمل ويعم جميع أسماء الله ﷻ، فجميع أسماء الله ﷻوصفها الله ﷻ أنها تباركت، فشأنها رفيع، وأمرها عظيم، ومن عظمتها أنك لما تذبح لا بد أن تذكر اسم الله ﷻ فبذكر اسمه يحل هذا المذبوح وبعدم ذكره لا يحل، ومن عظمة أسماء الله ﷻ أنها أسماؤه فتقدس.

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[الأعلى: ١]:

فتقدس وتنزه عما لا يليق بالله ﷻ بالتالي عما لا يليق بهذه الأسماء، لا تفهم إلا على ما يليق بالله ﷻ.

ورد فسبح باسم ربك تسبح الله ﷻ بذكر أسمائه، ورد أيضًا اسم ربك الأعلى، فأسماء الله ﷻ يجب أن تقدسها وتنزهها، فهذا الذي لم يوفق إليه المتكلمون عمومًا، وقعوا في شيء من نسبة العيوب من نسبة النقائص إليها من مستقل ومستكثر، ويجب أن ننزهها ونقدسها؛ لأنها أسماء ﷻ.

﴿ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[الرحمن: ٧٨] هذا الوصف لله ﷻ.

﴿ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾:

الله ﷻ ذو الجلال والإكرام، الجلال العظمة في نفسه والإكرام العظمة في قلوب المؤمنين؛ لأن الله ﷻ يكرمهم ويكرمونه، يكرمونه بمعنى أنهم يعتقدون فيه هذه العظمة، فالجلال العظمة في نفسه والإكرام العظمة في قلوب المؤمنين، **﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[الرحمن: ٧٨]**

ثم ذكر شيخ الإسلام آيات كثيرةً تقريبًا تسع آيات، ذكرها في موضوع واحد، من قوله: **﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم: ٦٥]** من هنا إلى نهاية قوله: **﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف: ٣٣]** هذا التفصيل وهذه الفقرات لا بد أن ننتبه لها، ولذلك أنا أركز عليها؛ لأن شيخ الإسلام يسرد طائفةً من الآيات وسيكون هذا في الحديث أيضًا لإثبات مسألة واحدة.

الطالب:...

الشيخ: لا، لا، هذا غير، ويجوز أيضًا أن تجعلها لأن فيها كلمة تبارك، يجوز أيضًا أن نجعلها معها؛ لأن كلمة تبارك وكلمة سبحان هذه فيها النفي فيها الإثبات المجمل، وتصلح أيضًا للنفي المجمل،

سبحان أي ننزهه عن كل عيب، تبارك أثبت له جميع المحامد، فيصلح أن تكون معها ولكن من قوله: ﴿فَاعْبُدْهُ﴾[مريم:٦٥] إلى قوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٣] هذه فقرة واحدة، هذا أنسب.

في هذه الفقرة ذكر شيخ الإسلام الآيات التي تتعلق بتنزيه الله ﷻ عن النقائص، بتنزيه الله ﷻ وبتقديسه عن النقائص، وتنزيه الله ﷻ عن النقائص تارةً يكون بنفي العيب والتنصيص على ذلك العيب بخصوصه وتارةً يكون بإثبات ضده نصًا وإلا عمومًا إذا نص على نفي عيب معين فهو لإثبات كمال ضد هذه الصفة، هذا عمومًا ولكن هذا قد يقع نصًا.

في هذه الآيات أيضًا يبين شيخ الإسلام منهج أهل السنة والجماعة في الإجمال في النفي، الإجمال في النفي والتفصيل في ماذا؟ في الإثبات، وكما قلت سابقًا حتى الإثبات قد يكون فيه إجمالًا كما في قوله: تبارك، وكما في قوله: الحمد لله، ولكن عمومًا التفصيل يكون في الإثبات والإجمال يكون في النفي.

في قوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم:٦٥] الفاء هنا متعلقة بما قبلها؛ ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ﴾[مريم:٦٥]، ما دام أن الله ﷻ هو رب السموات والأرض، فأنت تعبد غيره؟! لا يجوز، مترتب على ما سبق.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، ذكرت سابقًا أن هذه الآية التي في سورة مريم تجمع بين أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الإلوهية وتوحيد الأسماء والصفات، وفي هذه الآية أيضًا إشارة إلى العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة، العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة، ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ﴾ كلمة ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هذه نكون بينهما، ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هذا فيه إيش؟

توحيد الربوبية، والربوبية كما قلنا تشمل الإيجاد، هو الذي أوجدها، وهو الذي يربيها بمدها بما يصلح به قيامها، يدخل في ذلك الرزق وغيره، فهو رب السماوات والأرض وما بينهما، ما دام هو رب السماوات والأرض وما بينهما ماذا نقول في العلاقة بين توحيد الإلوهية والربوبية؟

أن الربوبية تستلزم الإلوهية، فاعبده، الفاء هذه تدل على هذه العلاقة، إذن الربوبية تستلزم ماذا؟ الإلوهية، واضح؟ واضح العلاقة؟

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم: ٦٥] لماذا تخصه بالعبادة؟

لأنك لن تعلم له سميًا، سميًا أي شبيهًا يشبهه يشابهه يساميه في صفات الكمال، الله ﷻ لماذا توحده وتفرده بالعبادة؟ لأنه هو الذي يتصف بصفات الكمال، هو الذي يستحق صفات الكمال، الحمد لله صفات الكمال يستحقها من؟ هي لمن؟ لله ﷻ.

وتوحيد الإلوهية يتضمن توحيد الربوبية، ما دام أنك تفرده بالعبادة لماذا تفرده بالعبادة؟ لأنه هو ربك، إذن عملت بالعلاقة بينهما، أيضًا توحيد الإلوهية يتضمن توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الربوبية، والرب اسم من أسماء الله ﷻ وفي هذه الآية جمع بين أنواع التوحيد الثلاثة، وفيها إشارة إلى العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ٤]

سبق أن ﴿كُفُوًا أَحَدٌ﴾ هذه القراءة قراءة نافع، كفوًا أحد، يغفلها ويهمزها، وهذا خطأ، كفوًا أحد، وقراءة أخرى: كفأً، وهذه القراءة قراءة نافع التي نقرأ عليها كفوًا.

﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٢] هذا أيضًا فيه نفي مجمل.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم: ٦٥] هذا نفي مجمل، أيضًا أي ليس هناك من يساميه أحد.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ٤] هذا أيضًا اقتصر شيخ الإسلام هنا على هذه الجملة؛ لأن الفقرة فيها هذه القاعدة النفي المجمل.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ هذا أيضًا من النفي المجمل.

﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ سواء كانوا ملائكةً سواء كانوا رسلًا أنبياء، لا تجعلوا لله أندادًا، والأنداد هم الشركاء من الند والند هو الشريك والنظير.

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾[البقرة: ١٦٥]

أي: يصرفون لهم الحب الذي لا يصلح إلا لله ﷻ، هذا معنى من المعاني، من معاني هذه الآية يحبونهم كحب الله، الحب الذي لا يجوز أن يصرف إلا الله ﷻ يصرفونه للأنداد، وهو ذلك الحب الذي فيه الذل والمحبة والتعظيم، هذا الحب لا يجوز لغير الله ﷻ، واضح؟

وهذا الذي يقع فيه الشرك، الحب الذي يجمع بين الذل والتعظيم والمحبة، هذا لا يجوز صرفه لغير الله ﷻ فإذا أحب شخص غير الله ﷻ هذا الحب فشركه أعظم، أكبر، مخرج من الملة.

﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ :

هذا المعنى، هذا معنى من المعاني، ومعنى آخر يحبونهم كحب الله أي أنهم يحبون الله ﷻ أثبت لهم أنهم يحبون الله ﷻ، كما يحبونهم، يحبون الأنداد، كحب الله كما يحبون الله ﷻ، هذا فيه إثبات أنهم يحبون الله ﷻ ولكنهم بما أنهم يحبونه ويحبون غيره فهم مشركون ؛

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾؛

لأن حبهم خالص ومحض لله ﷻ، أما أولئك فأحبوا الله ﷻ وأحبوا غيره فوقعوا في الشرك في المحبة.

وهنا الشاهد هنا: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾[البقرة:١٦٥]

من دون الله لا يجوز أن تتخذ من دون الله ﷻ كائنًا من كان أندادًا، هذا نفي مجمل.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[الإسراء:١١١]

الله ﷻ يوالي المؤمنين، ومن أسمائه الودود، فهو يوالي المؤمنين، ويوالهم لرحمته وحكمته، ويواليهم لنعمته وإحسانه عليهم وجوده وإنعامه، ولا يوالي أحدًا من الذل، فلذلك هذا القيد: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾[الإسراء:١١١] ليس فيه نفي الولاية أبدًا، الله ﷻ يوالي أولياءه ولكن لا يوالي أحدًا من الذل.

﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ :

أي: عظمه تعظيمًا، الله ﷻ يستحق جميع أنواع التعظيم، جميع أنواع التعظيم، في قول النبي ﷺ: «أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله».

ذكرت لكم دائمًا أو في الغالب يأتي ذكر هذين الذكرين مقترنين، «ولا إله إلا الله، الله أكبر» الله أكبر في جميع صفاته، له من العظيمة والكبرياء ما يستحقه، ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾.

والذكر والأذكار عمومًا هي لترسيخ هذا المعنى في قلب المؤمن، الذكر عمومًا، المقصود من الذكر والأذكار ترسيخ هذا المعنى في قلب المؤمن، ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾.

هنا: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾[الإسراء: ١١١] هذا هو الشاهد، وفي هذه الآية اجتمع في هذه الآية الإثبات المجمل والنفي المجمل، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ هذا نفي مجمل، هل فصل في ليس له شريك لا من الأنبياء ولا من الرسل ولا من الملائكة؟ لا، ولم يكن له شريك.

في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الإثبات المجمل.

وفي قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ نفي مجمل.

وقوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[التغابن: ١]

في هذه الآية أيضًا جمع بين النفي المجمل والإثبات المجمل:

الإثبات المجمل في قوله: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾.

والنفي المجمل في قوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ ؛ لأن كلمة سبحان هو تنزيه الله ﷻ عن النقائص، عن جميع النقائص بدون تحديد عيب أو نقص، جميع النقائص.

وهنا الله ﷻ يأمرنا بالتسبيح ولكن بصيغة غريبة؛ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ في هذه الآية أمر بتسبيح الله ﷻ وبتنزيهه وبتقديسه، ولكن كيف؟

أخبرنا الله ﷻ أنه يسبح له ما في السموات وما في الأرض، وأنت لا تسبح؛ لا بد أن تسبحه، وهذا التسبيح الذي أخبرنا الله ﷻ عنه تسبيح حقيقي، بعضهم قال: هذا التسبيح بلسان الحال وليس بلسان المقال.

والصحيح أنه بلسان المقال، الله ﷻ يقول: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، هذا القيد لبيان أن هذا التسبيح لا يمكنكم أن تفقهوه؛ لأن هذا يسبح، كيف يسبح؟

أما تسبيحه تسبيح هذا الجبل وتسبيح هذه المخلوقات، أفقهه أنا لا يخفي علي، هذه المخلوقات كلها تسبيحها وتنزيهها لله ﷻ بلسان الحال شيء لا يخفي عليه، أليس كذلك؟

إذن لا تفقهون تسبيحهم، هذا القيد لبيان أن هذا التسبيح الذي أخبر الله ﷻ عنه لا يمكنك أن تفقهه، وبالتالي هو تسبيح حقيقي، ولكن سبحان الله من الذي يخبرنا أن هذه تسبح؟ خالقها، أليس كذلك؟

لو يأتي مهندس أو يأتي فيزيائي ولا كيميائي ولا ما أدري إيش ويقول: هذه تسبح، نحن سنحقق معه، نستفسر كيف؟ خالق هذه السموات يخبرنا أنه إيش؟ تسبح، وليس لنا إلا بهذا التأكيد: ﴿وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[الإسراء: ٤٤] ليس لنا إلا الإيمان.

من الفلاسفة من يقول ومنهم أرسطو أن الأجرام العلوية الكواكب العلوية هذه هي مخلوقات مريدة ولها إرادتها ولها اختيارها ولها تصرفها في العالم السفلي، هم يعتقدون فيها، لماذا هذه لما تذهبون إلى اليونان تجدون هذه الهياكل هناك، وكان هكذا حال قوم إبراهيم ﷺ، كانوا يعتقدون فيها الربوبية، فأولئك يعتقدون أن تلك الأجرام لها تصرف وهي أجرام عاقلة.

ومن المتكلمين من قلده في ذلك، من المتكلمين وهو معروف فخر الدين الرازي، فخر الدين الرازي الذي له التفسير، قلدهم في ذلك، له نصوص يكاد يصرح بل يكون هو صرح بهذا، ولكن لما جاء إلى هذه الآية، وفي هذه الآية من يخبرنا؟ الله ﷻ، قال: لأن هذه جمادات ولا يمكن أن تكون مسبحةً بلسان المقال وبالتالي تأول الآية إلى أن هذا التسبيح بلسان، سبحان الله، أخبرك أرسطو بهذه الخرافة فآمنت بها وأخبرك رب الأرض والسموات ولم تؤمن بها؟! هذا يقودنا إلى شيء لماذا التأويل؟

من أسباب التأويل الاستبعاد.

ولكن لماذا تستبعد؟ لماذا تستبعد؟

هو الذي خلقها وهو الذي يخبرك عنها، لماذا أخبرك عنها؟ حتى تؤمن، ترى هذا فيه اختبار أيضًا هذا فيه اختبار أيضًا، لا بد أن تؤمن وتثق بكلام رب العالمين، هو الذي خلقها ويخبرك عنها، فنحن نعتقد أن تسبيحها بلسان المقال وليس بلسان الحال.

وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾[الفرقان: ١، ٢]، هذا هو الشاهد:

قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ﴾ شريك في الملك، أي شريك، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان: ٢] وفيه أيضًا قوله: ﴿تَبَارَكَ﴾ وفيه الإثبات المجمل.

وقوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾[المؤمنون: ٩١]:

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾، من هذه لتنصيص العموم، تجعل العام عام نصًا، ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾، لأن العام قد يكون ظاهرًا، فمن هذه تجعله نصًا، أو بعبارة أخرى تؤكد العموم، ﴿إذن لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾[المؤمنون: ٩١].

﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ وما كان معه من إله أي ما كان معه من رب يستحق العبادة، واضح؟

ركزوا معي، وما كان مع من إله أي ما كان معه من رب يستحق العبادة، هذا أيضًا يدلنا على التلازم بين الربوبية والإلوهية؛ لأن الإله المعبود لا ينبغي أن يكون إلهًا إلا وهو رب، ولذلك دائمًا الله ﷻ لما يذكر ربوبيته في القرآن يذكره دليلًا على إلوهيته، وهذا من الأدلة وخاصةً على مشركي قريش الذين كانوا يعترفون بربوبية الله ﷻ، هو دليل عليهم، حجة على الجميع وعليهم خصوصًا.

فهنا: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾، وما كان معه من إله أي رب يستحق العبادة، لماذا أخذنا هذا؟ من قوله: ﴿إذن لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ ، ما دام أنت جعلته إلهًا المفروض يكون ربًا والرب يخلق، ﴿إذن لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.

هذه الآية التي في سورة المؤمنون، هذه الآية في دليل التمانع، وهذا التمانع هنا كما تشير إليه الآية إذا كان هناك إله آخر خالق آخر، فكل خالق سيحاول الاستقلال بما خلق، إذن لذهب كل إله بما خلق، أليس كذلك؟ بما أنه إله هل سيرضى أن يدخل تحت سيطرة إله آخر؟ أبدًا، المحاولة هنا، ﴿إذن لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ ، كل إله يحاول الاستقلال بما خلق،﴿وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ولحصل تمانع في الربوبية، والنتيجة أن أحدهم يقهر الآخر، ومن النتائج أيضًا أن يكون تفاوت وخلل في الخلق بينما المشاهد عدم وجود هذا التفاوت وعدم وجود هذا الخلق، والخلق من ذراته إلى أصغر شيء إلى أكبر شيء يدل على أن النواميس واحد.

سبحان الله، بعض الفيزيائيين لما رأوا هذه الوحدة في النواميس هذا أداهم إلى الإيمان، سبحان الله؛ هذه النواميس نواميس الكون التي لا اختلاف فيها هذه الأمور أدتهم إلى الإيمان، ليس هناك تفاوت في خلق الله ﷻ مما يدل على أن الرب واحد والمستحق للعبودية واحد، واضح؟ هذه الآية أقرب إلى التمانع.

أما الآية الأخرى التي يذكرها المتكلمون:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ ﴾[الأنبياء:٢٢]،

هذه ليست تمانع في الخلق، تمانع في الربوبية، هناك في الإلوهية.

هنا: ﴿فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[المؤمنون:٩٢].

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[المؤمنون:٩١]، ﴿فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[المؤمنون:٩٢] هذا هو الشاهد.

وقوله: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:٧٤]، لا تضربوا لله الأمثال، ضرب المثل هو تشبيه حال بحال، فلا تشبهوا الله عز بأحد، هذا فيه نفي.

مثل قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١]، ومثل قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم:٦٥]، ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ﴾[النحل:٧٤] أي لا تشبهوا أحدًا بالله ﷻ لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال.

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾[الأعراف:٣٣]، الفواحش هي التي تناهت في الفحش في القبح، الفواحش هي التي تناهت في القبح إلى المعاص، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ﴾[الأعراف:٣٣]، الإثم المعاصي العامة، ﴿وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣].

الشاهد هنا: وأن تشركوا بالله، لأن فيها نفي مجمل، وكما قلنا في هذه الآيات الكريمات نزه الله ﷻ نفسه عن النقائص تارةً بنفيها وتارةً بإثبات أضدادها، وذكرنا سابقًا أن مجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال؛ لأن النفي المحض عدم محض، ولا يمدح الشيء بالعدم المحض، لما أقول: هذا الكرسي ليس بكذا وليس بكذا، ما الذي أثبته له؟ إذا أثبت له شيئًا ونفيت عنه النقائص يكون هذا مدحًا.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]، فِي ستة مَوَاضِعَ.

وقوله: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران:٥٥]، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨]

وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر:١٠]

وقوله تعالى:﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾[غافر:٣٧].

وقوله: ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾[الملك:١٦ - ١٧].

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الحديد:٤].

وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[المجادلة:٧].

وقوله تعالى: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة:٤٠].

وقوله: ﴿قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[طه:٤٦].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[النحل:١٢٨]، ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[الأنفال:٤٦].

وقوله: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[البقرة:٢٤٩].

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد:

في هذه الآيات التي ذكرها شيخ الإسلام من قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه: ٥] إلى قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[الحديد: ٤] في سورة الحديد.

في هذه الآيات إثبات صفة الاستواء، والاستواء علو خاص، ولذلك الآيات التي وردت في إثبات هذه الصفة تذكر لإثبات صفة العلو، من أدلة إثبات صفة العلو الآيات التي وردت لإثبات صفة الاستواء، والاستواء علو خاص، خاص بالعرش، لا يقال: استوى على الأرض، استوى على السماء، استوى على العالم، لا، هذا خاص بالعرش، وكما قلت هذا استواء خاص، علو خاص، إذن الاستواء يدل على العلو، والاستواء هو العلو والارتفاع.

والفرق بين صفة الاستواء وبين صفة العلو أن الاستواء صفة فعلية، الاستواء صفة فعلية تتعلق بمشيئته وقدرته، هي من الصفات الاختيارية، أما العلو فصفة ذاتية أزلية، لا تنفك الذات المقدسة أزلًا وأبدًا.

مما يدل على أن هذا الصفة صفة اختيارية:

قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[الأعراف: ٥٤]، إذن هذا الاستواء كان بعد خلق السموات والأرض ولم يكن قبلها، مما يدل على أن هذه الصفة تتعلق بمشيئته وقدرته، ولا يصلح أن هذه الصفة باعتبار قدرته قديمة وباعتبار اتصاف الله ﷻ بها فعلية، هذا لا أظنه صحيحًا، بل هذه الصفات الفعلية الاختيارية التي فعلها الله ﷻ بعد أن لم يكن متصفًا بها.

والله ﷻ يتصف بالصفات فعلية ويتصف بالصفات الأزلية والذاتية، وكونه يتصف بالصفات التي تليق به في المكان الذي في الوقت الذين يناسبه هذا هو الكمال، ليس من الكمال أن تجعل جميع الصفات أزليةً بحجة أن خلوه سبحانه عن بعض صفاته في بعض الأوقات هذا نقص، أبدًا، أنت تجعل الصفات الأزلية تجعلها فعلية أو تجعل الفعلية أزلية، هذا خلط، فنثبت الصفات كما أثبتها الله ﷻ لنفسه وكما أثبتها النبي ﷺ لربه، وهذا الصفة كما قلنا هي من الصفات الفعلية الاختيارية، وهذه الصفة تمدح الله ﷻ بها في عدد من هذه المواضع، قد أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها، كيف استوى على العرش؟

ما أخبرنا عن كيفيتها.

لذلك لما جاء ذلك السائل وسأل إمام دار الهجرة الإمام مالكًا، قال له: كيف استوى؟ علاه الرحضاء تعرق، يعني وقع هذا السؤال عليه كان شديدًا، وأطرق مليًا ثم قال له: **الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا**، فأمر به فأخرج.

أحد المتنورين كما يقولون الآن الناس بدءوا يأخذون النور من غير الكتاب والسنة، فبدءوا يعيبون الذين يلتزمون الكتاب والسنة يطلقون عليهم الظلاميين، وهم بكل ظلام أليق، فالنور هو في الكتاب والسنة، والنور تأخذه من الكتاب والسنة، ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ**﴾[الشورى: ٥٢]، نعم، إذا أردت أن تعرف الحق فهذا الذي ينير لك الطرق.

المهم بعض من سمعت له أنه يصف بعض أهل العلم بالظلاميين وهذه سبحان الله كلمات، فأحد هؤلاء يعلق على أثر الإمام مالك، له كتاب يرد فيه على شيخ الإسلام في المنطق، يرد على كتاب نقض المنطق، وهو دكتور يدرس في جامعة عريقة من بعض الجامعات، يقول: الآن الناس تنورت، وما صاروا تقنعهم مثل هذه الجمل، أَخرجه، اخرج، ما صاروا يقتنعون بمثل هذه، ولا بد أن تقنعهم، إذا أما أقنعك كتاب الله وسنة رسوله نقنعك بماذا؟

فهذه كلمة الإمام مالك غدت قاعدةً عامةً عند أهل السنة والجماعة:

الاستواء معلوم كلمة مباركة جدًا، الاستواء معلوم معناه معلوم العلو والارتفاع، ولكن الكيف مجهول.

ثم قال: السؤال عنه بدعة، لماذا؟

لأن الله ﷻ لم يخبرنا كيف استوى، تسألني عن شيء لم يرد في الكتاب والسنة.

هذا أولًا.

ثانيًا: الصحابة لم يسألوا هذا السؤال، لم يستشكلوا هذا الإشكال، لم يستشكلوا هكذا، ولذلك أمر به فأخرج.

ذكر شيخ الإسلام في التدمرية قاعدةً مستقلةً، بين فيها أن النصوص الواردة في صفات الله ﷻ وفي أسماء الله ﷻ لها جانبان:

جانب: يمكننا أن نفهمه، ولا بد من التدبر فيها.

وجانب: لا يمكننا أن نفهمه ولا يجوز أن نتقحمه، لا يجوز أن نقحم أنفسنا.

الجانب الذي يمكننا أن نعلمه وأمرنا بالتدبر فيه معرفة المعنى.

هذه الأسماء وهذه الصفات كلها تدل على معان، أسماء الله ﷻ قولًا واحدًا عند أهل السنة كلها مشتقة، كلها مشتقة، ومعنى قولنا أنها مشتقة أنها تتضمن وتشتمل على معان، وهذه المعاني هي الصفات، وهذه الصفات لا بد أن نتدبرها، نتدبر في معانيها حتى نتعبد من خلالها، على أساسها ووفقها، هذا الجانب نحن كلفنا بمعرفته ويمكننا أن نعرفه، ولا بد من التدبر فيه؛ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[القمر:١٧].

وجانب آخر لا يمكننا أن نعرفه، ولا يجوز أن نتدبر فيه أصلًا، لا يجوز، وهو جانب الكيف، مهما حاولت أن تعرف كيفية استواء الله ﷻوكيفية يد الله ﷻ وكيفية عين الله ﷻ وكيفية بقية صفاته لا يمكنك أن تعرف، هذا الجانب لا نتقحمه.

المبتدعة يخلطون، يخلطون في هذين الأمرين، فبعضهم الجانب الذي نعرفه لأجله يوحدون الباب كله ويقولون: كل الصفات بإمكاننا أن نعلمها، وبالتالي يأخذون بالتأويل، وبعضهم يقولون: بما أن هناك جانبًا لا نعلمه لا نتدبر فيها أصلًا، فيجعلونها كلها بابًا واحدة؛ وهم المفوضة.

والصحيح أن المعاني معلومة، قد يجلها البعض يجب عليه أن يتعلمها يسأل أهل العلم؛ ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:٤٣]

وهذا الجانب يبدو ويظهر بأوضح ما يكون في هذه الصفات، الله ﷻ استوى على العرش، أولًا: ما هو العرش؟

لا بد أن نعلم أن هؤلاء الذين يخالفون في الاستواء يخالفوننا في العرش أيضًا، يخالفوننا في العرش، العرش مخلوق من مخلوقات الله عز، بل هو أعظم المخلوقات على الإطلاق، له قواعد، والله ﷻ وصف هذا العرش بأنه مجيد، ووصفه بأوصاف من أوصافه أن له قواعد، ومن أوصافه أن له حملة، حملة العرش الذين يطلق عليهم بعض أهل العلم بأنهم كروبيون، وهذا العرش هو الذي خصت به هذه الصفة الاستواء، وكما قلت لا يجوز أن تطلق وتضاف إلى غير العرش، والذين يخالفوننا في الاستواء

يخالفوننا في العرش أيضًا الأشاعرة وغيرهم، يقولون: العرش هو الملك، لا، العرش مخلوق معين وصف بصفات معروفة لا بد أن نؤمن بالعرش ونؤمن بهذه الصفات التي وردت لهذا المخلوق في نصوص الكتاب والسنة، هذا هو.

ثانيًا: الله ﷻ كما قلت تمدح بهذه الصفة، من ذلك قوله سبحانه في بداية سورة طه: ﴿**طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى**﴾[طه: ٣ - ١]، هذا الكتاب ما أنزل ليكون سببًا لشقاوتك، لا، ومن الذي أنزله؟

﴿**تَنزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى**﴾[طه: ٤]

الله ﷻ لا يعجزه أن يقهر الجميع على قبوله، هو ليس بحاجة إلينا، أبدًا.

ثم قال: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[طه: ٥] تمدح بهذه الصفة، يأتي هذا المبتدع ويقول: الاستواء يستلزم الاحتياج والافتقار، والمستوي يحتاج إلى ما يكون يستوي عليه ويخر ويسقط بسقوطه، وهذا لا يليق بالله ﷻ، وبالتالي لا نثبته لله ﷻ، سبحان الله، من أنت حتى تقرر تثبت ولا ما تثبت؟ عليك أن تؤمن بما أثبته الله ﷻ لنفسه.

وبما أن هذه الصفة الله ﷻ أثبته له تكون لائقةً بكماله وجلاله، واضح؟ تنزهها تقدسها، كما ذكرنا في أسماء الله ﷻ، أسماء الله عز وصفاته تنزهها تقدسها، لا بد أن تعلم أنها كما تليق بكماله وجلاله، الله عز هو الذي خلق العرش، هو بحاجة إلى العرش؟

﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ**﴾[الروم: ٢٥]،

العرش بحاجة إلى الله ﷻ في خلقه، هو الذي خلقه وهو الذي يبقيه، ليس بحاجة إلى العرش ﷻ، وبالتالي ما هي ا لحكمة في استوائه على العرش؟ مع أنه لم يخبرنا عن الكيفية، من الحكم أننا تعبدنا بهذا التكليف، لا بد أن نؤمن كما ورد ونتقيد بما يمكننا أن نعلمه ولا نتقحم ما لا يمكننا أن نعلمه.

شيخ الإسلام هنا أورد هذه الآيات كلها أولًا: للتأكيد على إثبات هذه الصفة، ثانيًا: لبين أن هذه الصفة ورد إثباتها بهذا النسق، ولم يأت في موضع منها أنه استولى مما يدل على أن المراد بالاستواء هو الاستيلاء، والاستواء في أشهر أقوال أهل العلم بمعنى العلو والارتفاع، وابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر أن لهذه الصفة لها أربعة معان، يقول:

فلهـــم عبـــارات عليـــه أربـــع قـــد حصـــلت للفـــارس الطعـــان
وهـــي اســـتقر وقـــد عـــلا وكـــذلك ارتفـــع الـــذي مـــا فيـــه مـــن نكـــران
وكـــذاك قـــد صـــعد الـــذي هـــو رابـــع

وأشهر هذه المعاني هي العلو والارتفاع.

والاستواء قد يعدى بعلى فيكون نصًا في العلو والارتفاع، وقد يعدى بـ(إلى) فيكون ظاهرًا في العلو، قد يعدى بعلى فيكون نصًا في العلو والارتفاع، وقد يعدى بـ (إلى) فيكون ظاهرًا في العلو والارتفاع، وأيضًا يكون بمعنى القصد، لذلك اختلفوا في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾[فصلت:١١]، إلى يأتي الاستواء بمعنى القصد إذا عدى بـ (إلى)، ذلك بعض أهل التفسير ابن كثير ذكر أن الاستواء هنا بمعنى القصد، ولكن شيخه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر الإجماع، ذكر الإجماع إجماع أهل السنة على أن الاستواء حتى هنا في قوله: إلى السماء، حتى هنا بمعنى العلو والارتفاع.

والمخالفون في هذه الصفة هم جميع المتكلمين، وأشهر تأويلاتهم أن الاستواء بمعنى الاستيلاء، الاستواء بمعنى الاستيلاء، كنت أقرأ وأنا في الطريق كنت أقرأ شرح الشيخ الفوزان للعقيدة الواسطية، طبعًا الرد عليهم طويل ويرد عليهم من وجوه كثيرة، مما أعجبني مما ذكره الشيخ أن الله ﷻ يقول هنا: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[الأعراف:٥٤] يقول: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[الأعراف:٥٤] لو كان الاستواء بمعنى الاستيلاء فالله ﷻخلق العرش قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، كما ورد في الحديث، لم يكن مستوليًا على العرش في هذه المدة الطويلة؟ استولى عليه بعدما خلق السماوات والأرض؟

يعني كان العرش خارجًا عن سيطرته واستيلائه في هذه المدة؟ ذكره الشيخ الفوزان، تنبيهٌ جميلٌ.

بعض هذه التأويلات تكفي لأن يرجعوا عما هم عليه، ولكن القوم كما تعرفون تحكمت فيهم هذه الشبه، فمضوا فيها وقصدهم في ذلك رد المدلول ورد الصفة بأي وجه.

قالوا: الاستواء بمعنى الاستيلاء.

نقول لهم: الاستيلاء يكون بعد مغالبة، الاستيلاء يكون بعد مغالبة، فمن الذي غالب الله ﷻ على عرشه حتى ا ستولى عليه؟ هل يصح أن أقول: استوليت على هذا الكرسي؟ يصح هذا؟

ما يصح؛ لأن الإخوة أكرموني وأجلسوني عليه وليس هناك من يغالبني عليه، فلا يصح لغةً أن أقول: استوليت على هذا الكرسي، لا يجوز، الاستيلاء لا يكون إلا بعد مغالبة، فمن الذي غالب الله ﷻ على عرشه حتى استولى عليه؟ قالوا: لا، استيلاء الله ﷻ لا مغالبة فيه وهو استيلاء يليق بكماله وجلاله، نقول لهم: هلا نزهتم وقدستم واحترمتم اللفظ الذي ذكره الله ﷻ هكذا؟

اللفظ الذي اخترتموه ونزهتموه وقدستموه واللفظ الذي أثبته الله ﷻ لنفسه جعلتموه مثل ما يليق بالمخلوق؟ لو مشيتم على هذا المنهج كما ذكرتم في الاستيلاء لكن هناك تأويل ولكن هناك ما تذكرونه من يستلزم، يستلزم، أبدًا، والرد عليهم في تأويلهم للاستواء بالاستيلاء من وجوه كثيرة، ولا نطيل فيها.

ونكتفي بهذا القدر، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وقوله: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران:٥٥]، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[النساء:١٥٨]

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر:١٠]

﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾[غافر:٣٦]، ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾[غافر:٣٧]

وقوله: ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾[الملك:١٦] ﴿أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾[الملك:١٧]،

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد:٤]

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد:

لا زال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في سرد الآيات فيها إثبات أسماء الله ﷻ وصفاته، وفي هذه الفقرة ذكر الآيات التي تدل على إثبات صفة العلو لله ﷻ، وصفة العلو صفة ذاتية، ومن الصفات الأزلية، من الصفات التي لا تنفك عنها الذات المقدسة، سبحانه وتعالى.

وهذه الصفة الأدلة عليها كثيرة جدًا حتى ذكروا أن الأدلة عليها أكثر من ألف دليل، وهي من أبرز الصفات التي اشتهر فيها خلاف المبتدعة مثل صفة الكلام والاستواء، والأدلة التي ذكرها شيخ الإسلام هنا هي عبارة عن نوعين من الأدلة، وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في النونية ذكر أدلة العلو واحدًا وعشرين نوعًا، حصرها في واحد وعشرين نوعًا، وكل نوع يشتمل على أدلة كثيرة.

فمثلًا من أنواع الأدلة هذا الذي ذكره شيخ الإسلام هنا: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران:٥٥]، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[النساء:١٥٨] ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر:١٠] هذا كله نوع واحد، ففيه بيان أن العمل الصالح يرتفع إلى الله ﷻ، وهذا لا يكون إلا في العلو أو إلى العلو.

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[النساء:١٥٨]

هذا يدل على أن الله عز في العلو، ورفعه إليه.

﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران: ٥٥]

هذه الآيات الثلاثة كلها من نوع واحد، وهكذا ذكر واحدًا وعشرين نوعًا، وكل نوع فيه أدلة كثيرة من القرآن ومن السنة:

فصعود الأشياء إلى الله ﷻ هذا نوع.

ومن الأنواع: ذكر العلو كما في قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[البقرة: ٢٥٥]

ومن الأنواع أيضًا: ذكر الفوقية؛ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾[النحل: ٥٠]، هذا نوع.

ومن الأنواع: نزول الأشياء منه، وهذا يدل على أن الله ﷻ في العلو؛ ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾[السجدة: ٥]، ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[الزمر: ١]، هذا كله فيه نزول الأشياء منه.

ومن الأنواع الأدلة التي فيها إخبار أن الله ﷻ في العلو أو في السماء، فقد ذكر منها هنا دليلًا واحدًا أو دليلين، الشاهد أن الأدلة على العلو كثيرة جدًا، وأدلة العلو الأدلة لإثبات صفة العلو من القرآن ومن السنة وسنة النبي ﷺ فيها اجتمعت في إثبات هذه الصفة السنة الفعلية والقولية والتقريرية، الفعلية النبي ﷺ أشار إلى السماوات، هذا فعل، والسنة التقريرية: «أعتقها فإنها مؤمنة» هذا تقرير، أما السنة القولية فكثير.

وأيضًا الإجماع، أجمعت الأمة قبل بزوغ هذه البدع أجمعت على إثبات العلو لله ﷻ، أيضًا الأدلة العقلية وأدلة الفطرة كلها متضافرة متطابقة متعاضدة على إثبات هذه الصفة.

﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: الأكثر على أن الوفاة هنا وفاة النوم، كما يقول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ﴾[الأنعام: ٦٠]، يتوفاكم هذه الوفاة وفاة النوم.

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ وبعضهم قالوا: إني قابضك، ولا منافاة بينهما، وبعضهم قالوا: الوفاة وفاة نوم، وهذا ضعيف.

﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ وقوله: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[النساء: ١٥٨] بل كلمة بل هذه للإضراب الإبطالي، فيه إبطال لقولهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾[النساء: ١٥٧]

وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر: ١٠]

﴿الْكَلِمُ﴾ اسم جمع ليس جمعًا، اسم جمع واسم الجمع يؤدي معنى الجمع ولكنه لا يكون على صيغة الجمع؛ لأنه اسم جمع مفرده كلمة، وجمع كلمة كلمات، والكلم الطيب يشمل كل كلمة يتقرب بها إلى الله ﷻ من الذكر والتلاوة وغيرها.

﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ :

الضمير يرجع هنا إلى الكلم الطيب، هذا قول، فالعمل الصالح يرفع الكلم الطيب، فمن كان جمع بين القول والفعل فهذا إيمانه إيمان صحيح، فعمله يرفع وقوله يرفع، أما من كان مكتفيًا بالقول فقط ولم يجمع إلى إيمانه العمل؛ هذا قوله لا يرفع؛ لأن الإيمان قول وعمل واعتقاد.

﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ :

قول آخر أن الضمير يرجع إلى الله ﷻ وكلاهما صحيح، والاستدلال عمومًا على ا لمعنى الأول.

وقوله: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾[غافر: ٣٦]

الصرح هو البناء العالي، لماذا؟

﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾[غافر: ٣٦]

أي لعلي أبلغ السبب هو الحبل، أبلغ تلك الوسائل وتلك الطرق التي توصلني إلى السموات، ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾ لماذا؟

﴿فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾[غافر: ٣٧]، دائمًا يقول: إن له ربًا في ا لسماء، خليني أبحث عن ربه، فأمره أن يبني له الصرح، ثم قال تمويهًا وتدليسًا: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾[غافر: ٣٧] أنا سأجتهد ولكن الرجل يبدو أنه كاذب، هذا منه وهو الكاذب؛ لأنا نحن نصدق موسى عليه السلام، لأن موسى عليه السلام يقول له: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ﴾[الإسراء: ١٠٢]، لقد علمت، أنت تدري، موسى عليه السلام ينسب إليه أنه يدري، ينسب إليه العلم، وأن تكذيبه كان ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا﴾[النمل: ١٤]، نعم، إذن هو الكاذب.

الشاهد هنا أنه ذكر ما يدعيه موسى، بعض المتكلمين قالوا: ابن تيمية يستدل بقول فرعون -أعوذ بالله- قالوا: ترك أحدًا حتى فرعون استنجد به، وجه الاستدلال هنا من أوضح ما يكون أليس كذلك؟

﴿فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾[غافر:٣٧] لأن موسى يدعي أو يدعوه هو ويكرر له أن إلهه وأن ربه في السموات.

وقوله: ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾[الملك:١٦] تمور تضطرب، ﴿أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾[الملك:١٧] أي حجارةً، ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾[الملك:١٧]، ﴿أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾[الملك:١٧].

هنا نحن عندنا كلمتان: كلمة (في) وكلمة (السماء)، في للظرفية، إذا كانت في على بابها، السماء معناها العلو، السماء معناها العلو، والسماء يأتي بمعنى العلو، وهذا كثير؛ فالسماء بمعنى العلو، وإذا كانت السماء بمعنى الأجرام المعروفة، السماء المبنية والسموات والسبع ففي بمعنى على، ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[طه:٧١]، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾[النمل:٦٩]، أي على الأرض.

طبعًا هذه الآيات كما قلنا فيها إثبات صفة وشيخ الإسلام لم يكثر من ذكر الأدلة هنا؛ لأنه سيرجع إلى هذه الصفة فيما سيأتي، فيما سيأتي سيذكر بعض النصوص من السنة وسيذكر أيضًا مسألةً مهمةً وهي الجمع بين العلو والمعية، أيضًا سيذكر هذه المسألة هناك.

وعلو الله ﷻ على خلقه هذا شيء أطبق عليه أهل السنة والجماعة، بل هذا مجمع عليه بين المسلمين قبل نشوء هذه البدع.

المخالفون في هذه المسألة بعضهم يرون أن الله ﷻ ليس في جهة العلو بل هو مختلط بالناس، ويستدلون بآيات المعية، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[الحديد:٤]، ولذلك سيعقب شيخ الإسلام هذه الفقرة بفقرة فيها الأدلة على إثبات المعية ثم سيذكر أنه لا منافاة بين إثبات المعية وبين إثبات العلو، هؤلاء هم الصوفية الذين يرون أن الله ﷻ حال في المخلوقات أو متحد بها، وبعضهم لا يقول بالحلول وبالاتحاد ولكن يرى أنه معه في كل مكان وهذا مذهب المتكلمين أو أكثر المتكلمين قبل أن يتفلسفوا وهم يرون أن الله ﷻ في كل مكان، ويستدلون بآيات المعية التي ستأتي، بعضهم حجتهم تقريبًا واحدة؛ الذين ينفون العلو حجتهم واحدة، وهي أن الله ﷻ لو كان في العلو لكان في جهة، لو كان في العلو لكان في جهة والذي يكون في جهة يشار إليه والذي يقبل الإشارة هو جسم، من تعريفات الجسم عندهم أنه يقبل الإشارة الحسية، هم اختلفوا في تعريف الجسم، ومن تعريفات الجسم ما يقبل الإشارة الحسية، فإذا كان

في العلو سيكون في جهة وما كان في جهة يقبل الإشارة وما كان يقبل الإشارة فهو جسم، والأجسام متماثلة وهذا يوقعنا في التشبيه.

انظر إلى هذه الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة تقابلها بهذه الخرافات: يستلزم كذا، يستلزم كذا، يستلزم كذا، الله ﷻ كان غافلًا عن هذه اللوازم؟

أعوذ بالله! فهم دائمًا هكذا؛ يذكرون الأدلة الكثيرة يشيرون إليها في النهاية يأتون بخرافة وكأنهم أنهوا هذه النصوص كلها بهذه الخرافة.

فمناقشتهم فيها طول ولكن أشير:

نقول لهم: بالنسبة للجهة نناقشكم فيها، ماذا تعنون بالجهة؟

بالنسبة للجسم نناقشكم فيه، ماذا تعنون بالجسم؟

ومناقشة في هذا في الجهة مثلًا ماذا تعنون بالجهة؟

هل تقصدون أن الله ﷻ في جهة مخلوقة تحيط بالله ﷻ، تعنون هذا؟

إذا كنتم تعنون هذا فهذا خطأ في فهم النصوص، وهذا الخطأ من فهم التشبيه من النصوص، هذا الخطأ أنتم تقعون فيه، وهل تعنون أن الجهة المراد بها شيء عدمي فوق السموات وفوق الأرض وفوق كل شيء؟ تقصدون بالجهة هذه؟

لا نمانع تثبت هذا الذي تثبته الأدلة، وهذا هو العلو، إذن هذا العلو وهذه الجهة لا تستلزم ما تقولون، لا تستلزم ما تقولون، لا تستلزم.

واللوازم عمومًا في كل ما يذكرونه من اللوازم نقول لهم، هذه قاعدة خذوها:

كلام الله ﷻ وكلام رسوله لا يستلزم إلا حقًا، كلام الله ﷻ وكلام رسوله لا يستلزم إلا حقًا.

فتأكدوا هل اللازم فعل اللازم صحيح؟

إذا كان اللازم فعلًا نلتزمه لا نماري فيه؛ لأن هذا اللازم لازم كلام الله ﷻ، وكلام الله ﷻ لا يستلزم إلا حقًا، وكلام رسوله ﷺ لا يستلزم إلا حقًا؛ لأنه وحي، أما كلام المخلوق فقد يستلزم باطلًا، لماذا؟

أنا لما أتكلم هل أحيط علمًا بما يستلزمه كلامي؟ لا، قد أغفل عن بعض اللوازم، ولما تذكرونني بهذه اللوازم وهي تكون باطلة أرجع عن كلامي أصلًا؛ لأن بطلان الملزوم يدل على إيش؟

بطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم، إذا كان قولك يستلزم باطلًا هذا يدل على أن قولك باطل، ونقول لهم دائمًا: هذا الذي تذكرون أن هذا من لوازم كلام الله ﷻ هذا خطأ، مثل ما قالوا أن الاستواء يستلزم الافتقار، هذا خطأ، هذا استواء المخلوق، ومثل ما قالوا أن الرحمة تستلزم الرقة، تستلزم كذا وأن الإرادة تستلزم ميلك إلى شيء، كما قال المعتزلة، قلنا: هذه كلها لوازم صفات المخلوقين، واضح؟

وكما قلت المخالفون هم:

١) معطلة الجهمية.

٢) وحلولية الجهمية.

٣) والطائفة الثالثة: المتصوفة الذين يرون أن الله ﷻ مختلط بالمخلوقين.

نقول لكم: ماذا تقصدون بالجسم؟ هل تقصدون بالجسم أن ما يقبل الإشارة جسم، وبالتالي الأجسام متماثلة، نحن لا نسلم لكم هذا التعريف، هذا تعريف المتكلمين، هم فيما بينهم مختلفون في تعريف الجسم، كل ما يقبل الإشارة جسم، هذا خطأ، هم التزموا لأجل هذا التعريف أن الإنسان لا يشار إليه؛ لأن هناك خلاف في حقيقة الإنسان، هل هو بدن وروح أو هو الروح والبدن تابع أو هو البدن والروح تابع؟

المتكلمون الأوائل مذهبهم أن الإنسان حقيقة في البدن والروح تابع، والمتفلسفون المتأخرون منهم والرازي قالوا: هو حقيقة في الروح، والبدن تابع، وبالتالي لما أقول: الإنسان فهو عبارة عن الروح، وقال الرازي في أساس التقديس في بدايته ذكر أن الإنسان هكذا، الإنسان غير مشاهد، الإنسان غير مشاهد، لماذا وصل إلى هذه الصفة؟ ما أدري إيش أسميها، الإنسان غير مشاهد؟ أين وصلنا نحن؟

الصحيح في هذه المسألة: أن الإنسان عبارة عن الروح والبدن كلاهما، هذا كذا وهذا تابع وهذا كذا، الإنسان عبارة عن روح وبدن مثلما سيأتي في الخلاف في صفة الكلام وأن حقيقة الكلام هو اللفظ أو المعنى، الكلام عبارة عن اللفظ والمعنى، كلاهما، إذا كان معنًى فقط فلس كلامًا، إذا كان لفظًا لا يدل معنى فقط، لا، لا يدل على معنى فليس كلامًا.

فأولًا نقول: تعريفكم خطأ، مما يدل على خطئه استلزامكم لهذه الحماقات، وثانيًا: نقول: ليس كل ما يشار إليه جسم، والدليل على ذلك أن الروح روح الإنسان روحي أنا، روح فضيلة الشيخ، هل روحه

هنا؟ أنا أشير إلى روحي، أليس كذلك؟ والروح ليست جسمًا، هل هذه الإشارة استلزمت أن يكون روحه جسمًا؟ وهكذا المعقولات، لا نستسلم لهم في دعواهم؛ لأن دعواهم تحكم في تحكم في تحكم، هكذا سلسلة تحكمات.

إذا سلمت له في البداية يكلبشك إلى النهاية، كيف معه من البداية؟ من قال لك أن هذا يستلزم هذا؟ من قال؟

هذا كلام (أرسطو) أنت آمنت به، أنا أكفر بك وبه بأرسطو، بيننا وبينك اللغة، وبيننا وبينك الكتاب والسنة، أليس كذلك؟ وبيننا وبينك المسلمات التي لا يختلف فيها، الآن لو هنا أي عامي ونقول له: ترى الإنسان غير مشاهد، ماذا سيقول؟ سيقول لك: إذن أنت لست إنسانًا، أليس كذلك؟ على منطقه.

فنقول له: إذا كنت تقصد بالجسم أن الله ﷻ له حقيقة وله وجود وهو موجود وجودًا حقيقيًا، فنقول لك: نعم، هذا المعنى صحيح ولكن اللفظ خطأ، هذا المعنى الصحيح لا تدلنا عليه بهذا اللفظ الخطأ، أما إذا كنت تقصد بالجسم أنه جسم مثل بقية الأجسام فلفظك خطأ والمعنى أيضًا خطأ.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الحديد: ٤]

وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[المجادلة: ٧]

وقوله تعالى: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة: ٤٠]

وقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[طه: ٤٦]

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[النحل: ١٢٨]، ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[الأنفال: ٤٦]

وقوله: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[البقرة: ٢٤٩]

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

هذه الفقرة فيها إثبات معية الله ﷻ لخلقه، هذه الصفة ذكرها شيخ الإسلام بعد صفة العلو، وصفة العلو ذكرها بعد صفة الاستواء، ذكر صفة العلو بعد صفة الاستواء ليدل على أن أدلة الاستواء كلها من أدلة العلو –كما أشرت– وذكر هذه الصفة بعد صفة العلو لبيان أن آيات المعية هنا لا بد أن تفهم على ضوء آيات العلو هناك، هذا كتاب الله ﷻ ليس كتاب البشر، كتاب الله ﷻ لا يضرب بعضه ببعض، وأقوال النبي ﷺ لا تضر ب بعضها ببعض، لا تأخذ آيةً واحدةً وتقيم عليها سلسلة، لا، هذه الآية مفسرة في القرآن نفسه أو مفسرة في السنة، وتفسير الله ﷻ لكلامه أو تفسير رسوله ﷺ لكلام ربه هذا الذي يعطيك المعنى الصحيح المراد الصحيح.

الآن الله ﷻ يقول: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الحديد: ٤] أنت فهمت منها أن الله ﷻ مع مخلوقاته ذات مختلط بهم، كيف فهمت هذه؟ هل هذا موجب اللغة؟

لا، كما سيأتي، ليس موجب اللغة كما سيأتي.

هل هناك أدلة أخرى تدل على هذه وتؤكد؟

لا، إذن هذه الآيات نفهما على ضوء هذه الآيات حتى يستقيم الاعتقاد، إما إذا أردت أن تضرب النصوص بعضها ببعض وتخرج بنتيجة أنت أخذتها من فلان وعلان، فهذا شيء آخر، وهذا الترتيب من أروع ما يكون؛ ذكر آيات المعية بعد ذكر نصوص الاستواء والعلو.

المعية من الصفات التي هو ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار، المعية ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار؛

لأن المعية تنقسم إلى قسمين:

١) معية عامة،

٢) ومعية خاصة.

وشيخ الإسلام هنا لاحظ هذا، التنوع بل المعية الخاصة تنقسم إلى قسمين:

معية خاصة مقيدة بصفة.

ومعية خاصة مقيدة بشخص.

أيضًا شيخ الإسلام لاحظ هذا التقسيم وذكر في هذه الأمثلة التي ذكرها لاحظ فيها هذا التنوع.

المعية العامة تقتضي: اطلاع الله ﷻ وهيمنته وعلمه وإحاطته، وهذا سيأتي بيانه في كلام شيخ الإسلام نفسه، سيأتي كلامه في بيان معنى المعية العامة، هذه الخلاصة.

المعية الخاصة: تزيد على ما ذكرته بدلالتها على التأييد والنصر والكلاءة والرعاية، المعية الخاصة أحيانًا تقول: هذه المعية هنا تقتضي النصر والتأييد، وأحيانًا تقول: هذه المعية تقتضي الرعاية والكلاءة، كيف تعرف هذه الأمور؟

السياق يدل على هذا كما سنشير في الأمثلة.

إذن المعية تنقسم إلى قسمين:

معية عامة وهي ذاتية.

ومعية خاصة وهي صفة فعلية.

والمعية كما سيأتي في كلام شيخ الإسلام المعية العامة هي على حقيقتها.

كثير من السلف يذكر أن المعية بمعنى العلم ولا يخوض في كونها حقيقيةً أو غير حقيقية، لكن شيخ الإسلام هنا في هذه الرسالة ذكر أن هذه المعية حق على حقيقتها، أنت لما تصل إلى المدلول من خلال جمع النصوص، ووصلت إلى المدلول الصحيح هذه هي الحقيقة، لماذا تهاب في التعبير؟ هي حق على حقيقتها، معية حقيقية، ولكن هل المعية الحقيقية تقتضي أو تستلزم المخالطة؟

لا، هذا الذي أوقعك في الإشكال؛ ولذلك سيركز شيخ الإسلام في دفع هذا الوهم، ولذلك سيرجع إلى هذه المسألة مرةً أخرى فيما سيأتي.

إذن المعية حق على حقيقتها ولكن لا بد من فهم معناها؛ وأن المعية العامة لا تناقض كون الله ﷻ مستويًا على عرشه، وكونه عاليًا على خلقه، وكونه مباينًا لخلقه.

في قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤] هذه الآية ذكر شيخ الإسلام مرتين فيما سبق؛ مرةً في الاستواء ومرةً في صفة العلم.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ﴾ قلنا أن علم الله ﷻ شامل ومحيط بهذه الآية ذكر بعض متعلقات العلم ليبين أن علمه شامل محيط، لذلك ذكرها فيما سبق.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ هذه كلها متعلقات بالعلم.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ في نفس الآية.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ هذا إثبات العلو.

وفي نفس الآية: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ إذن هذه المعية تقتضي بصره سبحانه وتعالى، وعلمه بكم، في آية واحدة الله ﷻ جميع بين العلو والمعية، ترى هل كلام الله ﷻ متناقض؟ حاشا وكلا، سبحان الله، هذه الآية في المعية العامة.

الآية التي تليها أيضًا في المعية العامة: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ﴾[المجادلة: ٧]

(يكون) هنا تامة بمعنى ما يوجد.

﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾[المجادلة: ٧]

﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ هذه هي المعية العامة.

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

بدأها بالعلم وختمها بالعلم؛ ليبين أن هذه المعية هي معية.

هاتان الآيتان هي في المعية العامة.

الآن يذكر الأدلة التي تدل على المعية الخاصة، وقلنا المعية الخاصة تنقسم إلى قسمين: معية مقيدة بوصف، ومعية مقيدة بشخص؛ ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة: ٤٠]

من القائل هنا؟

النبي ﷺ.

ومن المخاطب؟

أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه.

هذه المعية مقيدة بشخص، هذه المعية هنا في هذه الآية مقيدة بشخص، وهو شخص النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه وأرضاه، وهذا الفضل انفرد به ذلك الصحابي الجليل.

وقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[طه: ٤٦]

أسمع وأرى هذا فيه بيان مقتضى هذه المعية، في نفس الآية بين مقتضيات هذه المعية، وهذه مقيدة بمن؟ بشخص،

﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ موسى عليه السلام وهارون عليه السلام، أسمع وأرى.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[النحل: ١٢٨] هذه معية مقيدة بوصف، والوصف هنا التقوى، ومن كان متقيًا فالله عز وجل معه.

﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[الأنفال: ٤٦] أيضًا معية خاصة مقيدة بوصف.

وقوله: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ﴾[البقرة: ٢٤٩]

(كم) هذه كم خبرية وليست للاستفهام، كم خبرية هي للتكثير، كما أقول مثلًا: كم من الرجال هنا؟ هذا ليس استفهامًا حتى تجبني عشرة، لا، هذا للتكثير، بمعنى أن الرجال كثر.

﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ : أي الله عز معهم بنصره وتأييده وتقويته.

وهنا:﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾[طه:٤٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾[النحل:١٢٨] معهم بحفظه وكلاءته، وهنا بنصره وتأييده، السياق يدل على تحديد مقتضى المعية خاصة، هل هو النصر والتأييد أو الحفظ والكلاءة عمومًا؟

وألخص وأقول:

المعية تنقسم إلى قسمين: معية عامة ومعية خاصة.

والخاصة تنقسم إلى قسمين: معية مقيدة بوصف، ومعية مقيدة بشخص.

المعية الخاصة هي في الحقيقة من جنس محبة الله ﷻ ، والله ﷻ يحب من عباده من كان تقيًا، من كان صابرًا، إذن هذه الآيات تحدد أيضًا أسباب محبة الله ﷻ ، وكما قلت المعية الخاصة من جنس محبة الله ﷻ ومودته، والمعية الخاصة المقيدة بوصف هذه تتفاوت بتفاوت تلك الأوصاف.

هل الناس متساوون في التقوى؟

لا.

متساوون في الصبر؟

لا.

متساوون في الإحسان؟

لا.

إذن هذه المعية تتفاوت بتفاوت الأوصاف، فمن كان في إحسانه في أعلى الدرجات فمعية الله له على ما يناسب الحال، وهكذا في التقوى وهكذا في الصبر.

وهذه المعية فهمها بعضهم مخالطةً بالذات، وهم المتكلمون، وبعضهم فهمها أن الله ﷻ قد حل في المخلوقات أو قد اتحد بهم، وكلتا المعيتين فها مخالطة، وسيأتي في كلام شيخ الإسلام أن هذا الذي فهموه خطأ.

ومن الأخطاء التي لا تؤيدها لا لغة ولا سمع، يعني الأدلة النقلية، ولا الفطرة، لا تؤيدها أيضًا، سيأتي في كلام شيخ الإسلام.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء:٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[النساء:١٢٢]

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾[المائدة:١١٦]

وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[الأنعام:١١٥]

وقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء:١٦٤]

وقوله: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾[البقرة:٢٥٣]، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[الأعراف:١٤٣]

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

هنا بدأ شيخ الإسلام في مسألة صفة الكلام، وصفة الكلام أطال معها شيخ الإسلام، ومباحثها رتبها ترتيبًا بديعًا جدًا.

بالنسبة للنصوص التي ذكرها أولًا: ذكر النصوص العامة في إثبات صفة الكلام، هذه الفقرة التي قرأناها، ثم ذكر النصوص التي تثبت النداء نداء الله ﷻ، وهذه النصوص تثبت أولًا: صفة الكلام وثانيًا: هذه النصوص فيها تنوع، بعضها مؤقت بظرف معين أو بوقت معين، فيها الجانب الذي يتعلق بالمشيئة والقدرة، أيضًا هذه النصوص فيها إثبات أن كلام الله ﷻ يُسمع، وفيها أيضًا إثبات أن كلام الله ﷻ مُنزل، وفيها إثبات أيضًا أن كلام الله ﷻ بحرف وصوت.

وهذه المسائل اختلف فيها خالف فيها المبتدعة خالف فيها كلها المبتدعة؛ كونه يُنزل، كونه يُسمع، كونه بحرف وصوت، هذه كله هناك خلاف، ذكرت في أول درس أن من ميزات ما يكتبه شيخ الإسلام أنه لم يكتب يستحضر خلاف المخالفين، حتى ولو لم تعلق ولم تذكر بالمخالف؛ إذا حفظت كلامه وفهمته جيدًا ففيه رد على المخالف بذكر ما يذكره المخالف، وإلا بعض المسائل التي ذكر لها الأدلة ما تحتاج إلى أدلة، ما تحتاج ولكن هناك خلاف طويل وعرض، لذلك ذكر هذه النصوص بهذا الترتيب.

أولًا: النصوص التي تدل على إثبات صفة الكلام عمومًا، ثم النصوص الواردة في النداء، ثم فقرة أخيرة وأطال فيها أيضًا؛ النصوص التي تتعلق بالقرآن بخصوصه، تتعلق بالقرآن بخصوصه، والقرآن من

كلام الله ﷻ، وهو بعض كلام الله ﷻ، والخلاف في القرآن أيضًا طويل كما تعرفون، هناك خلاف في صفة الكلام، والمسائل التي تتعلق بصفة الكلام، وهناك خلاف طويل في القرآن، ولذلك ذكر هذه الأدلة وفي هذه الأدلة يراعي التنوع والإشارة إلى مواضع الخلاف، والإشارة إلى مواضع الرد والمواضع التي فيها استشهاد والدليل يرد به على المخالفين.

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء:٨٧] :

أيضًا أشير إلى أن شيخ الإسلام بعد أن ذكر النصوص في النداء وذكر النصوص في القرآن بخصوصه، ثم ذكر حديثين، حديثين في قسم السنة، ذكر حديثين في أن كلام الله ﷻ بحرف وصوت، وهذه المسألة أشار إليها من خلاص النصوص نصوص القرآن وذكر لها حديثين أيضًا، ثم عاد في الأخير فذكر بعض المسائل التي تتعلق بصفة الكلام، نص عليها؛ لكثرة الخلاف فيها، فلذلك بعض المسائل لن نشير إليها هنا، سنشير إليها فيما لما يأتي كلام شيخ الإسلام هناك.

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ :

هذا الاستفهام بمعنى النفي.

والاستفهام بمعنى النفي أبلغ في النفي من النفي المجرد، واضح؟ الاستفهام بمعنى النفي يكون أبلغ في النفي من مجرد النفي، لو قال، لو نفى نفيًا مجردًا فهمنا منه النفي المجرد ولكن لما ذكر في هذه الصيغة باستفهام بمعنى النفي ففيه أولًا: نفي وثانيًا: التحدي، إن كنت ترى خلاف ذلك فأثبت، واضح؟ هذا ا لمعنى الجديد، هذا الاستفهام بمعنى النفي، هذا التحدي.

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[النساء:١٢٢] .

إذن كلام الله ﷻ يسمى قولًا ويسمى الحديث.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾[المائدة:١١٦] أيضًا.

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾ نأخذ منها أيضًا أنه بإثبات صفة الكلام؛ لأن الصدق يكون إيش؟ في الكلام، الصدق يكون في الكلام.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾

﴿وَإِذْ قَالَ﴾ : هذا يدل على أن الله ﷻ يقول وأن له صفة الكلام، إذن يدل عل أن هذا القول موقت بوقت معين.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ :

هذا يدل أيضًا على أن صفة الكلام ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار.

نسيت أشير إلى هذا؛ صفة الكلام هي ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار، الله عز متصف بهذه الصفة أزلًا وأبدًا، متصف بها أزلًا وأبدًا، وهي فعلية باعتبار أن الله ﷻ يكلم من شاء بما شاء كيف يشاء، كيف يشاء بالنداء بالمناجاة، كما ستأتي النصوص.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى﴾ :

هذا فيه دليل على أن هذا الكلام لم يكن في الأزل وإنما كان في ذلك الوقت المعين.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[الأنعام:١١٥]

صدقًا في الأخبار وعدلًا في الأحكام.

وقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء:١٦٤]

﴿تَكْلِيمًا﴾ هذا مصدر مؤكد، هذا المصدر يؤكد إثبات صفة الكلام وينفي احتمال المجاز.

المجازيون عندهم بعض القواعد لو طبقوها لأراحونا:

من قواعدهم: أن المصدر إذا كان من نفس اللفظ ينفي احتمال المجاز.

أين قاعدتكم هنا؟

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ مع ذلك قلتم هذا مجاز، ﴿تَكْلِيمًا﴾ هذا مصدر ينفي احتماله يكون احتمال أن يكون هناك مجاز، وعلى القول، المجاز هذه المسألة أيضًا من المسائل التي أشغلنا بها وليس لها أيضًا سند من الدليل، المجاز.

وقوله: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾[البقرة:٢٥٣]

فيه أيضًا إثبات لصفة الكلام.

وقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[الأعراف:١٤٣] وكلمه ربه.

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾: أحد المعتزلة طالب أحد أئمة السنة، أبو عمرو بن العلاء، لأنه من أئمة اللغة وأيضًا من أئمة القراءات في نفس الوقت، وطالبه أن يقرأ هنا: وكلم اللهَ موسى تكليمًا؛ حتى يكون المكلمَ الله والمتكلم يكون موسى، قال له: كيف في هذه الآية: ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[الأعراف: ١٤٣]؟

سبحان الله، يعني يطالبه بتحريف هكذا بكل، سبحان الله، يطالبه بالتحريف.

طبعًا المخالفون في هذه المسألة ستأتي الإشارة إليها وهم الجهمية والمعتزلة والكلابية، وسيأتي كلام شيخ الإسلام في هذه المسألة.

الطالب: ...

الشيخ: جرحه بأنياب الحكمة، قالوا، ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ جرحه بأنياب الحكمة، أول مرة نكتشف أن الحكمة لها أنياب، نعم، يعني حكمهم قد تكون لها أنياب.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وقوله: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[مريم: ٥٢]

وقوله: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[الشعراء: ١٠]، ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[الأعراف: ٢٢]

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[القصص: ٧٤]، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾[القصص: ٦٥]

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

في هذه الآيات إثبات النداء لله ﷻ، في هذه الآيات أولًا: إثبات صفة الكلام؛ لأن النداء في لغة العرب هو صوت رفيع ويقابله المناجاة، وأيضًا فيها إثبات أن كلام الله عز حرف وصوت، حرف وصوت.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى﴾[المائدة: ١١٦]

فيما سبق، يا عيسى أليست هذه حروف؟

هذه حروف وتسمع لأنها صوت، هنا نصوص النداء كلها؛ لأن النداء لا يكون إلا صوتًا مرتفعًا، أيضًا في بعض النصوص التوقيت ببعض الأزمنة وبعض الظروف.

﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[مريم: ٥٢] النداء كان هناك.

﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾[الشعراء: ١٠] النداء كان في ذلك الوقت.

﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾[الأعراف: ٢٢] متى كان؟

بعد وقوع الأبوين الشريفين فيما وقعا فيه في ذلك الوقت.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾[القصص: ٧٤] هذا لم يأت، هناك سيناديهم، يناديهم الله ﷻ فيقول: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[القصص: ٧٤]

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾[القصص: ٦٥] هذه النصوص من أوضح النصوص في كون صفة الكلام تتعلق بها المشيئة والقدرة، وأنها ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار، وأن الله ﷻ ناداهم في وقت معين وفي ظرف معين ويناديهم، سيكلمهم، وكما سيأتي أيضًا في قسم السنة.

الطالب:...

الشيخ: هم قالوا: كل هذا حصل في الأزل ولا يزال ينتظر المتعلق، هم هكذا قالوا، وهذا خطأ، في ذلك الوقت سيناديهم.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾[التوبة: ٦]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ﴾[البقرة: ٧٥]

هذه الفقرة تتعلق بالقرآن بخصوصه.

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٧٥]

وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾[الفتح: ١٥]

وقوله: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾[الكهف: ٢٧]

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[النمل: ٧٦]

وقوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾[الأنعام: ٩٢]

وقوله: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[الحشر: ٢١]،

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[النحل: ١٠١]،

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل: ١٠٢]،

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[النحل: ١٠٣]

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

في هذه الآيات ذكر شيخ الإسلام الأدلة التي تدل على أن القرآن كلام الله ﷻ.

القرآن هل هو كلام الله ﷻ؟

نعم، هو كلام الله ﷻ.

والمخالفون وخاصةً الذين يدعون هم أهل السنة؛ لا يستطيعون أن يقولوا أن القرآن كلام الله ﷻ أبدًا.

الأشاعرة والماتريدية، لا يستطيعون أن يقولوا أن القرآن كلام الله ﷻ، اسألوهم، لا بد أن يذكروا بعض القيود التي تدل على أن عقيدتهم في القرآن منحرفة جدًا، يدل على كلام الله ﷻ عبارة عن كلام الله ﷻ، من يقول منهم أنه كلام الله ﷻ هذا مسايرةً للجمهور.

أبدًا، لا يمكنهم أن يقولوا أن هذا كلام الله ﷻ.

وهذه الآيات التي ذكرها شيخ الإسلام: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ﴾[التوبة: ٦]

يسمع ماذا؟

﴿كَلَامَ اللَّهِ﴾: لأن كلام الله ﷻ مسموع؛ لأنه بحرف وصوت، وما هو كلام الله ﷻ؟

كلام الله ﷻ لفظ ومعنى، كلام الله ﷻ نحن لما نتحدث عن صفة الكلام نتحدث عن لفظ يدل على معنى، وعمومًا الكلام في اللغة؛ ما هو الكلام في اللغة؟ لفظ يدل على معنى، أليس كذلك؟

إذا كان معنى فقط لا يطلق عليه أنه كلام إلا مقيدًا، كأن تقول مثلًا كلام في نفسي، كلام النفس، أما إذا قلت: الكلام، فلا بد أن يكون فيه لفظ يدل على معنى، إذا كان هناك لفظ لا يدل على معنى فليس كلامًا، مثل ديز، زيد ديز، ليس كلامًا؛ لا يدل على شيء.

المعتزلة قالوا: حقيقة الكلام، الكلام حقيقة في اللفظ، ومجاز في المعنى، الكلام حقيقة في اللفظ مجاز في المعنى.

والكلابية قالوا: الكلام حقيقة في المعنى مجاز في اللفظ، والخلاف هنا مثل الخلاف في الجسم كما ذكرت، في الإنسان الكلام حقيقة في اللفظ وفي المعنى، اللفظ المجرد لا يكون كلامًا، المعنى المجرد لا يكون كلامًا، الكلابية على مذهبهم قالوا أن كلام الله ﷻ هو المعنى فقط أما اللفظ فليس من كلام الله ﷻ، لماذا؟

لأنهم ألزمهم المعتزلة بالدليل الذي يشتركون فيه وألجموهم، خضعوا لهم وتركوا كثيرًا من الحق، المعتزلة قالوا لهم: القرآن هذا يسمع وهو منزل وهو مرتب، مرتب على سور ومرتب على جمل، وهذا الترتيب يدل على التعاقب، وكل ما كان فيه تعاقب لا يكون أزليًا، يكون فيها حدوث، مع ذلك كيف تقولون أن هذا كلام الله ﷻ وكيف قام بنفس الله ﷻ؟ ألا يدل على حلول الحوادث بذاته سبحانه؟

قالوا: لا، نحن لا نقول أنه مُنزل، ولا نقول أنه يُسمع ولا نقول أنه مُرتب، طيب ماذا تقولون؟ طيب هل تقولون أنه كلام الله؟

قالوا: نعم، نقول أنه كلام الله ولكن مجازًا، أو بالاشتراك اللفظي، مجازًا أو بالاشتراك اللفظي، لذلك أقول: الأشاعرة لا يمكنهم أن يقول هذا كلام الله ﷻ ويكتفوا به، أبدًا، ستجد فيهم كثيرًا من اللف والدوران، وهذا تميز به مذهب الكلابية دون مذهب المعتزلة، المعتزلة صريحين فيما يقولون، المعتزل يتراوغ ويقول هذا ترى مخلوق من المخلوقات، الله ﷻ لم يتكلم، صريح، لم يتكلم به، مخلوق من المخلوقات، الأشاعرة يوافقونهم على أنه مخلوق، يوافقونهم كما ذكر الرازي وغيرهم، قالوا: ليس بيننا وبين المعتزلة خلاف في كون هذا المنزل المجزأ إلى سور وآيات مخلوقًا ولكن خلافنا في الكلام النفسي، خلافنا في الكلام النفسي وأن الكلام النفسي غير مخلوق، مع ذلك اسأل أي أشعري قل له: هل القرآن مخلوق؟ يقول لك: لا، مع أنه هذا المنزل عندهم مخلوق بصريح كلامهم الرازي والآمدي وقبله وبعده الغزالي، كلهم يقولون بأن هذا لمنزل مخلوق. فلاحظوا هذا التنوع في الاستدلال.

﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[التوبة: ٦] كلام الله حرف وصوت، يُسمع.

وقوله: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[البقرة: ٧٥]

حتى يسمع كلام الله فيه فائدتان أو ثلاث فوائد، الفائدة الأولى: أن القرآن كلام الله حقيقةً، الفائدة الثانية: أنه يُسمع، الثالثة: أنه حرف وصوت، واضح؟

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[البقرة: ٧٥] يسمعون ماذا؟ كلام الله، هذا هو الشاهد،

﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٧٥]

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾[الفتح: ١٥]

هنا إشارة إلى أولئك المنافين الذين لم يشاركوا المسلمين في الحديبية، لم يشاركوهم في الحديبية ثم أرادوا أن يشاركوهم في المغانم بعد الحديبية، والمنافقون هكذا دائمًا.

الله ﷻ يقول: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ [الفتح: ١٥]، خلونا أيضًا نأتي معكم، للجهاد؟ لا، لا، للغنائم.

يقول الله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥]، فهنا موضعان للشاهد؛ ﴿أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّه كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ﴾ قال الله، إذن الله ﷻ له قول وله كلام، وهو يتكلم.

الله ﷻ أخبر هنا في قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّه﴾ أنهم يريدون أن يبدلوا كلام الله ويريدون أن يخرجوا مع النبي ﷺ ولكن الله ﷻ كتب أن تلك الغنائم لقوم معينين وهم أولئك الذين شاركوا في الحديبية.

وقوله: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾[الكهف: ٢٧]

واتل إذن كلام الله ﷻ يقرأ ويتلى.

﴿مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ لا مبدل لكلماته كلمات الله ﷻ نوعان، كلمات كونية، وهذه لا استثناء فيها.

﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾:

كلمات الله ﷻ الكونية لا تتخلف، وهناك كلمات شرعية، الكلمات الشرعية أيضًا لا مبدل أحد لها، ولكن الله ﷻ بنفسه قد ينسخ بعضها لحكمة يعلمها.

كما سيأتي في قوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾[النحل: ١٠١] من الذي يبدلها؟

الله ﷻ، ﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾: أي غيره، هو بالنسبة للكلمات الشرعية قد يغيرها وقد ينسخها لحكمة يعلمها.

نستكمل بعد الصلاة إن شاء الله.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد:

لا زلنا في الفقرة التي تتعلق بالقرآن.

وقوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾[الأنعام: ٩٢]

وهذا كتاب: الإشارة إلى القرآن، أنزلناه إذن هو منزل، مبارك المبارك من البركة، البركة كما ذكرنا الزيادة والنماء، الله ﷻ جعل فيه البركة، في ماذا؟ في كل شيء، فمن يقرأه مبارك، ومن يعمل به مبارك، يتدبر فيه مبارك، يشتمل على تجميع أنواع البركة، مبارك القرآن.

وقوله: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[الحشر: ٢١].

متصدعًا أي متشققًا منفلقًا، خاشعًا أي متذللًا.

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ﴾ هذا فيه بيان أن القرآن هو القرآن.

ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ له رسالة جميلة في إثبات أن القرآن هو هذا، تستغرب؟ ما يحتاج إلى أدلة، وما يحتاج إلى تأليف كتاب في هذا ولكنه ألف رسالة لإثبات أن هذا القرآن هو القرآن، لماذا؟ لأن الكلابية يقولون: القرآن هو الذي هذا يعبر عنه، الذي هذا يعبر عنه أو يدل عليه، فسبحان الله، هو هذا القرآن، وذكر فيه مثل هذه الآيات: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾.

وقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾[النحل: ١٠١]

هذه جملة معترضة فيها بيان أن الله ﷻ هو أعلم بما ينزل وبما يبدل، بما ينسخ وبما يحكم؛ ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾[النحل: ١٠١] أمس كنت تقول كذا وكذا، اليوم تقول كذا وكذا، كنت تأمرنا باستقبال بيت المقدس الآن تأمرنا عكس؛ باستقبال المسجد الحرام، لو كنت على حق لثبت على شيء، هكذا كانوا يقولون، ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢]

الله ﷻ هنا يبين أن هذا ليس منه، هذا من الله عز، لماذا؟ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾[النحل: ١٠١]، ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾[النحل: ١٠١] بالنسبة للنبي ﷺ ليس في مصلحته النسخ، ليس في مصلحته مع هؤلاء السفهاء، لأن هذا يثير، ولكن الله ﷻ كلفه بتبليغه، ليس له في هذا القرآن ولا حرف، هو مأمور، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ هو جبريل، ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ منه بدأ وإليه يعود، هذه مقولة أهل السنة، سيأتي بيانها، منه بدأ أي هذا القرآن من الله ﷻ، هو الذي أنزله، وهو الذي تلفظ به، وهو الذي تكلم به.

﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ أي: لإثبات الحق، ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾[النحل:١٠٣] :

كانوا يقولون أن هذا الذي يقوله ترى يأخذ من الأمم السابقة، وفلان يعلمه، فلان من الناس، يقول الله ﷻ: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ أي يشيرون إليه ويميلون إلى أنه هو الذي يعلم النبي ﷺ، ويظنون أنه هو الذي يعلمه، وهو الذي يأخذ منه النبي ﷺ؛ لسان أعجمي، ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾.

الأعجمي بالهمزة هو الذي لا يفصح بالكلام وإن كان عربيًا، هذا يتعلق بلغته وببيانه، حتى ولو كان عربيًا إذا لم يكن يفصح يقال له: هذا أعجمي، أما بدون الهمزة فهو يقابل العرب، العربي والعجمي، بدون الهمزة، وهنا ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ لا يفصح عن الكلام ذلك الذي تشيرون إليه هل يمكنه أن يأتي بهذا؟ وهذا لسان عربي مبين، هل يمكنه أن يأتي بهذا البيان المعجز؟ لا يمكن.

الشاهد في هذه الآيات:

أن فيها بيان أن هذا القرآن منزل، منزل من الله ﷻ، وأنه كلام الله عز، وأنه يسمع، وأنه يتلى، وأنه يكتب.

والنزول في القرآن يأتي بثلاثة أقسام:

١) النزول نزول مقيد بأنه منه، هذا القسم الأول.

٢) ونزول مقيد بأنه من السماء.

٣) ونزول غير مقيد لا بهذا ولا بهذا.

نزول مقيد؛ لأنه من الله ﷻ. ونزول مقيد بأنه من السماء، ونزول غير مقيد لا بهذا ولا بهذا.

القسم الأول: لم يرد إلا في القرآن، النزول المقيد بأنه من الله ﷻ، ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾[الأنعام:١١٤]، ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾[النحل:١٠٢] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[الزمر:١].

ولهذا يقول السلف: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، منه بدأ، وهذا صحيح، ومنه بدا، وهذا صحيح، أي منه ظهر، والذي تكلم به، منه بدأ هو المتكلم به، ويقول الإمام أحمد وغيره به.

وإليه يعود، إليه يعود له معنيان:

المعنى الأول: أن القرآن يرفع كما في بعض الآثار؛ أنه يرفع في آخر الزمان لما يكون هناك إعراض كلي أن القرآن يرفع إليه.

والمعنى الثاني: إليه يعود صفةً، صفة له، صفة لله ﷻ وليس لغيره.

أيضًا هنا في هذه الآيات التي قرأناها: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ﴾[النمل:٧٦]، والقصص لا يكون إلا قولًا، لا يكون إلا قولًا، وصف الله عز القرآن بأنه يحكم وصفه أيضًا بأنه يفتي، ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾[النساء:١٢٧]، أيضًا يفتي هذا معطوف على الأول ، ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾[النساء:١٢٧] ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[البقرة:٢١٣]، هذه الآيات كلها تتعلق بالقرآن.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾[القيامة:٢٢]، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:٢٣]، ﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾[المطففين:٢٣]

وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:٢٦]

وقوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[ق:٣٥]

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

في هذه الفقرة وهي الفقرة الأخيرة مما ذكره شيخ الإسلام لإثبات أسماء الله ﷻ وصفاته؛ فيها إثبات رؤية المؤمنين لرب العالمين، يرونه في العرصات ويرونه أيضًا في الجنة، أما رؤية الكفار والمنافقين فاختلف فيها، ورجح بعض العلماء أن المنافقين يرونه أيضًا في العرصات ثم يحتجب عنهم، ولكن الرؤية عمومًا لما تذكر هي رؤية المؤمنين؛ لأنه رؤية إنعام وإحسان وإكرام، عمومًا لما تذكر هذه المسألة يقصد بها رؤية المؤمنين لربهم، ذكر فيها هذه الأدلة وسيذكر أيضًا أدلةً من السنة فيما سيأتي؛ «إنكم سترون ربكم»

﴿وُجُوهٌ﴾ أي بعض الوجوه، ﴿يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ ستكون قد اكتسبت النضرة، وهو البهاء والحسن، هذه النضرة من أين اكتسبوها؟ ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ لأنها تنظر إلى ربها.

النظر إلى ربها تكتسبها هذه النضرة والبهاء، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ في هذه الآية النظر هنا عدي بماذا؟ بـ(إلى)، والنظر قد يعدى بـ(إلى) ويكون نصًا في الرؤية البصرية، وقد يعدى بفي، وقد في تضمين لمعنى التفكر؛ ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[يونس:١٠١]، التضمين تكون فائدته إثبات أصل المعنى مع إضافة معنى آخر، والتضمين عمومًا يغني عن العطف، فبدل أن يأتي بفعل آخر ويعطفه على هذا الفعل يأتي بحرف من حروف الجر لا يناسب هذا الفعل بل يناسب معنى آخر فيه معنى آخر فيفيد فائدتين؛ فيكون فيه اختصار، ويكون فيه المعنى الأصل مع إثبات معنى آخر.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾[فصلت:١١]

الاستواء إذا عدي بعلى يكون نصًا كما ذكرنا في العلو، وإذا عدي بـ (إلى)، الاستواء هو العلو والارتفاع، والعلو والارتفاع يناسبه ماذا؟ على، أليس كذلك؟ ولكن الله ﷻ لم يذكر على بل قال إلى؛ لأن هنا معنى آخر مضمن، وهو القصد.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾

أي ثم ارتفع وعلا قاصدًا السماء، هذا المعنى الذي هو التضمين بعض المفسرين يقتصر عليه، فإذا كان من السلف ممن يكون منهجهم منهج السلف الصالح في إثبات الصفات، فلا يقال أنه ألغى المعنى الذي هو أصل المعنى.

مثلًا ابن كثير وغيره قالوا: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾، قالوا: هنا بمعنى القصد، ليس فيه إلغاء للمعنى الأول المعنى الأصلي الذي هو العلو والارتفاع بل فيه إضافة معنى آخر، المفسر قد يكتفي بهذا الذي قد لا يتنبه إليه، أما المعنى الأول واضح، وقد يذكر الاثنين، ففي مثل هذه المواطن لا بد أن تدقق، هل هذا من المثبتين فيكون له حال له حكم أو من المعطلة، المعطلة أصلًا يكتفون باللوازم ويكتفون بالمعنى الثاني؛ لأن أصل المعنى لا يثبتونه.

فهنا أيضًا النظر لما يعدى بفي ففيه معنيان، المعنى الأول: الرؤية البصرية، والمعنى الثاني: التفكر فيما تراه، ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[يونس:١٠١] النظر في السموات تنظر فيها، تراها وتتدبر فيها، تفكر فيها؛ ما فيها من الآيات.

إذن النظر إذا كان مادة بفي ففيه معنى الإضافة وهو التفكر، إذا لم يكن معدى لا بهذا ولا بهذا؟ يأتي بمعنى الانتظار ويأتي أيضًا بمعنى النظر، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾[الأنعام:١٥٨]، ذكرنا هناك أن النظر هنا بمعنى الانتظار.

هنا: ﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾[المطففين:٢٣].

لم يعد لا بـ (إلى) ولا بفي، فما هو المعنى؟

يحتمل الانتظار ويحتمل أيضًا ماذا؟

الرؤية البصرية، ولكن أيهما أليق بالمكانة؟

الانتظار، الانتظار لا يليق بحال أهل الجنة، الذي يشتهونه يتوفر لهم، فالأليق بالمكان هنا ينظرون، ينظرون إلى ماذا؟ ينظرون إلى كل ما يسرهم، وأعلاه هذا الذي يأتي في الآية التي بعدها: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] هذا النعيم هو أعلى النعم، فهذه الآية من الأدلة التي يستدل بها على الرؤية والنظر إلى وجه رب العالمين، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ للذين كان منهم الإحسان، والإحسان كما تعرفون الدرجة الثالثة من درجات الدين، إسلام، إيمان، إحسان، الإحسان يجمع بين كمال الإسلام وكمال الإيمان، ولذلك هي الدرجة العالية، الإحسان يجمع هذه الدرجة تجمع بين كمال الإيمان وبين كمال الإسلام، والإحسان بمعنى التقوى والتقوى يتفاوت والإحسان هو أعلاه، والذين أحسنوا كان منهم هذه العبادة وكانوا يتعبدون الله ﷻ بهذه الدرجة لهم الحسنى، والحسنى تفضيل اسم تفضيل مؤنث الأحسن، الأحسن إذا كان مذكرًا وإذا كان مؤنث الحسنى، ما الذي يقابل الحسنى.

﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾[الرحمن: ٦٠].

الحسنى هي الجنة، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦] كما ورد في الحديث في صحيح مسلم أنها رؤية الله عز.

هذه الزيادة هي من فضل الله ﷻ، هذا فضل من الله ﷻ يتفضل به على من يشاء، نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا ألا يحرمنا هذه النعمة، نحن نتوسل إلى الله ﷻ بإيماننا برؤيته، هناك من ينكر هذه الصفة، هناك من ينكر أن الله ﷻ يرى، مع كل هذه الأدلة، الذين ينكرون هم المعتزلة وعلى نمطهم الآن الإباضية، فيهم اعتزال هناك تلاقع بين الخوارج والمعتزلة من زمان، تلاقع بينهم في المعتزلة أخذوا من الخوارج والخوارج أخذوا من المعتزلة، من ذلك نفي الرؤية، نحن نتوسل لله ﷻ بإيماننا ألا يحرمنا رؤيته، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ إذن فيها إثبات رؤية الله ﷻ.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[ق: ٣٥] هذه أيضًا رؤية الله ﷻ.

إثبات الرؤية سيأتي أيضًا ستأتي فقرة تتعلق بالرؤية قد نفصل هناك، عمومًا أهل السنة والجماعة يثبتون الرؤية البصرية، الرؤية بالأبصار، ولذلك هم لما يذكرون في كتبهم في العقيدة لما يذكرون هذه المسألة يقيدونها بالبصر، المتكلمون المعتزلة والخوارج لا يثبتون الرؤية؛ لأنهم يقولون: الرؤية تستلزم الجهة؛ لأنك سترى رب العالمين وهو في جهة منك، وندخل في تلك السلسلة، والجهة تستلزم الإشارة، والإشارة تستلزم الجسمية، والجسمية يوصله إلى، لذلك قالوا: لا يمكن أن نقول بالرؤية.

طيب ما المراد بهذه؟

قالوا: سهل، تأويلها سهل، المراد بالرؤية زيادة العلم، المراد بالرؤية إيش؟ زيادة العلم، هكذا قالوا المعتزلة.

أوائل الأشاعرة والكلابية الذين كانوا يثبتون العلو أيضًا يثبتون الرؤية البصرية، أوائل الكلابية، أوائل الأشاعرة يثبتون العلو، تأويل صفة العلو بدأ من الطبقة الثانية من طبقات الأشاعرة من الجويني وإلا الذين قبله يثبتون العلو، الذين يثبتون العلو يثبتون الرؤية كما يثبتها أهل السنة والجماعة، الرؤية البصرية، الذين ينفون العلو وهم جماهير الأشاعرة والماتريدية يثبتون رؤيةً من غير جهة، يثبتون رؤيةً من غير جهة؛ يقولون: الله ﷻ يرى ونحن نؤمن بهذه النصوص، ونثبت أن الله ﷻ يرى ولكنه من غير جهة، كيف من غير جهة؟ قالوا: الله ﷻ يخلق إدراكًا به يرونه، ولكن لا يرونه في جهة، ويرونه وهو في جهة منه؛ لأن هذا يدخل في، نفس الأدلة لنفي صفة العلو نفس الأدلة هنا أيضًا، وبذلك يكونون محجوجين من طرفين من المعتزلة ومن أهل السنة والجماعة، المعتزلة يقولون: إما أن تثبتوا الرؤية كما يثبتها الناس كما هو معروف وتكونون مشبهةً مثلهم أو تكونون مثلنا تنفون الرؤية كما نفينا العلو، أما اتفقنا نحن وإياكم على نفي العلو، لماذا نفينا العلو؟ لأنه يستلزم تشبيهًا، هذا أيضًا يستلزم التشبيه، فصاروا محجوجين من الطرفين، رؤية من غير جهة؟!

غريب هذا، مثل الكلام النفسي، أرادوا أن يتوسطوا بين الفريقين فأثبتوا أن هناك كلامًا غير مخلوق وهو الكلام النفسي، وهناك كلام مخلوق وهو الكلام اللفظي، أرادوا التوسط بين الفريقين.

استمر هذا في الأشاعرة رؤية من غير جهة، استمر هذا إلى فترة وهم يقيدون الرؤية بالرؤية البصرية ثم نلاحظ أن كتبهم المتأخرة بدأ يختفي هذا القيد؛ تقييد الرؤية بالبصر بدأ يختفي؛ لأن هذا الإشكال يأخذ بتلابيبهم كيف رؤية بدون جهة؟ ثم عند المتأخرين من بعد الرازي ومن بعد الآمدي صرحوا بأن المراد بالرؤية زيادة العلم، رجعوا إلى ماذا؟ بعد هذه الرحلة الطويلة الشاقة رجعوا إلى مذهب المعتزلة؛ فصرحوا أن المراد بالرؤية زيادة العلم، وهم يضربون مثلًا في هذا، في قول النبي ﷺ الذي سيأتي: «**إنكم سترون ربكم كما هذا القمر**» يقولون: هذا المثال فيه بيان لزيادة العلم وليس للرؤية، يقولون: أنت الآن لما تتصور القمر صورة القمر واضحة عندك، أليس كذلك؟ ولكن لما تشاهده الصورة تكون أوضح،

يقولون: هذا الذي بينه؛ التفاوت في علمكم رب العالمين زيادةً ونقصانًا سيكون مثل تفاوتكم في رؤيتكم للقمر تصورًا ومشاهدةً، هكذا يا إخوان، وهذا كله لعدم الاستسلام للنصوص، ولا أستبعد أن يكون متأخروهم قد يلتزمون أمورًا أخرى أيضًا بحسب تأثرهم، تأثروا بهذا فجاءوا بشيء جديد ثم تأثروا بهذا فجاءوا، وإلا شف السلسلة هذه إثبات الرؤية مثل أهل السنة ثم رؤية بلا جهة ثم رجوع إلى مذهب المعتزلة.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

(وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللهِ تعالى كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ.)

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

وهذا الباب في كتاب الله تعالى كثير.

لماذا؟

لأنه يتعلق بالتوحيد، والقرآن كله كما ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في التوحيد، القرآن كله في التوحيد؛ لأن الأوامر والنواهي من حقوق التوحيد ومكملاته، أو بالنسبة للأخبار الأخبار تنقسم إلى قسمين، إما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد وما فعل بهم ونصرهم في الدنيا وما سيكرمهم به في الآخرة وهذا جزاء التوحيد، وإما خبر عن أهل الشرك وعقابهم في الدنيا والآخرة، إذن القرآن كله توحيد، لذلك كثير جدًا ومعركتهم مع هذا الكثير كيف يتخلصون من هذا الكثير دائمًا.

والذين يقولون أنه لا يجوز الاستدلال بالكتاب والسنة في أصول الإلهيات أيضًا يعارض ويتعارض مع هذا الكثير، من تدبر القرآن شرط الحصول على هذا النعمة أن تتدبر فيه، نحن قد أمرنا بالتدبر؛ ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾[محمد: ٢٤]، لاحظوا هذا التهديد، ما هي هذه القلوب التي عليها أقفال؟ ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾.

الشيخ العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره أضواء البيان أطال في تفسير هذه الآية، وأحد الإخوة استل ما كتبه بهذا الحجم أمامنا، كلامه في تفسير هذه الآية مستل من التفسير مطبوع لوحده، تقريبًا بهذا الحجم، ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾.

من تدبر القرآن طالبًا للهدى منه، والذي يعتقد أن الهدى في وين؟ في اليونان أو في الهند، كيف يتدبر في هذا القرآن؟! طالبًا الهدى منه بين له طريق الحق.

يقول الله ﷻ:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس:٥٧]، هذا القرآن فيه كل شيء، تريد الموعظة هنا الموعظة، تريد الشفاء من الأمراض أمراض الشبهات والشهوات، وهو الرحمة وهو الهدى.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

(ثُمَّ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تُفَسِّرُ الْقُرآنَ، وتُبَيِّنُهُ، وتَدُلُّ عَلَيْهِ، وتُعَبِّرُ عَنْهُ، وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ ﷻ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الإيمَانُ بِهَا كَذَلِك.)

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

كيف عندك؟

الطالب: ثُمَّ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تُفَسِّرُ الْقُرآنَ

الشيخ: أنا عندي: فالسنة تفسر، وما عندك أحسن، الذي عندك أحسن.

(ثُمَّ سُنَّةِ رَسُولِ الله) هذا عطف على قوله: (وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللهِ كَثِيرٌ) وإذن كثيرة في سنة رسول الله ﷺ.

فالسنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه، أنت لما تفسر القرآن تفسره بالقرآن وتفسره بالسنة، هذا التفسير الذي ذكرته أفضل ما كتب في هذا الباب؛ أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، سبحان الله، يعني يفسر القرآن بالقرآن، يذكر الآية ثم يذكر الآيات التي تدل وتفسر هذه الآية، كتاب جميل، ثم تفسير القرآن بماذا؟ بالسنة، لماذا؟ لأن النبي ﷺ جاء ليفسر القرآن؛ ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل: ٤٤] هذه وظيفته بيان القرآن

(وتُبَيِّنُهُ)

يعني تفصل مجمله وتخصص عمومه وتقيد مطلقه، وهكذا.

(وتَدُلُّ عَلَيْهِ، وتُعَبِّرُ عَنْهُ)

طبعًا هذه الجملة هي عبارة الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الجملة: السنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه، إذن إذا أردت أن تفسر القرآن تفسره بالقرآن وتفسره بسنة النبي ﷺ؛ لأن النبي ﷺ بين القرآن.

يقول: (وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ ﷻ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِك)

لا بد أن نؤمن بما وصف الله ﷻ به نفسه وبما وصفه به نبيه محمد ﷺ، لاحظوا أن شيخ الإسلام هنا قيد قوله تلقاها من الأحاديث قيدها بأن تكون صحيحةً، وقيدها أيضًا أن تكون مما تلقاه أهل المعرفة بالقبول، كيف تكون صحيحة؟ بعدما يتلقاه أهل المعرفة بالقبول، أهل المعرفة وليس أهل الجهل، لا تأخذ حديثًا وتذهب به إلى العلاف وتقول له: هذا الحديث آخذه أو لا آخذه؟ ماذا سيقول لك؟ لا تأخذه، لا يجوز أن تأخذه، ما تأخذه فقط، لا يجوز أن تأخذه، مشبه كذا، إذن لا عبرة بأهل الجهل ولا عبرة بغير أهل المعرفة، وأهل المعرفة هم أهل الحديث فقط المحدثون.

هذا الإمام البخاري لما خرج من بخارى وتجول في شرق البلاد الإسلامية وغربها وجنوبها وشمالها؛ ورجع إلى بلاده بعد أكثر من ثلاثين سنةً، وهو يجمع الأحاديث ويميز بين الصحيح والضعيف، وهذا الصحيح جمعه وانتخبه من بين أكثر من سبعمائة ألف حديث، هذا هو أهل المعرفة، إذا قال البخاري لك: هذا الحديث صحيح، نتلقاه بالقبول؛ لأنه هو تلقاه بالقبول؛ هو أهل المعرفة، أما إذا أودعه في صحيحه كما قال العلماء: جاوز القنطرة.

الحديث الصحيح أيضًا له درجات، أعلاه ما كان في الصحيحين، يليه ما كان في صحيح البخاري فقط، يليه ما كان في صحيح مسلم فقط، يليه ما كان على شرط الشيخين، يليه ما كان على شرط البخاري، يليه ما كان على شرط مسلم، يليه ما لم يكن من ذلك ولكن صحيح عنده غيره في السنن وغير السنن، إذن هناك تفاوت.

هناك من يقول: أن ما أودعه البخاري ومسلم في صحيحيهما يمكن أن يكون موضوعًا، بعضهم يقول: يمكن أن يكون ضعيفًا، وبعضهم وصل به الأمر يقول: يمكن أن يكون موضوعًا، هذا ذكره الرازي وذكره ابن جماعة، أحاديث الصحيحين يمكن أن يكون فيها؟ بالله عليكم هذا كلام أهل المعرفة؟ هذا كلام أهل الجهل المركب، فلا عبرة بهم.

يقول الجويني في كتابه «البرهان» في أصول الفقه، من الأصول يعني من الكتب المعتمدة في أصول الفقه، مطبوع في مجلدين، ذكر فيه مسألة وقعد هناك مسألة تتعلق بالسنة ثم ذكر ما معناه أن بعد هذا التقرير لا عبرة بالمحدثين!

سبحان الله، لا عبرة بالمحدثين.

مثاله أن أذهب أنا إلى جمعية المهندسين، جمعية المهندسين أذهب إليهم وأقول لهم: ترى المسألة الفلانية في الهندسة المعقدة الطويلة العريضة التي اختلفتم فيها هي كذا وكذا، وخلافكم لا عبرة به، ماذا سيقولون له؟ المهندسون كلهم ماذا سيقولون له؟ هذا مثاله، أنت متكلم ومجالك علم الكلام تذهب وتقحم نفسك في علم الحديث ثم تقرر شيئًا ثم تقول: لا عبرة بأهل الفن، نعم، الله المستعان.

المهم هنا الذي تلقاه أهل المعرفة بالقبول وغيرهم لا عبرة لا بموافقتهم ولا بمخالفتهم، لا موافقتهم تزيده قوةً ولا مخالفتهم تجعله ضعيفًا. هكذا أهل السنة والجماعة، أهل السنة والجماعة لماذا لقبوا بهذا اللقب؟ لأن المبتدعة لا يجسرون عل موقفهم على موقف معين من القرآن، كلهم يدعون أنهم يأخذون من القرآن ولكن تلاعبهم دائمًا يكون في السنة، فالمعتزلة يرون أنه لا يؤخذ إلا بالسنة المتواترة، ونفس الموقف للأشاعرة والماتريدية، يقولون أن أخبار الآحاد لا يجوز الاستدلال بها في مسائل العقيدة، لا يجوز، طيب أحاديث الرؤية هي متواترة عند أهل السنة، المعتزلة يقولون: غير متواترة، طيب أحاديث الحوض؟ غير متواترة، كذا؟ غير متواترة، لماذا؟

لأنه وضع شروطًا للمتواتر أنا وافقته عليها وذكرتها في مصطلح الحديث، هذه الشروط التي هي ليست من نفس المحدثين، وكثير ممن كتب في مصطلح الحديث ذكر هذه الشروط ووافقهم عليها وبالتالي أسلم قياده له، ونحن أهل السنة والجماعة لا بد أن يكون موقفنا من السنة كما يليق بالسنة، لا ننظر إلى أهواء هؤلاء المنحرفين، ولا ننظر إلى قواعدهم ولا نحترمها، نحترم سنة النبي ﷺ أبدًا.

الذي يقول: السنة من حيث وصولها إلينا تنقسم إلى متواتر وآحاد، المتواتر يفيد العلم والآحاد يفيد الظن.

نقول: هذا قاعدة باطلة من أساسها، وليست هذه من قواعد المحدثين، حتى ولو ذكره من ذكرها.

للأسف كثير من هذه القواعد التي نحن أخذناها وأودعناها فيها هي التي شوشت علينا وعلى غيرنا، الآن الجويني أنا لا ألوم الجويني ولكن ألوم الذي يذكر كلامه وينقله إلى مصطلح الحديث، تجد في مصطلح الحديث قال الآمدي، قال الرازي، قال الجويني.

سبحان الله، لماذا؟

الحافظ ابن حجر مثلًا هو إمام هذا الفن، إمام هذا الفن ولكن لا يقبل منه يستورد منه، أبدًا، لا منه ولا من غيره أما هو فإمام هذا الفن يقرر ما يريد حتى ولو أخطأ خطؤه أيضًا محترم، حتى ولو أخطأ؛ لأنه خطأ من أهل أن يلج فيه، الجويني! فلان فلان، سبحان الله، لماذا تنقل أقوالهم في مصطلح الحديث؟ أما في الأصول فهم ألفوا، كتبهم موجودة، ما تستطيع أن، والله المستعان.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأسئلة

الطالب: ذكر الأخ قبل اللقاء ...

الشيخ: ماذا تقصد بالوجه؟

المقصود به أنه معهم ذاتًا؟ أنا قصدي من هذا السؤال هو إذا ادعى أن المراد بالوجه هنا صفة الوجه وأن هذا يقتضي أن يكون في كل مكان نأتي معهم من البداية، نقول له: ليس هذا هو المراد، وهو مثل صفات مثل صفة المعية، صفة المعية لا تقتضي المخالطة، ولا تقتضي، أفهمها على ضوء النصوص الأخرى، النصوص بعضها تفسر بعضها، والله أعلم.

الطالب:...

الشيخ: يصح

الطالب:...

الشيخ: بأنياب الحكمة.

الطالب:...

الشيخ: يجوز، يجوز أن الكلام يأتي بمعنى الجرح، طرقت الباب حتى كلمتني فلما كلمتني كلمتني، هذا من الجرح، طرقت الباب حتى كلَّ من الكلال متني يعني ظهري، انتظرت كثيرًا، بعد هذا الانتظار الطويل كلمتني يعني جرحتني، فهذا يأتي.

ولكن أولًا: هذا التأكيد هنا، هذا التأكيد كما قلنا هذا ينفي أي احتمال أن يكون غير الكلام.

وثانيًا: أي جرح أنت تتحدث عنه، الله ﷻ كلمه فأنعم عليه ولا جرحه؟ كلمه وجعله كليمه فأحسن إليه وأنعم إليه ولا جرحه؟ أما أنياب الحكمة هذا شيء ما وجدناه إلا عندنا، نعم.

(ثُمَّ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تُفَسِّرُ الْقُرآنَ)، إلى آخر كلامه.

الآن يذكر بعض الأحاديث الصحيحة الثابتة على شرطه الذي أشار إليه من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول، يذكر بعض الأحاديث في إثبات أسماء الله وصفاته.

وسنلاحظ أن أكثر ما ذكر من الأحاديث هي في الصفات الاختيارية، أيضًا أحاديث في صفة العلو، وأحاديث في صفة الكلام، وغيرها من الصفات، وهذا القسم هو قسم السنة، ولم يطل فيه شيخ الإسلام

حتى في القسم الأول لم يطل فيه، ولكن المنهج الذي سلكه أنه ذكر النصوص وقوله سبحانه وقوله تعالى وقوله تعالى، ذكر هذه النصوص وجعل الموافق والمخالف أمام هذه النصوص، وهي التي تنطق بالحق، وهكذا سيكون منهجه هنا.

بعد ما ينتهي من سرد بعض الأحاديث سيبدأ في التعليق على بعض المسائل والتوضيح حول بعض المسائل التي سبق ذكر النصوص فيها.

الحديث الأول الذي ذكره حديث النزول، وحديث النزول رواه نحو من ثماني وعشرين صحابيًا، وهو متواتر، متواتر معنًى؛ لأن التواتر على قسمين: متواتر لفظي، ومتواتر معنوي، المتواتر المعنوي أو التواتر المعنوي يحصل بورود عدد من الأحاديث في نفس الموضوع ولو كان اللفظ مختلفًا، وهذا كثير في السنة، أما المتواتر اللفظي فقليل، وإذا رأينا الشروط التي ذكرها أئمة أهل السنة في المتواتر، وهو أن يجعل أصول العلم هو المعيار، فالمتواتر كثير، اللفظي والمعنوي كثير جدًا.

يقول النبي ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»

هذا الحديث متفق عليه، هذا الحديث كما قلت رواه أكثر من نحو من ثماني وعشرين صحابيًا، أشهر تلك الروايات رواية أبي هريرة ﷺ، وأبو هريرة ﷺ روى عنه أيضًا كثيرون، أشهر تلك الروايات الزهري عن أبي هريرة، وهو متفق عليه.

في قوله: «يَنْزِلُ رَبُّنَا» هذا اللفظ من الألفاظ التي لا يطيقه المتكلمون؛ لأن فيه كما يقولون الحركة، والحركة تستلزم الجسمية عندهم، لذلك يقولون أن فيه مجاز الحرف ومجاز الحذف، ينزل ربنا أي ينزل أمره أو تنزل رحمته، ينزل رحمته لغةً يصير هذا؟ ما تصير، ينزل رحمته، مفروض تنزل، أليس كذلك؟ مع ذلك قالوا: ينزل أمره أو ينزل رحمته، مع أنه لغةً، أو ينزل ملك من الملائكة، هنا مجاز الحذف، وهذا لا يستقيم، لا يستقيم مع قوله في آخر الحديث: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» فأمره ينزل في كل ثانية، ما في ثلث الليل الآخر أمره، فما معنى هذا التقييد؟ ثانيًا: أمره، هذا صفة له، الصفة لا تناديك، الموصوف هو الذي يناديك، والرحمة لا تناديك، وكذلك الملك لا يمكنه أن يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له؟ لا يمكنه،

واضح؟ إذن هذا باطل، وما بنوا عليه باطل؛ لأن النزول يستلزم الحركة، و، إلى آخره، هذه السلسلة ذكرناها مرارًا. والحديث كما قلنا متفق عليه، وليس هذا فقط، هو متواتر معنًى.

وشيخ الإسلام له رسالة حول هذا الحديث، مطبوع، حققه الدكتور شيخنا عبد الرحمن محمد، مطبوع باسم حديث النزول –أظن– شرح حديث النزول.

المهم في هذا الحديث وفي أمثال هذا الحديث أن لا ننسى قاعدة أهل السنة:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[الشورى:١١] نثبته ونؤمن به؛ لأن الله ﷻ أثبته ورسوله ﷺ أثبته، بالنسبة للإثبات لا يمكننا أن نعترض أبدًا.

ولكن نثبته على قاعدة أهل السنة أيضًا:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ، ما نثبته ونفهم النزول نزول الله ﷻ كنزول المخلوقين، وبالتالي نبدأ نختلف هل يخلو العرش منه أو لا يخلو؛ لأن الليل يختلف، فثلث الليل هنا، ثم ثلث الليل بعده إلى جهة المغرب، ثم ثلث الليل بعد، لا يخلو الكون من ثلث الليل، إما أن يكون هنا أو يكون بعدنا، كيف يكون؟ لماذا يكون دائمًا نازلًا؟ لماذا دخلنا في مثل هذه الأمور؟

لأننا فهمنا النزول مثل نزول المخلوق.

فنحن نجزم أن الله ﷻ ينزل وأخبر به النبي ﷺ، ونؤمن أيضًا أن العرش لا يخلو منه، ونؤمن أيضًا أن الله ﷻ عال على عرشه وعال على خلقه دائمًا، مع ذلك نؤمن أنه ينزل، كيف؟ ما ندري، واضح؟ كيف ينزل؟ ما ندري.

كل هذه البحوث التي قيلت حول النزول، يخلو منه العرش، كيف؟ هذه كلها تابعة للكيفية، لا ندخل فيها.

لما يكون ثلث الليل عندك لا بد أن تؤمن بنزول الله ﷻ، وهذا يشعرك بالقرب من الله ﷻ، لا تدخل في المتاهات متاهات المتكلمين، لا بد أن تؤمن، هذا هو المطلوب؛ لا بد أن تؤمن بنزل الله ﷻ، بقربه منك وأنه يقول: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» لا بد أن تؤمن بهذا، أما هذه المباحث التي يطرحها المتكلمون هي نتاج عقولهم الملوثة.

وهذه الألفاظ: من يدعوني، من يسألني، من يستغفرني، هذه الألفاظ الثلاثة بعضها أخص من بعض -لاحظوا- أعمها الدعاء، يليها في العموم من يسألني، ويليها في العموم من يستغفرني، فهي مرتبة هكذا، الأعم ثم الأخص ثم الأخص، الاستغفار أخصها والدعاء أعمها وبينها السؤال.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وقوله ﷺ: «للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهُ الْمُؤْمِنِ التَّائِبِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ» متفق عليه.

وقوله ﷺ: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ كِلاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» متفق عليه.

وقوله ﷺ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ خَيْرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزَلينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ» حديث حسن.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

هذه الأحاديث الثلاثة فيها صفة الفرح لله ﷻ وإثبات صفة الضحك لله ﷻ وإثبات صفة التعجب لله ﷻ، وكل هذه الصفات هي صفات فعلية، صفات اختيارية، والله ﷻ يفرح كما يليق بكماله وجلاله، ويضحك كما يليق بكماله وجلاله، ويتعجب كما يليق بكماله وجلاله.

الضحك أحاديثه أيضًا متواترة معنًى، ولا يلزم من إثباته لله ﷻ نقص؛ لأن الضحك في موضعه المناسب له صفة مدح وكمال، ولهذا قال النبي ﷺ: «يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزَلينَ» «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ خَيْرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزَلينَ» الأزْل بسكون الزاي معناه الضيق والشدة، الأزْل بسكون الزاي، وفي حديث الدجال أنه يحصر الناس في بيت المقدس فيؤزلون أزلًا شديدًا أي تصيبهم الشدة ويصيبهم الضيق.

«فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ» هنا يذكر النبي ﷺ حالةً من حالات الإنسان خاصةً لما يصاب بجدب وقحط، وهو يدعو الله ﷻ مع أنه يستبعد الخصب، والله ﷻ يعلم أن بعد ثوان سينزل المطر، ونحن نستبعد الحصول، ندعو ولكننا نستبعد، «عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غِيره» الغير التغير من الجدب إلى الخصب، الله ﷻ بعلمه الشامل المحيط يعلم بعد كذا سينزل المطر.

«يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزَلينَ قَنِطِينَ» أزلين قد أصابتكم الشدة وأصابكم الضيق، فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب.

أيضًا التعجب عند الإنسان يكون غالبًا مقرونًا بجهل، لماذا نتعجب؟ لأننا نرى أن هذا الذي حصل ما كان له ليحصل، فيكون خارجًا عن المعتاد، يكون هناك من الجهل مما حصل فنتعجب، كيف؟ ما كنت أتوقع، وتعجب الله ﷻ ليس –معاذ الله– لأنه يجهل بل يتعجب لخروجه عن نظائره تعظيمًا له.

هنا في قوله أيضًا يضحك في قوله: «**يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ كِلاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ**» طبعًا بقية الحديث: «**يقاتل هذا في سبيل الله فيستشهد ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيقاتل في سبيل الله فيستشهد**» هذا لا يكاد يكون، فإذا حصل الله ﷻ يضحك منه، وهكذا الضحك والفرح ليس فيه مما يكون من المخلوقين من الجهل وأيضًا ما يصيبهم من الحالات النفسية كما يقولون ولكن فرح الله ﷻ وغضبه وعجبه وضحكه، كل ذلك يليق بكماله وجلاله، نحن علينا أن نؤمن بما أثبته الله ﷻ لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ.

وأحاديث الضحك أيضًا كما قلت متواترة، أما ما يتعلق بالفرح، الفرح يدل على محبة الله ﷻ؛ لأن الفرح يكون بحصول المحبوب وهذا أيضًا مستفيض عن النبي ﷺ في الصحيحين وغيره.

والتعجب ورد في القرآن أيضًا؛ في قراءة: بل عجبتَ ويسخرون، هكذا في قراءة حفص، في قراءة: بل عجبتُ ويسخرون، من القراءات المتواترة، وكما قلنا كلما قلنا أن هذا من الصفات الاختيارية فيكون من نفاه جميع المتكلمين، المعتزلة يجعلون الفرح مخلوقًا منفصلًا، يعني يقولون: الفرح مما شأنه أن يُفرِح أو أن يُفرَح به، أما الأشاعرة فيفسرونه بالرضا، والرضا يؤولونه يرجعونه إلى الإرادة، ما أدري لماذا هذا الوسيط؟ ما فهمته إلى الآن، الفرح يؤولونه يفسرونه بالرضا والرضا يرجعونه إلى صفة الإرادة.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وقوله ﷺ: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ [وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ] فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وتَقُولُ: قَط قَط» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

في هذا الحديث إثبات صفة من الصفات الخبرية، وفي هذا الحديث أيضًا أن الله ﷻ يضع فيا رجله أو قدمه، فيها أو عليها، الرجل هو القدم، وسبق إثبات هذه الصفة، على كل حال الرجل في الرواية القدم.

يقول النبي ﷺ: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ [أو عَلَيْهَا قَدَمَهُ] فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ» أي ينضم بعضها إلى بعض فيتلاقى طرفاها فلا يبقى فيها فضل؛ لأن جهنم لا زالت تقول: هل من مزيد، الله ﷻ يضع قدمه أو رجله عليها فينضم بعضها إلى بعض فيتلاقى طرفاها فلا يبقى فيها فضل، وتسكت، إلى ذلك الوقت وهي تقول: هل من مزيد.

أما الجنة يبقى فيها فضل، الله عز ينشئ لها خلقًا آخرين، هكذا ثبت في الحديث.

وسيأتي في كلام شيخ الإسلام.

وهذا من فضل الله ﷻ، بالنسبة للجنة ينشئ لها خلقًا آخر، أما جهنم من كان يستحق يدخله ولا ينشئ له من لم يكن مستحقًا جهنم.

فهنا إثبات صفة القدم والرجل لله ﷻ، وهي من الصفات الخبرية.

وقول جهنم: «هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟» هل من مزيد، هذا على سبيل الطلب، والمزيد ما يزيده الله فيها من الجن والإنسان، وقولها: «قَط قَط» أي حسبي حسبي.

المؤولة حسب منهجهم أولوا وقالوا: الرجل بمعنى الجراد الكثير، هذا ذكره الرازي، الرجل بمعنى الجراد الكثير، يضع فيها الجراد الكثير، الجراد هذا الذي يطير، ما أدري إيش مناسبة الجراد هنا، قال: لأن هذا الحديث يقول: يستلزم ظاهر الحديث أن يكون قدم الله ﷻ في النار، يقول: ظاهره أن يكون قدم الله ﷻ في النار، ليس هذا الظاهر، وذكرت لكم دائمًا ينشئون ظاهرًا ليلجئك إلى التأويل، والرجل بمعنى

الجراد الكثير اسمعه واستعجب، طيب هذا إذا كان الجراد الكثير، القدم ماذا يكون؟ والصحيح أن هذا من صفات الله ﷻ من الصفات الخبرية، والحديث متفق عليه.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وقوله ﷺ: « يَقُولُ الله ﷻ لآدم عليه السلام : يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادِي بِصَوتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِن ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ »

وقوله ﷺ: « مَا مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ حَاجِبٌ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ »

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

هذان الحديثان ذكرهما شيخ الإسلام لبيان أن كلام الله ﷻ بحرف وصوت، والحديث الأول نص في هذا الموضوع، ولذلك بما أنه نص في الموضوع لم يخلُ من محاولة صرفه عن الموضوع، أحد الرواة في صحيح البخاري، رواه أحد الرواة، بقية الرواة كلهم فينادي، المنادي من؟ الله ﷻ.

يقول الله تعالى: «يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادِي» من؟ هذا الذي ذُكر وهو الله ﷻ، «إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِن ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ» أحد رواة صحيح البخاري قال: فينادى بصوت. وهذا الراوي هو متأثر بعلم الكلام، معروف، لا حاجة لذكره باسمه ولكنه متأثر بعلم الكلام، وهو الذي انفرد بهذه الرواية، أما بقية الرواة كلهم: فينادي بصوت، حتى هذه محاولة فينادى بصوت، محاولة ولكنها محاولة فاشلة.

«فَيُنَادِي بِصَوتٍ» الحديث متفق عليه، وهو نص في الموضوع، إذن كلام الله ﷻ بصوت.

«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ» وكلامه سيسمعه ا لمُخاطَب، كيف سيسمعه؟ لأن كلامه بحرف وصوت، لذلك جعله بعد هذا الحديث، فيدل أيضًا، الحديث الأول هو نص في الموضوع والحديث الآخر ظاهر في هذا الموضوع، والأحاديث التي فيها أن كلام الله بحرف وصوت كثيرة، منها هذا الحديث.

المتكلمون وخاصةً طبعًا فيما يتعلق بصفة الكلام أكثر نزاع أهل السنة مع الأشاعرة والماتريدية؛ لأن المعتزلة لا يثبتون هذه الصفة أصلًا، لا يثبتون الصفات ومنها هذه الصفة، لا يثبتونها، ويقولون: هذا القرآن مخلوق، الله ﷻ يتصف بالصفات، أحيانًا بعضهم يثبتون ثلاث صفات، وجمهورهم لا يثبتون

الصفات، وبالتالي نزاعنا معهم يعني معروف، الكلابية هم الذين نزاعنا معهم طويل.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ يقولون: أن صفة الكلام التي نثبتها لله ﷻ هي الكلام النفسي، هي ماذا؟

الكلام النفسي، أما اللفظ فلا يدخل في الصفة، لما نتحدث عن هذه الصفة فاللفظ لا يدخل في الصفة، فالصوت والحرف هذا جزء من اللفظ، ولذلك هم يقولون: الكلام إذا كان بحرف وصوت هذا يدل على حدوثه وبالتالي كلامه الله ﷻ ليس بحرف وصوت، كل ما يدل على الحدوث ينفونه من الصفات، وفي النهاية يبقون شيئًا غير مفهوم.

الآن أنت لما تقول: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الباء تسبق السين والسين تسبق الميم، هذا الترتيب، قالوا: كلام الله ﷻ غير مرتب؛ لأنه واحد بما أن كلام الله ﷻ واحد وبالتالي غير مرتب، في إيش هذا الترتيب؟

قالوا هذا في اللفظ واللفظ ليس من كلام الله ﷻ، وثانيًا: هذا الترتيب لأجلنا نحن؛ لأننا نحن ما نستطيع أن نتلفظ إلا بالترتيب، إذن أكثر ما سيذكره شيخ الإسلام هنا، أكثر ما سيذكره المستهدفون في الرد هم الكلابية، الكلابية هم شيوخ الأشاعرة والماتريدية، وهم الذين ينفون أن يكون كلام الله ﷻ بحرف وصوت، وأولئك ينفون أن يكون متصفًا بهذه الصفة أصلًا.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَقَوْله فِي رُقْيَةِ الْمَرِيضِ: «رَبَّنَا اللهَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجِعِ؛ فَيَبْرَأَ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وقوله ﷺ: «أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ» رواهُ البخاريُّ وغيرُه.

وقوله ﷺ: «وَالْعَرْشُ فَوْقَ الماء، وَاللهُ فَوْقَ عرْشِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ»

وقوله للجارية: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قال: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ الله. قال: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

وَقَوْله فِي رُقْيَةِ الْمَرِيضِ: «رَبَّنَا اللهَ» يعني بالخطاب نداء، والحديث حسن كما ذكره شيخ الإسلام، الحديث حسن.

في هذه الأحاديث إثبات صفة العلو، في رقية المريض: «رَبَّنَا اللهَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ» هذا هو الشاهد، «أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ» «وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» فيه الجمع بين العلو والمعية.

وقوله للجارية: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ.

سبق أن ذكرنا أن في السماء فيها في والسماء، السماء إذا كانت بمعنى الأجرام المبينة كالسموات السبع ففي بمعنى على وإذا كانت في على بعضها بمعنى الظرفية، السماء بمعنى العلو، كل هذه الأحاديث تدل على إثبات صفة العلو، والعلو صفة ذاتية أزلية.

في الحديث أن الكرسي في العرش حلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض. رواه الطبري وأبو الشيخ في العظمة، وفي الحديث أيضًا: والسموات السبع في الكرسي كدراهم سبع ألقيت في ترس.

أخرجه الطبري وأبو الشيخ والذهبي في العلو، حديث زيد بن أسلم ﷺ، يقول ابن عباس –رضي الله عنهما–: العرش لا يقدر قدره إلا الله ﷻ. أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير والذهبي في العلو.

«وَالْعَرْشُ فَوْقَ الماء، وَاللهُ فَوْقَ عرْشِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ»

هذا فيه أولًا: إثبات العرش.

وذكرت لكم أن الكلابية والأشاعرة والماتريدية يخالفوننا حتى في العرش؛ ليس في الاستواء فقط، العرش عندهم هو الملك، مع أن العرش مخلوق من مخلوقات الله ﷻ له قوائم وله صفات، وليس هو بمعنى الملك، يقولون: يقال: فلَّ عرش فلان، أي سقط ملكه، نعم، هكذا في اللغة صحيح.

ولكن هل العرش هنا الذي وصفه الله ﷻ أنه مجيد ووصف نفسه أنه مستو عليه، هل مستو على الملك، يعني الله ﷻ مستو على الملك؟ وعلى كلامه مستول على الملك، من الذي كان يغالبه في الملك حتى استولى عليه؟ وكلامهم فيه اضطراب، بعضهم تفهم من كلامه أنه يريد بالعرش العرش المخلوق، ولكن أكثرهم يرون أن العرش هو الملك، فيستدلون بمثل هذه: اختل عرش فلان، نعم، هذا صحيح ولكن العرش هنا مخلوق من المخلوقات وصف بأوصاف كثيرة.

وقوله قول النبي ﷺ للجارية: «أَيْنَ اللهُ؟»

هذا لفظ صحيح مسلم، لفظ صحيح مسلم: «أَيْنَ اللهُ؟ قَالَتْ» هكذا في صحيح مسلم؛ لأن في بعض الأحاديث: «فأشارت». وهذا الحديث في السنن في المسند والسنن: «فأشارت»، وهذا حديث آخر، أما حديث معاوية السلمي ﷺ هذا الحديث فيه: «قالت»؛ مما يدل على أنها لم تكن خرساء؛ لأن المتكلمين تتابعوا على القول بأن الجارية كانت خرساء فأشارت، هنا «قالت»، قالوا: فأشارت إلى السماء لأنه لا يمكنها أن تعبر عما في نفسها إلا بهذه الإشارة، والمراد بهذه الإشارة أنها تنزه وأنه ليس مثل المعبودين المعبودات الأصنام في الأرض، لا، لا، ليس مثلها، شأنه أعلى؛ مع أن في صحيح مسلم كما قلت: «قالت»، لم تكن خرساء.

قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قال: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ الله. قال: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ».

سؤال النبي ﷺ لها عن لا إله إلا الله، أن لا إله إلا الله، أين الله؟ يتعلق بالله ﷻ، من أنا؟ يتعلق بلا إله إلا الله محمد رسول الله، يعني الجملة الثانية.

وفي هذا الحديث أمران هما في غاية الاستحالة عند المتكلمين:

الأمر الأول: السؤال: أين الله؟ هذا السؤال لا يجوز عندهم كما يذكر الشيرازي الفقيه المعروف، يقول: السؤال بأين الله كفر، الشيرازي، الفقيه المعروف في الشافعية القرن الرابع أظن، يقول: السؤال بأين كفر، لماذا؟ لأن فيه أينية؛ لأن فيه سؤال عن المكان، أين الله؟ فيه سؤال عن المكان، لذلك يقولون: أين الله؟ هذا سؤال عن المكانة وليس عن المكان، والمعنى كما قالوا أين مكانة الله في قلبك، أين مكانة الله في قلبك؟ أين اعتقادكِ في الله ﷻ؟ فأشارت في السماء، يعني اعتقادي فيه أنه في السماء، السؤال كما قلت عن المكان كما قالوا فلذلك لا يمكنهم أن ثبتوه، والجواب: في السماء، السؤال فيه إشكال والجواب فيه إشكال، والنبي ﷺ يقول: أعتقها فإنها مؤمنة. هذا أيضًا فيه إشكال، عندهم الذي يسأل بأن الله، هذا قد وقع في الكفر، طبعًا نحن ما نخوض في اللوازم، لو واحد يخوض في اللوازم مثلهم، يا أخي أول من يكفر عندك ما أدري من؟ أول من سأل هذا السؤال هو نبي هذه الأمة، أين عقلك لما تقول السؤال كفر؟ أين؟ والحديث في صحيح مسلم، طبعًا أحدهم وهو الكوثري ذكر أن هذا الحديث فيه تسع علل، ما علة واحدة تسع علل، والحديث في صحيح مسلم، إذا أرادوا أن يردوا يردون الحديث المتفق عليه ولا يتورعون حتى من احتمال كونه موضوعًا كما ذكرت أمس، وإلا يستدلون بالموضوع، الآمدي ذكر في «أبكار الأفكار» قال -طبعًا رد هذا الحديث وذكر حديثًا آخر- قال: قال النبي ﷺ، إذن لا يجوز أن تقول: أين الله؟ ليش؟ لأن هناك حديثًا، قال: سئل النبي ﷺ قيل له: أين الله؟ فأجاب الذي أين الأين لا يقال له أين، الذي أين الأين لا يقال له أين.

يعني سئل النبي ﷺ وقيل له: أين الله. فأجابه بهذه الفلسفة، هذا سبحان الله فيه اتهام، اتهام النبي ﷺ، وكأنه كان من تلاميذ أرسطو -نعوذ بالله- الذي أين الأين لا يقال له أين، الحديث هذا، ترد الحديث الذي في حديث مسلم وتأتي بهذا، من علامات الوضع في الحديث وهذا كلام ابن القيم؛ الجملة ركاكة الجملة تدل على أن هذا الحديث ليس من قول النبي ﷺ.

وكما ذكر الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في العلو:

الحديث أفاد فائدتين:

الفائدة الأولى: جواز السؤال بأين الله، ما هو جواز فقط استحباب السؤال بأين الله.

والفائدة الثانية: إثبات أن الله ﷻ في السماء.

وأقوالهم حول هذا الحديث كثيرة جدًا.

الطالب: ... كيف تشير؟

الشيخ: فسر، فسروا هذه الإشارة، قالوا: هي ما تريد مع أنها خرساء، هم يتصرفون فيها، قالوا: بما أنها خرساء أشارت إلى السماء بمعنى أنها ليس مثل هؤلاء الذين في الأرض، لا، مقامه عال.

الطالب: الإشارة

الشيخ: ما أشارت إلى أن الله ﷻ فوق، لا، لا، قالت: مقامه عال، وإلا حتى الإشارة تثبت، هذه تستلزم الجهة والجهة تستلزم، إلى آخر الخرافات، قالوا: لا، لا، هي ما أثبتت أن الله ﷻ فوق بل هي أشارت أن مكانة الله ﷻ عظيمة.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وقوله ﷺ: «أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ» حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وقوله ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ فَلاَ يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ؛ وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وقوله ﷺ: «اللهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وقوله ﷺ لَمَّا رَفَعَ أَصْحابُهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ! أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

في هذه الأحاديث إثبات معية الله ﷻ لخلقه، وفيها إثبات سعته وإحاطته بكل شيء، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، وفيها –في الحديث الأخير– إثبات قربه من عبده الداعي.

في الحديث الأول إثبات معية الله ﷻ لعباده، وهي المعية العامة.

سبق أن ذكرنا أن صفة المعية ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار:

بمعنى أن المعية العامة يتصف بها الله ﷻ دائمًا أزلًا وأبدًا، وما من شيء إلا والله ﷻ معه بعلمه وإحاطته وربوبيته وجميع معاني الربوبية، معه حقيقةً ولكن لا نقول: معه بذاته، لا نقول معه بذاته؛ لأن هذا يشكل يوهم بأن هناك مخالطة، لا، الله عز فوق العرش وهو عالم بذاته، ومعه حقيقةً، لكن ما هي المعية؟ المعية بالعلم والإحاطة والتدبير، فنحن لما قلنا: ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار ليس معناها أن هذه

المعية المعية العامة، الله ﷻ مع كل شيء بذاته، لا، ذاتية باعتبار هي الله ﷻ يتصف بها دائمًا، لا يقال: هو الله ﷻ مع كل شيء بذاته، لا، ولكن نقول: هذه المعية هي حقيقية، وسيأتي في كلام شيخ الإسلام.

في هذا الحديث: «أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ» فيه المعية العامة، إذا قام أحدكم إلى الصلاة إيش بعد عندك؟

الطالب: إن الله قبل وجهه

الشيخ: أنا عندي نقص.

«فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ فَلاَ يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ» لماذا؟ لأن الله محيط بكل شيء، الله ﷻ محيط بكل شيء.

ثم قال: «فَلاَ يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ» لماذا؟

تشريفًا لليمين، تشريفًا لليمين، أيضًا ولأن الملكين عن يمينه، «وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ» وهذه المواجهة مع علوه سبحانه، واستوائه على العرش هي كما تليق بكماله وجلاله، وما بعدها تفسير للآية التي ذكرها شيخ الإسلام سابقًا، تفسير لها: «أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت أخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء» إلى آخر الحديث، ففيه بيان إحاطة الله ﷻ من حيث الزمان والمكان، فكما قال: «أنت الأول فليس قبلك شيء» هذا في الأزلية، «وأنت الآخر فليس بعدك شيء» هذا في الأبدية، «أنت الظاهر فليس فوقك شيء» هذا في إثبات العلو، «وأنت الباطن فليس دونك شيء» هذا فيه إثبات المعية والقرب بل أدنى من القرب، «اقض عني الدين وأغنني من الفقر»

في الحديث الأخير فيه إثبات القرب من الله ﷻ إذا دعاه، «أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ» والقرب لم يأت في الكتاب والسنة إلا بمعنى القرب الخاص، وليس مثل المعية، المعية تنقسم إلى قسمين، أما القرب فلم يأت في الكتاب والسنة إلا بمعنى القرب الخاص.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وقوله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن لاَّ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

هذا الحديث في الرؤية، وذكرنا موقف المخالفين في الرؤية، وأهل السنة يعتقدون بالرؤية البصرية للمؤمنين، يرون الله ﷻ في العرصات ويرونه أيضًا في الجنة.

وفي قوله: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ» هذا فيه تأكيد؛ أن المؤمنين الذين يستحقون هذه النعمة سيلاقونها.

«سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» وهذا فيه تشبيه الرؤية بالرؤية، تشبه الرؤية بالرؤية في ماذا؟ في الوضوح، أنت لما ترى البدر وتراه واضحًا هذا في الوضوح، والتشبيه أيضًا في عدم الإحاطة أنت تراه مع ذلك لا تحيط به علمًا، تظنه كرةً صغيرةً، أيضًا التشبيه في عدم لحوق الضيم والضرر لما نراه، هذا الذي أشير إليه في الحديث: «لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ» أي لا ينضم بعضكم إلى بعض، هكذا ورد أيضًا بالتشديد وورد أيضًا: «لا تضامون»، بالتخفيف، وهو من الضيم، من الضيم لا تضامون بالتخفيف من الضيم أي لا يلحقكم الضرر في رؤيته، ولا تضامون أي لا ينضم بعضكم إلى بعض، لن تكون هناك زحمة، كل واحد يراه، أليس هكذا في رؤيتنا للقمر؟

هكذا ستكون رؤيتنا إن شاء الله، أسأل الله أن لا يحرمنا هذه النعمة الكبيرة.

وفي رواية: «لا تضارون»، بالراء، أي لا يلحقكم الضرر، هذه الألفاظ بعضها تفسر بعض، يعني في لفظ: لا تضامون، بمعنى الضيم، الضيم هو الضرر، وفي لفظ لا تضارون، نفس المعنى، في لفظ: لا تضامون، تشديد.

«فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن لاَّ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا» النبي ﷺ هنا ذكر هذه النعمة الكبيرة، وأن هذه النعمة سينالها المؤمنون، وأشار إلى سبب من أسباب نيل هذه النعمة، وهي المداومة على صلاة الفجر وصلاة العصر، «فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن لاَّ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ

الشَّمْسِ وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا» هذا من الأسباب التي تنال بها هذه النعمة العظيمة، وفي الحديث إثبات رؤية الله ﷻ والأحاديث في الرؤية متواترة.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رِسُولُ اللهِ ﷺ عَن رَّبِهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

فيه أحد عنده نسخة مع الهوامش؟

الطالب: ...

الشيخ: نفس النسخة؟ هذه نسخة من؟

يقول شيخ الإسلام: (إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رِسُولُ اللهِ ﷺ عَن رَّبِهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ) وهذا كثير، والذي ذكره هنا نماذج مختصرة وقليلة جدًا بما يخبر به عن الله ﷻ.

(فإن أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ) هنا عندك زيادة؟

الطالب: فإن الفرقة الناجية.

الشيخ: (فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ) لا زال يؤكد ما ذكره في البداية؛ فهم الفرقة الناجية وهم الفرقة المنصورة وهم أهل السنة والجماعة.

(يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ) يثبتون بالأحاديث مثل ما يثبتون بالآيات، لا يفرقون بين هذا وهذا في إثبات الأسماء والصفات بها، فإنه كله واحد.

(مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ) حسب التفصيل الذي ذكرنا سابقًا في التحريف والتعطيل، وأن التحريف يؤدي إلى التعطيل، وأن التحريف وسيلة للتعطيل، وأن التكييف والتمثيل كلاهما متقاربان، وأن التمثيل أخص من التكييف، وكل تمثيل تكييف وليس العكس.

هنا في كلامه يشير شيخ الإسلام في قوله: (مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ) هنا يشير إلى أن أهل السنة وسط في هذا الباب بين طرفي الضلال.

هذه القيود: من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. هذه القيود تدل على أن هناك طوائف وأن هذه الطوائف انحرفت في هذا الباب يمنةً ويسرةً؛ وأن أهل السنة والجماعة وسط بين طرفي الضلال.

بهذه المناسبة عرج شيخ الإسلام على **مسألة مهمة جدًا**:

وهي وسطية أهل السنة والجماعة، والمناسبة هنا هذه الإشارة: (مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ).

ذكرنا أن هذه القيود تمحض طريقة أهل السنة والجماعة، طريقة أهل السنة والجماعة في الإثبات وطريقتهم في النفي بهذه القيود، وبالتالي نحن في النفي متميزون وأيضًا في الإثبات متميزون، هناك من يوافقنا في النفي ولكن نفيه ليس على السنة، وهناك من يوافقنا في الإثبات ولكن إثباته ليس على السنة، ولا بد من هذه القيود حتى يكون النفي والإثبات صحيحًا.

بمناسبة هذه الإشارة عرج على هذا الموضوع المهم جدًا، وهو وسطية أهل السنة والجماعة.

جميع الفرق هذه بدون استثناء فرق المتكلمين يدعون أن عندهم وسطية:

الأشاعرة يدعون وخاصةً في هذه الأيام هناك كتب تطبع يزعمون أن عندهم وسطية، ومن قديم أصلًا المذهب الأشعري هو مؤسس على الوسطية المزعومة.

ابن كلاب رَحِمَهُ اللَّهُ عبد الله بن سعيد القطان طبعًا هو لقب بابن كلاب لفصاحته، كلاب يعني الكلاليب التي تأخذ، لفصاحته لقب، ابن كلاب أراد أن يتوسط بين النصيين –كما يقولون– وبين العقليين، العقليون هم المعتزلة ومن يُعملون عقولهم في نصوص الكتاب والسنة، طبعًا ليس من لا يُعمل عقله، أهل السنة لا يُعملون عقولهم؟ بالعقل يفهمون، أليس كذلك؟ ولكن أهل السنة عندهم نصيبون كأنهم لا يُعملون عقولهم، ابن كلاب أسس مذهبه على التوسط والوسطية المزعومة، قال: لابد أن نتوسط، ولا بد أن نقدر هذه الجهود الكبيرة، نأخذ شيئًا من هنا ونأخذ شيئًا من هنا ونكون وسطيين!، كيف تتوسط بين الحق والباطل؟!

الوسطية بين الحق والباطل لا يمكن أن تتحقق إلا بترك شيء من الحق والتزام شيء من الباطل دائمًا.

هذه قاعدة عامة.

إذا أريد الوسطية بين الحق والباطل لا بد من ترك شيء من الحق والتزام شيء من الباطل.

هذا الذي حصل مع ابن كلاب، المنهج التوفيقي والتلفيقي الذي اتبعه وانتهجه ابن كلاب فيه التزام شيء من الباطل من أهل العقول أولئك المعتزلة، وترك شيء من السنة الذي عليه أهل السنة والجماعة، وبالتالي من ذلك الوقت وهم يقولون: نحن عندنا وسطية، ولن أستبعد أن يرفعوا هذه اللافتة الآن؛ لأن هناك موجةً، كل واحد ينشد الوسطية، الجميع ينشدون الوسطية، ونحن ننشد الوسطية؛ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة:١٤٣]، ولكن وسطيتنا الالتزام بالكتاب والسنة، هذه هو الوسطية.

وفي هذه الأمثلة توضيح لهذا الذي ذكرته، في هذه الأمثلة كيف صار أهل السنة وسطًا، كيف صاروا؟ بالتزامهم بالحق في جميع هذه الأبواب.

أما الآخرون فانحرفوا يمينًا وشمالًا؛ لأنهم لم يلتزموا بما جاء في الكتاب والسنة، ما دمت ملتزمًا بالكتاب والسنة فأنت في الوسط، فالوسطية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة:١٤٣] معناه عدلًا وخيارًا، وهذا لماذا كانوا وسطًا؟ المسلمون لماذا كانوا وسطًا؟

لتوسطهم بين الطرفين المذمومين، بين الطرفين المذمومين.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الأُمَمِ

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

أشار شيخ الإسلام في بداية هذه الفقرة: (بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الأُمَمِ) الأمة وسط بين الأمم، المسلمون مثلًا هم وسط كما قال الله ﷻ ومدحهم بها: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة:١٤٣] أي عدلًا معدولًا وخيارًا.

المسلمون وسط بين اليهود والنصارى:

اليهود يصفون الله ﷻ بالنقائص، يقولون: خلق السموات والأرض في خمسة أيام وتعب في اليوم السادس، يقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾[ق:٣٨]، ويقولون: إن الله فقير ونحن أغنياء، لماذا يطالبنا بالصدقة؟ لأنه فقير ونحن أغنياء، فاليهود عليهم لعائن الله هم يصفون الله ﷻ بالنقائص، ويتصورون الله ﷻ شيئًا، أحيانًا يبكي، الله ﷻ أحيانًا يبكي؟! أحيانًا يكون مصدومًا عندهم.

هذا بالنسبة لليهود.

أما النصارى: يؤلهون حتى المخلوقين، عيسى عليه السلام عندهم إما هو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة - لاحظوا هذا- أما المسلمون الذين هم على الإسلام الصحيح فلا يشركون أحدًا مع الله ﷻ في صفاته ولا في أسمائه، لا يؤلهون أحدًا غير الله ﷻ، ويصفون الله ﷻ بصفات الكمال، لاحظوا النقص بين هذين الطرفين.

والمسلمون: لا، يصفون الله ﷻ بصفات الكمال، لا يصفونه بالنقص الذي عند اليهود ولا يؤلهون أحدًا، لا يعطون أحدًا صفات الإلوهية، فرسولنا محمد ﷺ عبد الله ورسوله، هو عبد من العبيد، ولكن الله ﷻ أكرمه بالرسالة.

أيضًا اليهود عندهم تشديد جدًا في الطهارة وفي غيرها.

أما النصارى فعندهم تساهل، عندهم تساهل جدًا، فإذن اليهود يقتلون الأنبياء، يتعاملون معهم كما يتعاملون مع أي، أما النصارى كما رأينا يؤلهونهم، أيضًا هناك أمور أخرى هذه بعضها، فيها بيان أن هذه الأمة هي الوسط بين الأمم، متى نحتفظ بهذه الوسطية؟ إذا كنا على الإسلام الصحيح، للأسف الشديد: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**»، من لحق بهؤلاء وهؤلاء هو بعيد عن الوسطية بحسب بعده عن الحق.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الأُمَمِ؛ فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ، وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبِّهَةِ؛ وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ تعالى بَيْنَ الْقَدَرِيَّةِ والْجَبْرِيَّةِ. وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وبين الْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ. وَفِي بَابِ الإِيمَانِ والدِّينِ بَيْنَ الْحَرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ. وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ الرَّوَافِضِ وَبيْنَ الْخَوَارِجِ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد:

كما ذكرنا هذه الفقرة فيها بيان وسطية أهل السنة والجماعة، ذكر شيخ الإسلام نماذج من هذه الوسطية، وسطيتهم بين الفرق في أبواب كثيرة، ذكر شيخ الإسلام نماذج منها.

الموضوع الأول: باب صفات الله ﷻ، في هذا الباب هم وسط بين أهل التعطيل الجهمية، هكذا قال: بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ. لم يقل: بين أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم؛ لأن أهل التعطيل يطلق عليهم أنهم جهمية.

وهم كما ذكر شيخ الإسلام في «التسعينية»، وهم ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: هم الجهمية الأوائل الذين جمعوا بين التعطيل المحض والجبر المحض والإرجاء المحض.

هذه هي الطبقة الأولى، وهذه الطبقة لا تثبت شيئًا من الأسماء والصفات.

والطبقة الثانية: هم المعتزلة، وهذه الطبقة تثبت أسماء الله ﷻ ولكنهم يثبتونها أسماءً مجردةً وغير دالة على المعاني، فعندهم سميع بلا سمع بصير بلا بصر حي بلا حياة، وهكذا، فهذه الأسماء بلا تتضمن معاني عندهم، وهم الطبقة الثانية من طبقات الجهمية.

والطبقة الأخيرة: هم الكلابية، ويدخل فيهم الأشاعرة والماتريدية، وهذه الطبقة يثبتون الأسماء ويثبتون بعض الصفات، يثبتون بعض الصفات، الأشاعرة يثبتون سبع صفات والماتريدية يثبتون ثماني صفات، وبعض الأشاعرة أيضًا يزيدون صفةً وهي صفة البقاء، وهذه هي الطبقة الأخيرة.

شيخ الإسلام هنا دقيق في التعبير: (بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ) وهذا يشمل الجميع، كل من تجد عنده شيئًا من التعطيل يطلق عليه أنه جهمي في باب الأسماء والصفات، في باب الأسماء والصفات جميع المعطلة على درجاتهم وطبقاتهم يطلق عليهم أنهم جهمية، وإذا أطلق على شخص أنه جهمي عمومًا أنا أعرف أن الموضوع موضوع الأسماء والصفات عمومًا، وأن فيه تعطيل؛ ثم تبحث عن درجات التعطيل من أي طبقة هو، هذا عمومًا.

ولكن إذا كنا في باب القدر وقيل عن شخص أنه جهمي فهو جبري؛ لأن جهمًا نفسه هو إمام الجبرية الغلاة، جهم نفسه إمام الجبرية الغلاة، ففي باب القدر إذا قيل جهمي فمعناه هو جبري.

وفي باب الإيمان إذا قيل عن شخص أنه جهمي فهو مرجئ الإرجاء الخالص؛ الذين يرون أن الإيمان هو المعرفة فقط، وعلى قولهم يكون فرعون مؤمنًا ويكون الشيطان مؤمنًا.

وجدت تغريدةً لبعضهم يقول: الشيطان إبليس مؤمن في توحيد الإلوهية ومؤمن في توحيد الربوبية ومؤمن في توحيد الأسماء والصفات، وكفره في توحيد الحاكمية، يقول: هذه رسالتي إلى الجهمية!

سبحان الله، أنت تنادي على نفسك، الجهمية لا يقولون بالإيمان، الجهمية الإيمان عندهم المعرفة فقط، الشيطان عنده معرفة ولكن هل عنده إيمان؟ أبدًا، ليس عنده إيمان لا بالربوبية ولا بالإلوهية ولا بالأسماء والصفات، نعم، عنده معرفة، وفرق بين المعرفة والإيمان، الإيمان فيه تصديق وانقياد وقبول، أما المعرفة هي معرفة، وفرعون أيضًا كان كما يقول الله ﷻ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[النمل: ١٤]

هناك أبواب ثلاثة، وجهم إمام الغلاة فيها:

١) باب القدر.

٢) والإيمان.

٣) وباب الأسماء والصفات.

وفي كل باب الجهمية لها مفهوم.

بعض الناس يتهمون شيخ الإسلام ويقولون: كيف وصف المعتزلة بأنهم جهمية وبينهم فرق في القدر؟ هؤلاء قدرية.

هذه الأمور من البديهيات عند شيخ الإسلام، منه تعلمت، هذا يكثر منه ، لا تخفى عليه هذه الأمور، وإنما حسب الأبواب، ففي باب الأسماء والصفات الجهمية معناه عندهم تعطيل، درجة التعطيل تراه وتعرفه بالنظر إلى مدرسته، مدرسة الكلابية الطبقة الأخيرة، المعتزلة الطبقة الثانية، الجهمية الأوائل الطبقة الثالثة، وأهل التمثيل المشبهة، طبعًا هذه الفقرة الآن فصل فيها لأن الكتاب إلى هنا قال فيه هذه الوسطية.

(وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ تعالى بَيْنَ الْجَبْرِيَّةِ والْقَدَرِيَّةِ)

أنا عندي في نسختي: بين الجبرية والوعيدية والقدرية وغيرهم، هذا خطأ واضح، الذي عندكم صحيح، (بَيْنَ الْجَبْرِيَّةِ والْقَدَرِيَّةِ)، هنا ليس هناك دخل بالوعيدية مما يدل على أن نسختي فيها خطأ.

في باب أفعال الله ﷻ أهل السنة وسط بين الجبرية والقدرية.

الجبرية قسمان:

القسم الأول: جبرية الظاهر والباطن:

وهؤلاء هم الجهمية والجبرية، وإمامهم هو جهم ومعهم الصوفية، هؤلاء جبرية الظاهر والباطن، يقولون بالجبر، وهم صريحون في ذلك، ويرون أن الإنسان لا فعل له، الإنسان لا فعل له، وأن نسبة الفعل نسبة الأفعال إلى الإنسان مجازًا، وأن الفاعل في الحقيقة وأن الذي فعل أفعال الإنسان سيئها وحسنها عندهم في الحقيقة هو الله ﷻ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، وهم نفوا الفعل عن العباد، قالوا: العبد مسير والعبد مجبر، هؤلاء هم الجبرية.

القسم الثاني: جبرية الباطن لا الظاهر:

وهم الأشاعرة، الأشاعرة في الحقيقة جبرية، وبعضهم –بعض الأشاعرة– يسمي مذهبهم أنه جبر متوسط، وبعد النظر في مذهبهم لا تكاد تفهم أن هناك وسطية بين مذهب الجبرية وبين مذهب أهل السنة وأن الأشاعرة عندهم وسطية في هذا الباب؛ لأنهم يقولون بالكسب ،الأشاعرة يقولون: الفعل والخلق لله

ﷻ، بالنسبة لأفعال الإنسان الفعل والخلق لله ﷻ، والكسب للإنسان، والكسب هو الفعل، الكسب هو الفعل، إذا جعلت هذا الفعل إذا جعلته لله ﷻ ما بقي للإنسان شيء، وتسميتك لما بقي كسبًا هذا لا معنى له؛ لأنك لما تقوم بفعل فهناك فعل وهناك خلق، الله ﷻ خلقه؛ لأنه هو الذي خلق القدرة والإرادة اللتين بهما تتمكن من الفعل، فهو الخالق، أما الفعل فلك، الفعل الاختياري، نحن نتحدث عن الفعل الاختياري.

هناك فرق بين الأفعال الاختيارية وبين الأفعال الاضطرارية، فحركة المرتعش هذه الحركة ليست اختيارية، لو كان في اختياره لسلم منها، ولكنها ليست في اختياره وبالتالي هذه لا تنسب إليه، الأفعال الاضطرارية لا تنسب إلى الإنسان؛ لأنه مضطر عليها ولا يحاسب عليها، إذا كان في الصلاة والمسكين يرتعش الله ﷻ بفضله ومنه لا يحاسبه على هذا المرض، لماذا تتحرك وأنت في الصلاة، الفعل الاختياري هذا الذي يحاسب عليه؛ لأنه بمشيئته واختياره، هو الذي اختاره.

عندهم عند الأشاعرة الكسب للإنسان والفعل والخلق لله ﷻ.

وكما قلت: إذا جعلت الخلق والفعل لله ﷻلا يبقى شيء للإنسان وبالتالي هذا الذي يثبتونه ويحاولون التوسط به بين أهل السنة والجبرية لا معنى له وإلا ما هو هذا الكسب؟

وهو من محاورات علم الكلام، وتجد أن أقوالهم فيه مضطربة أيضًا متضاربة، وأحدهم ذكر أنه لا ينبغي أن نخوض في مثل هذه الأمور، الله أعلم بها، طيب أنت تبتدع ثم تتورط ثم تفوض، هذه بدعة أنت الذي اخترعتها، الله أعلم بها؟ لم تتصور المعنى أيضًا تصورًا صحيحًا ثم تأمرنا بالتفويض فيها، الله أعلم.

إذن هم القسم الثاني من الجبرية جبرية الباطن لا الظاهر، وبعضهم مثل الرازي مثلًا صرح بأنه ليس هناك فرق بين مذهب الأشاعرة ومذهب الجبرية في هذا الباب، وقال أن مذهبنا مثل مذهب الجبرية.

وهم يسمون غالبهم يسمي هذا المذهب جبرًا متوسطًا، كما قلت ليس هناك جبر متوسط، أما القدرية الذين يقابلونهم فهم سموا قدريةً لأنهم ينفون القدر، ينفون القدر، والقدر كما تعرفون لها أربع مراتب، الإيمان بالقضاء والقدر، يتم بالإيمان بأربعة أمور، الكتابة، والعلم، والكتابة المشية، الله ﷻ يعلم بما كان وبما سيكون وعلمهم شامل ومحيط، وحسب علمه كتب، وحسب ما عمله كتب شاء، وحسب ما علم وكتب وشاء خلق.

القدرية قسمان:

القسم الأول: الطائفة الأولى هم الغلاة:

الذين أنكروا العلم والكتاب، وهؤلاء كفار؛ لأن العلم نفي العلم، علم الله ﷻ لا شبهة فيه، أما المعتزلة فعندهم شبهة، وهؤلاء حسب ما يذكره كتاب الفرق لا وجود لهم الآن؛ الذين ينفون العلم، طبعًا هناك بعض الفرق عندهم قاعدة قريبة من هذا، ولكن هؤلاء ظل القدرية لا يوجدون، هناك فرق عندهم هذا.

الطائفة الثانية من القدرية:

الذين ينفون شيئًا من المرتبتين الأخريين، المرتبتان الأخيرتان: المشيئة والخلق، فينفون شيئًا من المشيئة وشيئًا من الخلق، فبعض الأمور عندهم هي أفعال العباد لا تدخل تحت مشيئة الله ﷻ، وبعض المخلوقات عندهم لا تدخل تحت كونها مخلوقةً لله عز فالإنسان هو الذي شاء أفعاله وهو الذي خلق أفعاله.

بالنسبة للجبرية يزعمون أنهم يغلبون القدر، يقولون: إذا أثبتنا للإنسان فعلًا يكون هناك مؤثر غير الله ﷻ، هذا يؤثر والله ﷻ يؤثر، وحتى نقول أن المؤثر هو الله ﷻ فقط حتى نكون موحدين نقول: الفعل لله ﷻ والإنسان ليس فاعلًا.

من هذا المذهب كان مثل الهدية على طبق من ذهب للصوفية، تلقفوه، عند الصوفية عندهم كما ذكرنا عن بعضهم: أصبحت منفعلًا لما تختاره مني، ففعلي كله طاعات، عندهم ليس هناك حلال وحرام، كل ما تفعله فهو محبوب لله ﷻ، وبالتالي هذا الإطار له مكانة الصوفية جبرية.

الصوفية والجبرية ما عندهم تعظيم بخلاف القدرية، المعتزلة عندهم تعظيم للشرع، أحيانًا هم في تعظيمهم للشرع يغالون؛ لأنهم قريبون من الخوارج أيضًا، عندهم غلو في تعظيم الشرع، والغلو متى تسميه غلوًا؟ إذا تجاوز الحد المشروع، الشرع حدد لنا كيف نعظم الشرع وكيف يكون تعظيم الشرع، إذا كنت تتجاوز الحد المشروع من هنا ليس شرعًا، فعندهم غلو.

فهاتان طائفتان متضادتان، طائفة تزعم أن فعل الإنسان مخلوق للإنسان، وطائفة تزعم أنه لا فعل للإنسان، أرأيتم التقابل؟

ومذهب أهل السنة وسط بين المذهبين، هناك خلق وهناك فعل، أهل السنة يرون أن الخلق لله ﷻ أفعال الإنسان تنسب إلى الله ﷻ خلقًا وتنسب إلى الإنسان فعلًا، هو الذي فعلها وهو الذي فعلها بمشيئته واختياره وبقدرته، بما أن القدرة والإرادة والمشيئة مخلوقة لله ﷻ لذلك ينسب الفعل خلقًا إلى الله ﷻ، وبما أن الإنسان فعله بمحض إرادته ومشيئته وقدرته التي بها تمكن من الفعل ينسب إليه، وعلى هذا الفعل يحاسب، فكما يقول شيخ الإسلام: (وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ تعالى بَيْنَ الْجَبْرِيَّةِ والْقَدَرِيَّةِ)

بعضهم ينسب هذا الفعل لله ﷻ فعل الإنسان ويجعل المخلوق كالريش في مهب الريح ليس له فعل وبعضهم ينسب بعض أفعال الله ﷻ إلى الإنسان، الآن الخلق فعل لله ﷻ، الخلق فعل لله ﷻ ولا تكون مؤمنًا إلا إذا أثبت أن المخلوقات كلها مخلوقةً لله ﷻ، فإذا قلت أن بعض المخلوقات مخلوقة للعباد وأن بعض المرادات لا تدخل تحت مشيئة الله ﷻ، هذا شرك.

وهذا الشرك يقع فيه من؟ القدرية، فالخلق فعل الله ﷻ، القدرية نسبوا فعل الله ﷻ إلى من؟ إلى الإنسان، والجبرية نسبوا فعل الإنسان إلى من؟ إلى الله ﷻ، وكلاهما طرفا ضلال، وأهل السنة وسط بين الفريقين.

(وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وبين الْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ)

نعم هنا وغيرهم، كلمة وغيرهم هنا دقيقة؛ لأن القدرية هم المعتزلة، وغيرهم هم الخوارج الذين هم الأصل في هذا الباب، بل هذا الذي أخذ القدرية أخذوه من الخوارج، الخوارج هم الأصل في هذا الباب.

(وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وبين الْوَعِيدِيَّةِ)

الوعيد، هناك وعد وهناك وعيد، والوعيد ما يدخل في الترهيب وفي التخويف، والوعد ما يدخل في الترغيب، الله عز يعد الطائعين يعدهم بالمثوبة يعدهم بالجنة، ويخوف العصاة بالعقوبة، يخوفهم بالنار.

في باب الوعيد هناك طائفتان: طائفة اسمها مرجئة، وطائفة اسمها وعيدية، هم القدرية، القدرية هناك كان اسمهم هناك قدرية، وهم نفسهم اسمهم هنا وعيديه؛ لأن الباب اختلف، المرجئة هنا هم الجهمية في

باب الصفات، في باب الصفات نفس المرجئة كان اسمهم هناك جهمية نسبةً إلى الإمام وهنا نسبةً إلى الباب، نسبةً إلى الموضوع، هم هنا نسبةً إلى الموضوع، وهناك نسبةً إلى الشخص إمامهم الجهمي.

المرجئة هم أربع طوائف:

الطائفة الأولى: إمامهم هو جهم نفسه، هؤلاء يرون أن الإيمان هو المعرفة فقط.

والطائفة الثانية: هم المتكلمون، المتكلمون يرون أن الإيمان هو التصديق.

الطائفة الثالثة: مرجئة الفقهاء، وهؤلاء يرون أن الإيمان قول وتصديق، يزيدون القول.

الطائفة الرابعة: يوافقون أهل السنة في التعريف، الإيمان عندهم يشمل الأمور الثلاثة، يشمل الأمور الثلاثة: القول، والفعل والاعتقاد، ولكنهم يغالون في هذا الباب وهم الوعيدية.

أما المرجئة فهم ثلاث طوائف وليس أربع، والمرجئة كل الطوائف الثلاثة بما فيهم مرجئة الفقهاء كلهم لم يحالفهم الصواب، بعد المرجئة الغلاة عن الحق واضح؛ لأنهم لا يدخلون حتى التصديق التصديق القلبي، عندهم المعرفة تكفي، وعلى مذهبهم يكون فرعون مؤمنًا كامل الإيمان وإبليس مؤمنًا كامل الإيمان، وهل يلتزمون أو لا يلتزمون؟ ما أدري ولكن هذا مذهبهم.

الطالب: الكرامية.

الشيخ: أحسنت، ذكرني الشيخ عبد الوهاب بالطائفة الرابعة الذين هم الكرامية، الكرامية مذهبهم أن الإيمان هو قول باللسان، الإيمان هو قول باللسان، من المرجئة، الإيمان هو قول باللسان.

عندهم الإيمان هو المعرفة، وهل فرعون تنقصه المعرفة لصدق موسى؟ لا تنقصه، ﴿**وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ**﴾[**النمل: ١٤**] وإبليس لا تنقصه المعرفة، وبالتالي يكون مؤمنًا كامل الإيمان عندهم، وكما قلت: هل يلتزمون هذا أو لا؟ ما أدري.

بالنسبة للمتكلمين الإيمان عندهم هو التصديق، إيش الفرق بين التصديق والمعرفة؟

الفرق الذي هو واضح الفرق الذي يفهم أن الإيمان يتضمن القبول والانقياد، التصديق الذي معه انقياد وقبول، أما التصديق الذي ليس معه انقياد وقبول هو المعرفة، ليس هناك فرق، والقبول والانقياد من أعمال القلب، والمتكلمون يستبعدون أي شيء اسمه عمل يستبعدونه من الإيمان وبالتالي هل يدخلونه في الإيمان أو لا؟ لا يدخلونه، هذا مذهبهم الرسمي.

إذن إيش الفرق بين التصديق والمعرفة؟

ليس هناك فرق، ولكنهم يطيلون في بيان الفرق بين التصديق والمعرفة، ويقولون: نحن نرد على الجهمية ومذهبنا يختلف، ولو أذكر لكم كيف يفرقون سيطول المجلس، المهم يفرقون بإرجاعه إلى اللغة الفارسية، يفرقون بإرجاع الكلمتين إلى اللغة الفارسية، وبالتالي سيطول الحديث، يفرقون بين المعرفة والتصديق بإرجاع معنيي الكلمتين إلى اللغة الفارسية.

طيب، اللغة العربية هل عجزت عن ذلك حتى تأتي باللغة الفارسية تحكم بيننا؟

مما يدل على أن هذا الفرق إن كان هناك فرق فهو معقد جدًا، إن كان هناك فرق كما يقول شيخ الإسلام على القول به لا يفهمه أكثر الناس، وأنا منهم.

في فترة من الفترات عند الماتريدية هذا ذكره صدر الشريعة، صدر الشريعة صاحب كتاب «التوضيح»، ألف كتابًا في الأصول سماه «التنقيح»، ثم شرحه بنفسه، وسماه «التوضيح على التنقيح»، صدر الشريعة توفي سنة (سبعمائة ثمانية وأربعين أو تسع وأربعين) يعني في طبقة ابن القيم، صدر الشريعة ذكر أنه قد حصل خلاف بين الماتريدية في عهده في إدخال القبول والإذعان والانقياد في مفهوم التصديق، وذكر بعضهم أن من يقول بالتصديق ولا يدخل في مسماه الإذعان والقبول والانقياد فليس مؤمنًا.

كلامه صحيح، ولكن دعواه أن تصديق المتكلمين هو هذا الذي فيه البحث، كلامه صحيح، ولكن كون هذا في إطار المذهب الماتريدي هذا هو الذي محل بحث، يقول: حصل فيه اقتتال وحصل فيه قتل بين الطرفين، مما يدل على التعمق على عمق الإشكال فيه، أليس كذلك؟ الإشكال عندهم عميق ولا زال هكذا.

فالمرجئة كما قلنا أربعة طوائف.

والوعيدية طائفتان، وكلتا الطائفتين تعريف الإيمان عندهم مثل أهل السنة، اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان، ولكنهم يرون أن الإيمان جزء لا يتجزأ، الإيمان جزء لا يتجزأ، إذا ذهب بعضه ذهب كله، الأعمال من الإيمان إذا ذهب بعض الأعمال ذهب الإيمان كله.

نفس الإشكال أن الإيمان جزء لا يتجزأ، نفس الإشكال عند المرجئة أيضًا، المرجئة عندهم أيضًا أن الإيمان لا يتبعض، المرجئة يقولون: بما أن فلانًا عنده المعاصي وعنده كذا، مع ذلك لا نشك أنه مؤمن،

لا نشك أنه مؤمن، هذا يدل على أن الإيمان بسيط ومع ذهاب بعضه لا يذهب كله، وبالتالي الذي عنده نقص وأصحاب المعاصي هو مؤمنون كاملو الإيمان.

أهل السنة يرون أن الإيمان قول وعمل واعتقاد وأنه يتجزأ وأنه يتفاوت، كما قال النبي ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، الحياة شعبة من الإيمان**» الإيمان يتفاوت ويزيد وينقص، أما هذا الذي ذكروه أنه جزء لا يتجزأ وأنه بسيط، هذا كله باطل وهذا الذي أوقعهم في طرفي النقيض، نفس الشبهة جعلت بعضهم خوارج وجعل بعضهم مرجئة.

في الفاسق الملي، الفاسق الملي أي الفاسق من المنتسبين إلى الإسلام الوعيدية يسلبونه مطلق الإيمان، ليس عنده من الإيمان شيء، والمرجئة يعطونه الإيمان المطلق، وعند أهل السنة مؤمن بإيمانه وفاسق بكبيرته.

(وَفِي بَابِ الإِيمَانِ) نفس الموضوع، في باب أسماء الإيمان والدين فإن الحرورية وهم الخوارج والمعتزلة كلهم وعيدية، جمعهم في الوعيدية هم كلهم وعيدية؛ الحرورية والمعتزلة هم الوعيدية.

(وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ) المرجئة والجهمية هم الجهمية وهم المرجئة، وكما قلت جهم هو إمام المرجئة الغلاة.

أسماء الدين أو أسماء الإيمان، فلان مؤمن، مسلم، كافر، فاسق، مثل هذه تسمى الأسماء والأحكام، أي الأسماء وأحكامها، الأسماء والأحكام، حتى أهل السنة يذكرون هذه المسائل تحت أبواب الأسماء والأحكام:

الإيمان ما حكمه؟ الإسلام ما حكمه؟ الفسق ما حكمه؟ الكفر ما حكمه؟

وهذه أسماء وأحكام، هنا أهل السنة وسط بين هاتين الطائفتين:

الطائفة الأولى: هم الوعيديون وهم الخوارج والمعتزلة.

الطائفة الثانية: هم الجهمية وهم المرجئة.

الخوارج صاحب الكبيرة عندهم مسلوب الإيمان في الدنيا والآخر، صاحب الكبيرة مسلوب الإيمان في الدنيا والآخرة، طبعًا عند الجمهور، بعضهم يسلب الإيمان حتى بالصغيرة بالصغائر إذا استمر

عليها، نحن نتحدث عن مذهب الجمهور، صاحب الكبيرة عند الخوارج مسلوب الإيمان في الدنيا ويستحق الخلود في النار في الآخرة، مسلوب الإيمان في الدنيا إذن حكمه –صاحب الكبيرة- حكمه في الدنيا كافر، وحكمه في الآخرة خالد مخلد في النار، عند المعتزلة مسلوب الإيمان ولكنهم لا يعطونه اسم الكفر، وهو في منزلة بين المنزلتين، وهذه المسألة –منزلة بين المنزلتين- هي مسألة المعتزلة، أساس المعتزلة هذه المسألة، بقية المسائل أخذوها من هنا وهناك، بقية المسائل أخذوه من، التعطيل أخذوه من الجهمية، هذه المسألة هي الأساس في المذهب، المنزلة بين المنزلتين، بها عرفوا، ومنها بدأ مشوارهم، مذهبهم تأسس على هذا، أصولهم كما تعرفون خمسة، أول أصل لهم الذي به عرفوا هو هذا: التوحيد والعدل والوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمنزلة بين المنزلتين، هذا الأصل هو الأصل الذي به عرفوا.

طيب في الآخرة حكمه في الآخرة؟

خالد مخلد في النار، في الاسم خالفوا الخوارج، نحن قلنا أسماء واحدة، في الاسم خالفوا الخوارج، الخوارج قالوا هذا كافر، وهم قالوا هذا في المنزلة بين المنزلتين، في الاسم خالفوهم، ولكن في الحكم خالد مخلد في النار، وافقوهم.

وعند أهل السنة كما قلت : فاسق بكبيرته ومؤمن بإيمانه.

بعبارة أخرى كما ذكرنا في الفقرة الأولى، مرتكب الكبيرة لا يسلب أصل الإيمان ولا يعطى كمال الإيمان.

هناك مطلق الإيمان وهنا الإيمان المطلق، مطلق الإيمان أدناه، الإيمان المطلق أعلاه، كما يقول المناطقة: مطلق الشيء والشيء المطلق، الشيء المطلق هو أعلاه ومطلق الشيء هو أدناه، لا يعطى كمال الإيمان ولا يسلب أدنى الإيمان؛ لأنه في دائرة الإسلام، واضح؟

الفاسق الملي مرتكب الكبيرة لا يسلب أدنى الإيمان ولا يعطى؟ عند المعتزلة في منزلة بين المنزلتين في الدنيا، لا يعطى اسم المؤمن، ولا اسم الكافر، منزلة بين المنزلتين، في الآخرة حكمه خالد مخلد في النار، وعند الخوارج يسلب الإيمان كماله وأدناه، وهو ا سمه في الدنيا كافر، وحكمه في الآخرة مخلد في النار.

مذهب أهل السنة هنا مأخوذ من مجموع الأدلة التي يذكرها الطائفتان، دائمًا هكذا، تجد أن هذه الطائفة غلت في جانب وغلبته في جانب على حساب جانب آخر، الجهمية هناك في القدر غلبوا جانب الإثبات في القدر على حساب طائفة كبيرة من النصوص، والمعتزلة غلبوا جانب تعظيم الشرع على حساب طائفة كبيرة من النصوص، وأهل السنة دائمًا يجمعون النصوص ويستخرجون منها خلاصة المعتقد، وهكذا هنا جمعوا بين النصوص، وخلاصة هذا الجمع أن الفاسق الملي مرتكب الكبيرة لا يسلب مطلق الإيمان ولا يعطى؟

عند الجهمية أو عند المرجئة يعطى كمال الإيمان، مرتكب الكبيرة يعطى كمال الإيمان، أحدهم يقول: إيماني كإيمان جبريل، وهم المرجئة، المرجئة هنا الجهمية هنا هم المرجئة، وكما قلت هم يعطونه كمال الإيمان وأولئك يسلبونه حتى مطلق الإيمان، وأهل السنة لا يسلبونه مطلق الإيمان ولا يعطونه كمال الإيمان.

(وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ الرَّافضة وَبيْنَ الْخَوَارِجِ)

الرفض بدأ عندما طلب بعض الشيعة من الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين طلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين، فأنكر وقال: هما وزيرا جدي. ولما أنكر رفضوا إمامته فسموا رافضة، والذين بقوا معه سموا زيديين، تاريخهم يبدأ منه، وهو زين العابدين زيد بن علي بن الحسين، توفي سنة مائة واثنين وعشرين، وهو من أواسط التابعين، ومن أئمة أهل البيت علمًا وقدرًا ومكانةً، ومن أئمة أهل السنة والجماعة، عظيم من عظماء هذه الأمة.

وأهل السنة وسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج:

الرافضة يكفرون، يكفرون علي بن أبي طالب ويكفرون عثمان بن أبي طالب –رضي الله عنهما– ويكفرون كل من اشترك في الحكمين، جميع الصحابة الذين اشتركوا في الحكمين يكفرونهم، ويكفرون كل من رضي بالحكمين، ويكفرون كل من لا يكفر أهل الحكمين، ما يبقى واحد! والروافض عندهم لا ولاء إلا ببراء، إذا أردت أن تحب علي بن أبي طالب فلا بد أن تتبرأ من الشيخين، لا هذا ولا هذا، أهل السنة وسط في هذا الباب، نحن نحب أصحاب رسول الله ﷺ كلهم بدون استثناء، وندين لله ﷻ بهذه العقيدة، وليس هناك تناقض بين حب بعض، نحن نحبهم كلهم، ونعتقد أن هناك تفاوتًا في درجاتهم وفي

مكانتهم، وأفضلهم الأئمة الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ﷺ وأرضاهم، وترتيبهم في الأفضلية كترتيبهم في الخلافة.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الأسئلة

الطالب: ...

الشيخ: ... بالنظر إلى هذه الأصول يلغون طائفة من المسلمين، لا يهم، لما تأتي تستدل عليهم بحديث من أخبار الآحاد، المسألة هذه، هذا الاستدلال تذهب به إلى من يؤمن، يحترم الآحاد، فعندهم إنكار الأحاديث أسهل.

يقول الغزالي: أمر الطوائف هين، يسلبونه كمال الإيمان ومطلق الإيمان، يسلبونه، ولا يعطونه الكفر، خرج من الإيمان، من كماله ومن أدناه خرج، ولكنه لم يدخل في الكفر، لم يدخل في الكفر، بقي في المنزلة بين المنزلتين، طبعًا هذا الأمر يرجع إلى لما تنظر إلى سلوكيات هذه الفرق، المعتزلة ليسوا أصحاب ميدان، دائمًا هكذا يكتبون ، ويقررون، أما الخوارج أصحاب ميدان، الرأي أنت كافر ويحاربونه، المعتزلة ليسوا هكذا، وإلا قول المعتزلة هو قول الخوارج، لن تجد معتزليًا حتى على باطله عنده جرأة، هو يكتب ويقرر ويضل الناس، مثل القاعدية من الخوارج.

الطالب:...

الشيخ: الجبرية، وإمامهم جهم نفسه، وجبرية الباطن دون الظاهر هم الأشاعرة لأن مذهبهم في الكسب، هو يؤدي إلى الجبر، ليس شيئًا مفهومًا.

الطالب:...

الشيخ: عند من؟

الطالب: ... الأشاعرة

الشيخ: عند الخوارج، الروافض، وبالتالي يقتل هذا، يقتل، الخوارج اتفقوا على تفرقهم اتفقوا على بعض الأمور منها التكفير بغير مكفر، جمهورهم يكفر بالكبيرة، وبعضهم يكفر بالصغيرة، ولذلك نقول: تكفير بغير مكفر، الأمر الثاني: استحلال دم من كفروه، كل من كفروه فدمه حلال، يحاربهم لا يحاربهم هذا شيء آخر، وعادةً يبدءون بالمسلمين؛ لأن الكفار عندهم كثر، أولاهم بالمحاربة.

الطالب:...

الشيخ: الذي يجعل الحاكمية قسمًا مستقلًا من حيث الاصطلاح لا يستقيم؛ لأن الحاكمية عبارة عن

شيئين:

الشيء الأول: اعتقادك أن الحكم لله، هذا يدخل في الربوبية.

الشيء الثاني: تحاكمك إلى الشرع، هذا فعل، هذه عبادة، هذا يدخل في الإلوهية، فمن حيث لا يستقيم.

وأنت لما تقول: توحيد الحاكمية، تقصد هذا ولا هذا؟ الحاكمية من التوحيد، نعم، ولكن جعله قسمًا مستقلًا هذا خلل في التقسيم أصلًا، لذلك تجد أن الذين قسموا هذا التقسيم ليسوا من أئمة أهل السنة، وبالتالي عرفت حالهم، حتى التقسيم فيه خلل.

الطالب: على المستوى الشخصي

الشيخ: حتى على المستوى الشخصي تحاكمك إلى الشرع، هذا عمل يدخل في توحيد الإلوهية، اعتقادك الشخص أنه لا إله إلا الله، هذا توحيد بالربوبية، فأنت لما تفرده كيف تفرده.

الطالب:...

الشيخ: أولًا: هذا التقسيم طبعًا هو خروج عما ذكره السلف، وما ذكره السلف مبني على الاستقراء أو مبني على الاستقراء في النصوص، أنت الآن جئت بجديد وفي هذا الجديد اضطربت، كيف؟ ما هي الحاكمية التي تريدها؟ هل تريد الاعتقاد فقط أو تريد العمل؟ لما حكموا قالوا: ليس بيننا وبين أولئك فرق، كذا وكذا، والفرق في الإتيكيت، قالوا؛ لأن هناك خلل في التقسيم نفسه.

الطالب:...

الشيخ: هكذا قالوا، نحن نقول الحديث في صحيح مسلم، والذي يقول فيه تساهلًا هذا شيخنا الشيخ شمس رَحِمَهُ اللَّهُ ناقشه مناقشةً جميلةً جدًا، لا تقرءوها في الماتريدية، ثم أين الله؟ هذا كلام النبي ﷺ، أنت الجارية جعلتها خرساء وتصرفت فيها، هذا السؤال من النبي ﷺ والإشكال فيه أكبر، ماذا تفعل؟

الطالب:...

الشيخ: هم، لا، بغض النظر عن هذا الاستقراء، الذين يقولون هذا هم مرجئة الفقهاء، مرجئة الفقهاء لا يخالفون أهل السنة في أهمية الأعمال، ولكنهم يخالفونهم في إدخال الأعمال في مسمى الإيمان، وعدم إدخال الأعمال في مسمى الإيمان هذا خطأ.

الله ﷻ أدخل الأعمال في مسمى الإيمان وأنتم تخرجها، طبعًا هم أقرب الناس إلى أهل السنة، وبعضهم ذكر أن خلافهم مع أهل السنة لفظي، وهذا خطأ، خطأ شنيع.

خلافهم مع أهل السنة ليس لفظيًا، بعضهم يستدل ببعض أقوال شيخ الإسلام، أيضًا شيخ الإسلام يذكر أن خلافهم هو يعني مذهبهم أقرب إلى أهل السنة وأنه قد يكون كذا وكذا، ولكن خلافهم ليس، وبالتالي لما جاءوا إلى زيادة الإيمان ونقصانه في الاستثناء خالفوا أهل السنة؛ لأنه أنت لما تخرج الأعمال من الإيمان كثير من الأحكام من أحكام الإيمان ستخطئ فيه أولها زيادة ا لإيمان ونقصانه، هؤلاء الذين هم مرجئة الفقهاء يرون أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن ما ورد في النصوص من الزيادة هذا من الزيادة في المؤمن به، في المؤمن به، في المؤمن به، قالوا: لأن الآيات كانت تتنزل، زمن التشريع والأحكام تترى، إيمانك اليوم يختلف عن إيمانك بكرة، بكرة ستكون هناك زيادات جديدة، والمؤمن به زاد فإيمانك يزيد، الزيادة في الإيمان نفسه، أما الزيادة في المؤمن به هذا لا يشك فيه أحد وليس مثار خلاف، هل هناك من يخالف أن الآيات كانت تتنزل على النبي ﷺ على فترات؟ من يخالف فيها؟

الطالب:...

الشيخ: لا زال الخلاف عندهم في زمن التشريع، مما يدل على أن الخلاف عندهم جوهري وليس لفظيًا.

الطالب:...

الشيخ: بالنسبة للكرامية نحن أعلى على من ينقل من مذهبهم، مذهبهم في الإيمان نقله الثقات الأئمة ولذلك نحن ننسب إليه، الكرامية نسبت إليهم أقوال شنيعة جدًا، أنا أستبعدها؛ لأنهم أقرب إلى أهل السنة في باب الصفات، في كثير من الصفات، مع أن ابن كرام كان عنده من الجهل الشيء الكثير، ولكن مع ذلك نفسه نفس أهل السنة.

وإلى الآن ما عندنا كتاب للكرامية، أبدًا، ابن الهيثم من أئمتهم ينقل عنه شيخ الإسلام يبدو له كتاب، ما عندنا شيء من كتب الكرامية، فنحن أعلى في مذهبهم وفي أقوالهم على من ينقل، نقل المتكلمين عنهم أنا لا أثق فيه؛ لأن المتكلمين إلى الآن يتهمون أهل السنة بأنهم مشبهة، وهذا يدل على كذبهم، أليس كذلك؟ كيف أثق؟

الكرامية كانوا يعني ممن يزعجون أمثال الرازي فنقلوا عنهم ما يحلوا لهم، وابن كرام كان هذا كان عنده جهل حقيقةً، وكان حتى في اللغة عنده أشياء غريبة، ولكن مذهبه انتشر لأنه سجن مرات، فالناس ظنوا أنه لم يسجن، أحيانًا الناس يظنون أن الذي يسجن هو على الحق، والسجن فيه طوائف، فيه من على الحق، فيه مخدرات، وهو على الحق! وسجن لما ذهب إلى فارس، سجن هناك وسجن -لأنه من إيران- سجن هناك وذهب إلى بيت المقدس فصار له أتباع، يقولون أكثر عشرين ألفًا من المقادسة كانوا كرامية، وسجن أكثر من عشر سنوات، ومع ذلك تنقل عنه أمور غريبة، أنا لا أثق فيها، هناك رسالة لإحدى المؤلفات عن الكرامية، كله نقل أو غالبه نقل عن المتكلمين، ما قدمت شيئًا، أنا لا أستحضر ما ذكرته، يعني أنت شف قول شيخ الإسلام فيه ماذا يقول عنه، ماذا ينقل عنه، ولكن مذهبهم معروف أن الإيمان هو قول، والله أعلم.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَن رَّسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ تعالى فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد:

بدأ شيخ الإسلام يذكر بعض المسائل التي تتعلق بالصفات التي استعرض بعض نصوصها، في هذه الفقرة الجمع بين العلو والمعية، ثم سيذكر الجمع بين العلو والقرب؛ لأن العلو علو الله ﷻ كما ذكرنا صفة ذاتية، قد يظن أن العلو لا يجتمع مع ما يوصف الله ﷻ من المعية، وهذا إشكال ورد على كثير من الناس بعضهم لأجله التزم بدعةً وبعضهم التزم بدعةً، وقد أشار شيخ الإسلام حتى فيما سبق إلى هذا الموضوع، الآن يفصل فيه.

يقول: (وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ) هنا يشير إلى الأدلة، (الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ) إذن العلو أدلة العلو الآيات التي في الكتاب، هذا النوع الأول، (وَتَوَاتَرَ عَن رَّسُولِهِ ﷺ) هذا النوع الثاني من الأدلة، (وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ) هذا النوع الثالث من الأدلة، والنوع الرابع من الأدلة سيشير إليه في الفقرة القادمة، وهي دليل الفطرة (مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ تعالى فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ) .

هذه عقيدة ثابتة قاعدة عامة تعتقدها :

أن الله ﷻ فوق سماواته على عرشه علي على خلقه.

إذا وجدت أن هناك نصوصًا، إذا رأيت أو وهمت أن هناك بعض النصوص لا تجتمع مع وصفه بالعلو فلا بد أن تتمعن وتتدبر في تلك النصوص، ستجد لا منافاة بين تلك النصوص وبين نصوص العلو

علو الله ﷻ.

أولًا: بدأ بنصوص المعية، وهو:

(وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ) هو معهم أينما كانوا، هذه هي المعية العامة، المعية العامة معناها: يعلم ما هم عاملون.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

(كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الحديد: ٤]

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

في آية واحدة جمع بين العلو والمعية، هل يمكن أن تكون هذه الآية نهايتها متناقضة لبدايتها، وبدايتها لا تجتمع مع نهايتها؟ سبحان الله، ليس هناك أي مناقضة بين العلو وبين المعية اللتين وصف الله ﷻ بهما في آية واحدة: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[الحديد: ٤] ذكرنا سابقًا أن نصوص الاستواء من أدلة العلو مع ذلك يقول: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[الحديد: ٤] ومعنى المعية في نفس الآية: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الحديد: ٤] معنا بسمعه وبصره ومعاني ربوبيته، كما سيأتي في كلام شيخ الإسلام.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾[الحديد: ٤] أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لاَ تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، وهو خلافُ مَا أجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ، وخِلَافُ مَا فَطَرَ اللهُ عليْهِ الخلْقَ، بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

بين شيخ الإسلام في هذه الفقرة ولخص الرد عليهم في أربع نقاط، الذين يظنون أن المعية تقتضي تستلزم لا نقول تقتضي، المعية قد تقتضي المخالطة، ولكنهم يظنون أن المعية تستلزم المخالطة، الذين يظنون أن المعية تستلزم المخالطة رد عليهم شيخ من أربعة أوجه.

يقول: (وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾[الحديد: ٤] أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ) الوجه الأول، (فَإِنَّ هَذَا لاَ تُوجِبُهُ اللُّغَةُ) ليس في اللغة أن المعية دائمًا تستلزم المخالطة، قد تقتضي وقد لا تقتضي، الله ﷻ بين أنه مع الخلق وبين أنه مع الصابرين وبين أنه مع المتقين، أيضًا في اللغة يقال أن الأمير مع جنوده، هل هو معهم؟ معهم بنصره ومعهم برعايته، ويقال أن الزوجة مع زوجها، معناه أنه في عقده لم يطلقها، قد تكون معه وقد لا تكون معه، يقال: جاءني فلان مع فلان، هذا يقتضي المخالطة، جاء مع بعض، فالمعية قد تقتضي وقد لا تقتضي، قد تقتضي المخالطة وقد لا تقتضي، المهم أن الذين يظنون أن المعية تستلزم المخالطة هذا غلط، هذا خطأ على اللغة، وهذا الخطأ يكون عندهم كثيرًا، في الأغلب يدعون على اللغة أنه كذا وكذا ثم يبنون عليه أخطاءً أخرى.

إذن أولًا: (فَإِنَّ هَذَا لاَ تُوجِبُهُ اللُّغَةُ) ثانيًا: (وهو خلافُ مَا أجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ) المعنى الذي تظنه ظاهر اللفظ وهو يخالف ما أجمع عليه سلف الأمة ألا يجعلك تراجع موقفك؟

إذن هذا خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، مما يدل على أن هذا الذي يقول أن المعية تستلزم المخالطة، هذا خطأ، كيف أجمع السلف خلاف هذا الذي تقول.

ثالثًا: (وهو خِلَافُ مَا فَطَرَ اللهُ عليْهِ الخلْقَ) هذا الدليل الذي لم يذكره هناك، الله ﷻ فطر الخلق على ماذا؟

على أن الله ﷻ فوق العرش، ولذلك كل من يدعو الله ﷻ يتوجه إليه إلى جهة فوق، وهذه الفطرة، الله ﷻ فطر الناس عليها.

الفرق بين الدليل العقلي والدليل الفطري:

أن الدليل الفطري ليس فيه ترتيب مقدمات وبناء هذا على هذا، لا، ليس فيه إعمال العقل، هذا دليل داخلي، ونداء في الداخل، يقول لك هذا النداء: أخطأت، أو أصبت، ويدعوك إلى الخير، الفطرة إذا كانت سليمةً دائمًا تدعو إلى الخير، وإذا أخطأت تؤنبك، وهذا التأنيب يكون خفيًا؛ لأن الفطرة لو كانت قويةً كان هذا يخالف تكليف أنت مكلف، وكون هناك فطرة تؤيدك على الحق وتخالفك على الباطل، نعمة كبيرة، لذلك لا تلوثها، لا تعرضها إلى الفتن؛ لأن الفطرة إذا انتكست فأنت خسرتها، هذه الفطرة.

هذا الدليل الثالث.

الدليل الرابع:

عبارة عن مثال، يقول: (بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وغيرِ المسافرِ أَيْنَمَا كَانَ)

نحن نقول: لا زلنا نسير والقمر معنا، نحن أيضًا نقول هذا والذي في اليمن يقول هذا، والذي في كذا يقول، كلنا نقول هذا مع أن القمر إذا قورن ببقية الكواكب لا تأتي ذرة، من أصغر آيات الله، هل الذي يقول: لا زلنا نسير والقمر معنا، هذا خطأ في اللغة؟

ليس خطأ، ليس هناك من يقول: لا، أنت أخطأ؛ لأن القمر ليس معك، ليس مختلطًا بك، لاحظ.

إذن المعية تقتضي مطلق المصاحبة، مطلق الاقتران، وهذه المصاحبة وهذا الاقتران يختلف باختلاف الأحوال، قد تكون هناك مخالطة وقد لا تكون هناك مخالطة، الخطأ أن تقول أن المعية تستلزم المخالطة.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ العرشِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ إليهم إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِن مَّعَانِي الربوبيةِ. وَكُلُّ هَذَا الْكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا، حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لاَ يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

بين شيخ الإسلام هنا معنى المعية العامة، هذا الذي أحلت إليه مرارًا؛ معنى المعية العامة، المعية العامة معناها أن الله ﷻ رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع إليهم إلى غير ذلك من معاني الربوبية، فهو معهم بحفظه، ومعهم بتدبيره، ومعهم لأنه يسمع ويرى، جميع معاني الربوبية، والمعية الخاصة تزيد عليها بالنصر والحفظ والرعاية والتأييد.

يقول: (وَكُلُّ هَذَا الْكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ ﷻ مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ):

أولًا: (وَأَنَّهُ مَعَنَا حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ) إذن المعية حقيقية، نقول: المعية حقيقية.

وما هي المعية؟

المعية معناها مطلق المصاحبة والاختلاط، هذا يختلف باختلاف الأحوال، فإذا كان الله ﷻ قرر في أدلة من الصعب أن تحصرها أنه فوق العرش.

المعية كيف تكون؟

هي تكون بما يناسب هذا المقام بل المعية هنا تناسب ما أشير إليه في النصوص، النصر والتأييد في المعية الخاصة، ومعاني الربوبية الأخرى من الاطلاع والهيمنة في المعية العامة.

(لاَ يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ)

إذن شيخ الإسلام هنا يقرر أن هذه المعية حقيقية، ولكن لا نقول أن المعية هذه ذاتية، المعية هذه بذاته، فرق بين أن نقول: المعية ذاتية، وبين أن نقول: المعية بذاته، واضح؟ لا مانع أن نقول المعية ذاتية، معناها أنها صفة ذاتية، يتصف بها الله ﷻ أزلًا وأبدًا دائمًا، المعية ذاتية، ولا نقول: هو معنى بذاته؛ لأن هذا يوهم ما يظنه أولئك المبتدعة، (لاَ يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ) إذن المعية حقيقية لا تحتاج إلى تحريف.

(وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ)

يصان يشار هذه يشير به إلى إثبات العلو وإلى إثبات المعية، إلى المسألتين.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ ليس أن يظن أن ظاهر قوله: في السماء. أن السماء تقله أو تظله، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان، إن الله قد وسع كرسيه السموات والأرض، **﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا﴾[فاطر:٤١]**، **﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[الحج:٦٥]** ، **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾[الروم:٢٥]**.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

كل هذه المعطيات، كل هذه الأدلة لا بد أن تنظر إليها لما تريد أن تفهم معنى المعية، لا تذهب إلى كتاب من كتب اللغة، وقد يكون هذا الكتاب أيضًا من المتأثرين بعلم الكلام، ومثل هذه الكتب كثيرة مثل أساس البلاغة وغيرها، ولا تحدد المعنى وتقول: أن في الكتاب الفلاني معناها كذا، وهذه هي الحقيقة، لا، تنظر إلى النصوص، النصوص تفسر بعضها بعضًا.

(وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ)

أنا ذكرت سابقًا أن السبب غالبًا في هذه الظنون الكاذبة السبب:

اعتقاد خصائص المخلوق في صفات الخالق، هذا داء عام، اعتقاد خصائص في صفات الخالق، يُدخلون في مسميات صفات الله ﷻ خصائص المخلوقين، ولأجل خصائص المخلوقين يسلبونها وينفونها عن الله ﷻ، هذا خطأ، لا تُنفى صفة لأجل ما للمخلوق من صفة لا تثبتها تنفي صفة عن الله ﷻ لأجل صفة المخلوق، والعكس؛ لأن صفات الله ﷻتليق بكماله وجلاله، وصفات المخلوق تليق بضعفه وكونه مخلوقًا.

مثل أن يظن أن ظاهر قوله: (أن يظن أن ظاهر قوله: «في السماء». أن السماء تقله أو تظله)

هذا عام عندهم، هل تقولون أن السماء ظرف يحيط بالله عز، من الذي قال هذا؟

ذكرنا في السماء إما في للظرفية والسماء بمعنى العلو أو السماء بمعنى الأجرام المعروفة المبنية وفي بمعنى على، ليس فيه أن السماء تظله أو تحيط به أو تقله.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَقَد دَّخَلَ فِي ذَلِكَ الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ من خلقه كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾[**البقرة: ١٨٦**].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُم مِّن عُنقِ رَاحِلَتِهِ**».

وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لاَ يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّه، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

لخص رَحِمَهُ اللَّهُ الموضوع كله في هاتين الجملتين تلخيصًا جميلًا: (وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّه، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ) ويقول: لا تستبعد هذا؛ لأن المسألة تتعلق بالله ﷻ، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[**الشورى: ١١**] وذكر في هذه الفقرة الجمع بين العلو والقرب، والموضوع هنا مثل الجمع بين العلو والمعية، إذن القرب الذي ورد إثباته في الكتاب والسنة لا ينافي علو الله ﷻ

(وَقَد دَّخَلَ فِي ذَلِكَ الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ من خلقه مجيبٌ)

كما جمع بين ذلك بين إيش؟

بين كونه قريبًا وبين كونه مجيبًا، في قوله: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾[**البقرة: ١٨٦**]

القرب الذي وصف به الرب سبحانه خاص وليس عامًا، ليس في النصوص في نصوص الكتاب والسنة وصف الله ﷻ بالقرب ويكون بمعنى القرب من الجميع، لا، مثل المعية، لا، القرب الذي وصف به الرب سبحانه خاص لا عام، وهو أقرب ما يكون إلى المعية الخاصة، القرب، إذن الخلاصة هو علي في دنوه قريب في علوه.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَمِنَ الإِيمَانِ باللهِ وَكُتُبِهِ الإيمانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ سبحانه وتعالى، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

رجع شيخ الإسلام إلى مسألة القرآن، وقد ذكر أدلةً كثيرةً فيما سبق هذه الأدلة تثبت ما يعتقده أهل السنة من كون القرآن كلام الله ﷻ وأنه منزل وأنه غير مخلوق، وأنه منه بدأ وإليه يعود، ذكر الأدلة.

بدأ هنا ينص على بعض المسائل المهمة فيها، وأكثر ما ينص هنا وأكثر المسائل التي سيذكرها الخلاف فيها مع الكلابية.

من أشهر عقائد الكلابية في القرآن:

أولًا: صفة الكلام عندهم، الكلام النفسي، كما قلنا: الكلام عبارة عن لفظ ومعنى، عندهم أن اللفظ ليس داخلًا في حقيقة الكلام، هذا عمومًا، وعكسهم المعتزلة، المعتزلة يرون أن اللفظ هو الحقيقة أما المعنى لا يدخل في حقيقة الكلام، وعند أهل السنة الكلام عبارة عن لفظ ومعنى.

صفة الله ﷻ صفة الكلام التي يثبتها الكلابية، يرون أن هذه الصفة المراد بها الكلام النفسي، الكلام النفسي وأن الألفاظ ليست داخلةً في كلام الله ﷻ وبالتالي الكتب المنزلة كلها عبارة عن كلام الله ﷻ أو دالة على كلام الله ﷻ ، كتب الله المنزلة بما فيها القرآن والتوراة كلها ليست كلام الله ﷻ حقيقةً إنما يطلق عليها أنها كلام الله ﷻ مجازًا، وعندهم أن الكلام صفة أزلية بحتة، وعندهم أيضًا أن كلام الله ﷻ ليس من جنس الحروف والأصوات، وأيضًا عندهم أن الكلام صفة واحدة يسمونها وحدة الكلام، وهذا الموضوع فهمه صعب، فهمه صعب.

لماذا؟ أليس من أقسام الكلام أمر ونهي وخبر واستخبار؟ أليس كذلك؟ إذا قلت بوحدة الكلام كما يقولون كيف انقسم إلى هذه الأقسام؟

ومن توابع هذا الاعتقاد وحدة الكلام أن كلام الله ﷻ إذا كان بالعربية فهو قرآن وإذا كان بالعبرية فهو توراة وإذا كان بالسريانية فهو إنجيل، هكذا، وليس هناك فرق بين هذه الآية وتلك الآية، معقول هذا؟

هل آية الدين هي نفسها آية الكرسي؟ وهل ما ورد في التوراة هو نفسه ما ورد في القرآن؟ وبالتالي هذا الموضوع من الصعب أن تفهمه حتى هم عندهم من الاضطراب فيه الشيء الكثير.

و كما ذكرت في الكسب، أحدهم وهو السنوسي، السنوسي هذا من القرن التاسع توفي سنة ثمانمائة وتسعين أو ثمانين –على ما أعتقد- السنوسي صاحب «السنوسية الكبرى» و«الصغرى»، الذي يقول أصول الكفر ستة منها الأخذ بظاهر الكتاب والسنة، السنوسي يقول: لا بد أن نفوض في فهم هذه المسائل، لا نتعمق فيها، لماذا تفوض فيها؟

أنت جئت ببدع وورطت نفسك ثم تجعلنا مفوضة فيها، مفوضة في إيش؟ الكلام إذا كان نفسيًا أو نفسانيًا كما يقولون، ليس هناك فرق بين الكلام والعلم والإرادة، الآن العلم الإرادة التي في نفسك إذا تكلمت بها صار إيش؟ كلامًا، إذا لم تتكلم بها هل هناك فرق بين الإرادة وصفة الكلام؟ ليس هناك، وبعضهم وهو الجويني صرح بهذا، صرح بهذا، وأغلبهم يكابرون في هذا، هناك فرق، إيش الفرق؟

هناك فرق بين صفة الكلام وبين صفة الإرادة: من الفروق أنك قد تأمر عبدًا من عبيدك بشيء وأنت لا تريد أن ينفذه، جميع الفروق التي يذكرونها فروق ترجع إلى خصائص المخلوقين لا ترجع إلى صفات الله ﷻ، نحن نريد أن يكون هناك فرق بين الكلام النفسي الذي يوصف به الله ﷻ وبين صفة الإرادة التي يوصف بها الله ﷻ، حتى في المخلوق كلامك ما دام في نفسك عبارة عن العلم وعن الإرادة، ليس هناك فرق بينها.

وقد أطال شيخ الإسلام في هذا الموضوع في التسعينية، وبين أنه ليس هناك فرق بين العلم والإرادة وبين صفة الكلام إذا كان الكلام نفسيًا.

أعقد المسائل وأغمض المسائل وحدة الكلام، وهذا الموضوع أشغلهم أيضًا؛ لأنهم في أصول الفقه يبينون ما هي صيغ الأمر، ما هي صيغ النهي، يبينون، ولكن تفاجأ هناك بعض المسائل كأنها ليست من أصول الفقه، وتستغرب من أين جاءت هذه، مثلًا هل الأمر له صيغة أو لا؟ طرح هذا الموضوع ليس غريبًا؟ إذا طرحت هذا الموضوع عند أهل اللغة سيستغربون هذا، طرح الموضوع غريب، إذا عرفت الخلفية أن الكلام كلام نفسي وأنه واحد وليس هناك أمر وليس هناك نهي وليس هناك خبر ولا استحباب تعرف الخفي، أشغلونا في أصول الفقه، هل النهي له صيغة؟ هل الأمر له صيغة؟

أيضًا لأن أغلب من كتب في الأصول هم المعتزلة والأشاعرة والماتريدية، كيف الصفة واحدة وتنوعت إلى خبر واستخبار وأمر، كيف؟

عليك أن تفهم هذا، في أصول الفقه، وهذا صار أصول الفقه، وإلا هذه مسائل مقحمة ليس لها دخل بأصول الفقه، هذه المسائل عبء على أصول الفقه، وهي التي جعلت هذا العلم الجميل علم الصحابة علم جميل وهو الوسيلة لفهم نصوص الكتاب والسنة، هذا ا لعلم جعلوه منطقًا، والآن بدءوا بعد الغزالي لا بد هناك مقدمة منطقية يبدءون وذكر الغزالي في مقدمة المستصفى أن من لم يحط بهذه المقدمة فلا يوثق بعلمه.

هذه المسائل الغريبة من هنا انتقلت إلى هناك؛ لأن الرازي الذي يكتب هنا له المحصول هناك، الآمدي الذي يكتب هنا له «أبكار الأفكار» وله غاية المرام، هناك عنده الإحكام في أصول الأحكام، وهكذا بقية الأصوليين، فهذه المسائل لا تمت إلى علم الأصول بصلة، والغريب أنها من المسائل المعقدة.

أيضًا هنا ما دام أنه كلام نفسي واللفظ لا يدخل في حقيقة الكلام، في أصول الفقه يعرفون القرآن تعريفًا صحيحًا، هؤلاء هم أنفسهم الماتريدية والأشاعرة، في أصول الفقه: وهو اسمٌ للنظم والمعنى، هذه عبارة النسبي في «المنار»، وهو اسم للنظم وهو اللفظ والمعنى، أليس التعريف صحيحًا؟

نفس هذا النسبي له كتاب «عمدة عقائد أهل السنة والجماعة»، تعريف الكلام هناك القرآن والكلام عبارة عن الكلام النفسي؟ لماذا هذا التفاوت؟

التفتازاني ذكر هذا التساؤل وأثار هذا التساؤل وغيره، لماذا تعريف القرآن هناك يشمل النظم والمعنى وهنا لا يشمل النظم؟

خلاصة إجابته لاختلاف المجال، هنا مجال أصول الفقه والأصوليون يبحثون عن دلالات الألفاظ، علمهم منصب على الألفاظ، يركزون على الألفاظ.

علم أصول الفقه عبارة عن ثلاثة أمور، العلم كله، ما هي؟

تحديد الأصول، تحديد الأدلة التي تأخذ منها الفقه؛ لأنه أصول الفقه، وهو أصول الفقه، تحديد الأدلة التي تأخذ منها الفقه حتى تذهب إلى مصدر ليس أصلًا وتأخذ منه إيش؟ يحددونه.

هذا أولًا.

ثانيًا: كيفية فهم هذه الأدلة، ويدخلون هنا في دلالات الألفاظ.

ثالثًا: من الذي هو أهل لأن يستفيد من هذه الأدلة، ويبحثون هنا في الاجتهاد والتقليد، إذن العلم أكثره منصب على الألفاظ المجال هناك يختلف، وهنا المجال يختلف، هل هذا الجواب صحيح؟

من أبطل الباطل، إذن يكون تعريف القرآن حسب، سيختلف باختلاف المجال، لكل واحد أن يعرف القرآن حسب مجاله، هذا مجاله كذا سيعرفه، إذن ليست هناك حقيقة معينة خاصة معروفة للقرآن، كل واحد يعرفه حسب مجاله، واضح؟ إذن أكثر الأمثلة وأكثر المسائل التي يذكرها شيخ الإسلام هنا الخلاف فيها بين الكلابية.

(الْقُرْآنَ كَلامُ الله)

هذا يخالف فيه المعتزلة يوافقون فيه، يقولون: القرآن كلام الله حقيقةً، ولكنه مخلوق من المخلوقات، ويطلق عليه أنه كلام الله حقيقةً، ولكنه مخلوق من المخلوقات، أما الكلابية لا يطلقون أنه كلام الله حقيقةً، ذكرت لكم سابقًا، هم يرون أن الكلام كلام الله ﷻ والمعنى فقط.

(كلام الله مُنَزَّلٌ)

هذه الصفة صفة الكلام هم يجردونها من كل ما يتوهم أنه حدوث، من كل ما يتوهم أنه يؤدي إلى الحدوث وبالتالي يقولون: كلام الله ﷻ لا ينزل؛ لأنه في نفسه؛ لأن الذي ينزل فيه حدوث لا يقوم هذا الذي ينزل في ذات الله ﷻ، في ذاته، والله ﷻ وصف القرآن بأنه تنزيل منزل بمعنى في، كل هذه الأدلة تؤول، باب التأويل مفتوح.

(غَيْرُ مَخْلُوقٍ)

قبل نشوء الاختلاف خلاف الجهمية والمعتزلة ما كان أهل السنة يذكرون هذا في تعريف القرآن أنه كلام الله منزل غير مخلوق، ما كانوا يذكرون هذا، لكنه بعد حدوث الخلاف بدءوا ينصون في تعريف القرآن أنه كلام الله منزل غير مخلوق، ترى هذا تعريف القرآن الذي ذكره شيخ الإسلام، هذا تعريف القرآن.

إذن من الإيمان الله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله المنزل غير مخلوق، لماذا؟

لأن الإيمان بكلام الله داخل في الإيمان برسالة الله ﷻ إلى رسله، وأصل الإيمان هو الإيمان بما أنزله، نحن لما نقول: الإيمان بماذا؟ الإيمان بما أنزله الله ﷻ، والإيمان بما أنزله الله مبني على كتبه، وهذا مبني على اتصافه بصفة الكلام.

(مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ)

سبق أن ذكرت أن منه بدأ معناه منه بدأ أو به بدأ قولًا، ومنه بدأ قولًا وسمع منه مباشرةً، من الذي سمعه منه؟ جبريل عليه السلام.

إذن منه بدأ ولم يكن مبتدؤه ذلك المحل المخلوق كما يقوله المعتزلة، المعتزلة يرون أن الله ﷻ خلق القرآن في قلب جبريل، وهذا من الفروق بين قولهم وقول الجهمية، الجهمية يقولون أن القرآن مخلوق ولكن لا يحددون، المعتزلة يقولون أنه مخلوق في قلب جبريل، خلقه في قلبه وجبريل عبر عنه كما أراد، وفي حالة موسى عليه السلام كان مخلوقًا في الشجرة، إذن منه بدأ، الله ﷻ هو الذي تكلم به ومنه سمع جبريل. سأشير إلى مراتب القرآن فيما بعد

أيضًا لم يكن مبتدؤه من اللوح المحفوظ كما هو قول الأشاعرة، الأشاعرة يقولون إن هذا القرآن إما أنه مأخوذ من اللوح المحفوظ أو من بيت العزة، ولذلك تجدونهم في أسانيدهم ينسبونها إلى بيت العزة أو إلى، لا يصرحون بسماع جبريل من الله ﷻ، حتى الأسانيد دخل فيها مذهبهم، والصحيح أن القرآن الله ﷻ كتبه وأودعه في اللوح المحفوظ مثلما كتب بقية الأمور ثم أنزله إلى بيت العزة ثم تكلم به، مرتبة الكلام تأتي ثالثًا، تكلم به وأسمعه جبريل وأنزله على فترات، ونحن نقول: منه بدأ، جبريل سمع منه ولم يؤخذ من بيت العزة ولم يؤخذ من اللوح المحفوظ ولم يؤخذ ولم يخلق في جبريل أو في الشجرة كما هي أقوال المبتدعة.

وإليه يعود: كما في بعض الآثار أن القرآن يسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور، ولا يبقى في الصدور كلمه ولا في المصاحف منه حرف.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلامُ اللهِ حَقِيقَةً، لاَ كَلامُ غَيْرِهِ. وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلاَمِ اللهِ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

في فقرة ما أدري قد تكون عندك: (إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ)

الطالب: في الفقرة التي بعدها

الشيخ: (لاَ إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا) بعدها؟

الطالب: نعم.

الشيخ: (وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلاَمِ اللهِ أَوْ عِبَارَةٌ عنه)

أيضًا هنا إشارة بل هو رد على الجميع، المعتزلة لما يقولون أن القرآن كلام الله ﷻ حقيقةً ولكنه مخلوق، يخالفوننا في أن الله ﷻ تكلم به.

يقول شيخ الإسلام: (وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً) هذا فيه الرد على من يقول أن إطلاق كلام الله ﷻ على القرآن مجازًا كما هو قول الأشاعرة أو بالاشتراك اللفظي وهذا قول بعضهم، إذن الله ﷻ تكلم به حقيقةً.

قد يظن أن بعض هذه الجمل فيها تكرار ولكن لما تقرءون ما قرره هؤلاء وخاصةً من يدعي أن أهل السنة ما قرروه في القرآن خلاصته أن هذا ليس قرآنًا، خلاصة ما توصلوا إليه أن هذا ليس هو القرآن، بل القرآن هم لما يقولون القرآن مخلوق يقولون: هو الكلام النفسي، القرآن غير مخلوق، لما يقولون القرآن غير مخلوق، هم يقولون القرآن غير مخلوق، ولكن يصرحون أن المراد بالقرآن هو الكلام النفسي، يقولون: لا يقال أن القرآن مخلوق غير مخلوق، لا يقال القرآن غير مخلوق، بل يقال القرآن كلام الله غير مخلوق، حتى لا يتناول هذا لأنه مخلوق عندهم، ويصرحون بأنه ليس بيننا وبين المعتزلة خلاف في كون هذا مخلوقًا، في كون هذا مخلوقًا.

كلام طويل جدًا للرازي في كتابه «نهاية العقول»، والكتاب مطبوع الآن، نحن كنا ننقل منه وهو

مخطوط والآن مطبوع، أيضًا ذكر هذا غيره، كثير ذكروا ليس بيننا وبين المعتزلة خلاف في كون القرآن المنزل الذي هو النظم في كونه مخلوقًا، ليس بيننا وبينهم خلاف، الخلاف بيننا وبين المعتزلة كما يقولون كلام النفس، نحن نقول: الكلام النفسي ليس مخلوقًا، وهم أيضًا لا يثبتونه.

(وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ) كل هذا تأكيدات، (هُوَ كَلامُ اللهِ حَقِيقَةً، لاَ كَلامُ غَيْرِهِ) ليس كلام غيره، (وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلاَمِ اللهِ أَوْ عِبَارَةٌ عنه) طبعًا هناك خلاف بين كما يقولون خلاف بيني، الياء هنا للنسبة، الخلاف بين الكلابية والأشاعرة، هل يقال أن هذا القرآن حكاية عن كلام الله أو يقال عبارة عن كلام الله؟ الحكاية هو قول ابن كلاب، وهو لا يصح؛ لأن كلام الله ﷻ معنًى مجردًا عندهم، وهذا فيه حروف وألفاظ، كيف صار حكايةً؟ كلام الله ﷻ عندك معنى، وهذا اللفظ معنى، والأشعري يقول: عبارة عن كلام الله ﷻ، هذا أيضًا لا يصح؛ لأن العبارة هي اللفظ الذي يعبر به عن إيش؟ عن المعنى، أليس كذلك؟

إذن هذا حروف ومعاني يعبر بها عن المعنى، كيف؟ إذن هذا فيه ألفاظ حروف وهذه لا تدخل في حقيقة الكلام عندكم، وهذا الخلاف بينهم؛ لأن ابن كلاب أقدم من الأشعري، الأشعري قال: أنت لما تقول: هذا حكاية فالحكاية تكون متطابقةً مع المحكي، ونحن عندنا فرق، عندنا فرق بين كلام الله ﷻ حقيقةً الذي هو الكلام النفسي وبين هذا، ولا نستطيع أن نقول هو حكاية بل نقول: هو عبارة، وهل حل الإشكال؟ وقع في إشكال آخر.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ سبحانه تَعَالَى حَقِيقَةً، فَإِنَّ الْكَلامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ تكلم به مُبْتَدِئًا، لاَ إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

هذا فيه الرد على إشكال لهم، يقولون: كيف يحل كلام الله ﷻ في ورق؟ كيف يكتب؟ وكيف يقرأ؟ وكيف يتلى؟ وكيف يحفظ؟ هذا يدل على أنه ليس كلام الله ﷻ، هذه الأمور كلها تدل على الحدوث، يقول شيخ الإسلام: (بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ حَقِيقَةً) هو كلام الله، (فَإِنَّ الْكَلامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قالهُ مُبْتَدِئًا، لاَ إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا) كم من كلام الأدباء والشعراء لا زلنا ننقله ونسبه إليهم؟ أقوالهم، نقول: قال فلان، قال فلان، لا زالت تلك الأشعار تنسب إليهم؛ لأنه هو الذي قاله مبتدئًا، ابتدأ به، كلامه (لاَ إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا).

أنا الآن إذا ذكرت شعرًا هل ينسب إلي؟

لا، أنا بلغته عن فلان، إذن كونه مكتوبًا، كونه محفوظًا، كونه يتلى، كونه يقرأ، هذا ليس فيه إشكال؛ كلام الله ﷻ هو الذي يقرأ، وهو الذي يتلى، وهو الذي يكتب، وكما قال أهل السنة: الكلام كلام الباري والصوت صوت القارئ.

طبعًا هناك فرق بين المقروء والقراءة واللفظ والملفوظ، أنت لما تقرأ كلام الله ﷻ، لما تقرأ القرآن، هناك شيئان،﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ١ - ٢]، قرأت، ما الذي قرأته؟

المقروء كلام الله ﷻ، والقراءة هذه فعل لي أنا، ولذلك ما ذكر الإمام البخاري في كتابه «أفعال العباد»: قراءتي توصف بأنها قراءة حسنة، وقراءة سيئة، ولا ينال هذا شيئًا من أوصافه.

أبدًا هذه القراءة توصف لأنها قراءتي أنا، فلا نقول أن قراءة فلان سيئة، ليس فيه سب للقرآن، أبدًا

القراءة غير والمقروء غير، وهكذا الكتابة عمل والمكتوب غير، وهكذا اللفظ بمعنى التلفظ عمل والملفوظ غير.

بعض الكلابية كانوا يتسترون وراء اللفظ، كانوا يقولون لفظي بالقرآن مخلوق، وهم يريدون الملفوظ؛ لأن اللفظ لفظ مصدر يأتي بمعنى الملفوظ ويأتي بمعنى التلفظ، من حيث اللغة، واضح؟

اللفظ هذا مصدر يأتي بمعنى التلفظ ويأتي بمعنى الملفوظ.

كانوا يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق، والغل الذي يظن أنه يقصد باللفظ إيش؟ التلفظ مع أنه يريد الملفوظ، الذي تلفظت به مخلوق، هذه عقيدتهم، ولذلك الإمام أحمد منع من إطلاق هذا: لفظي بالقرآن مخلوق، إذا كان المراد باللفظ التلفظ هذا صحيح مع ذلك منعه، بدع من يطلق هذا، أما من يقول لفظي بالقرآن مخلوق والمراد باللفظي عنده التلفظ هذا جهمه، هذا جهمي، الذي يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، والمراد باللفظ التلفظ بدعه، والذي يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، والمراد باللفظي الملفوظ جهمه، الجهمي، واضح الفرق بين التلفظ؟

نحن الآن بما أنه صار هناك فريق يتسترون وراء هذه الألفاظ لا يجوز لنا أن نطلق ، نقول مثلًا: لفظي بالقرآن مخلوق، لا يجوز؛ درءًا للفتنة، وبعدًا أيضًا عن مظان الشك، الإمام البخاري وهو الإمام البخاري نُسبت إليه هذه الكلمة أنه قال: لفظي بالقرآن مخلوق، الإمام البخاري لو يقول ألف مرة: لفظي بالقرآن مخلوق، كلامه صحيح؛ لأنه لن يقول: أن المراد باللفظ هو الملفوظ، لن يقول، مع ذلك لم يقل، وكان يحلف بالله ﷻ أنه لم يقل هذا، حتى ولو قاله ما كان بإمكاننا أن نتهمه، مع ذلك لم يقل، والكلابية ينسبون إليه إلى الآن أن القرآن لفظي بالقرآن مخلوق، ولذلك أخرج من الأمر، كان يحلف.

نشير هنا بمناسبة ذكر شيخ الإسلام للقراءة والكتابة أن مراتب القرآن ثلاثة: مرتبة الكتاب أو الكتابة، الله ﷻ كتب القرآن في كتاب وجعله في اللوح المحفوظ.

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[البروج: ٢١ - ٢٢].

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: فُصل القرآن من الذكر فُوضع في بيت العزة في السماء الدنيا، وجعل جبريل ينزله على النبي ﷺ يرتله ترتيلًا.

هذا كلام ابن عباس، وتكاد الأمة عليه، هناك بعض أئمتنا وعلمائنا له تحفظ فيما ذكره ابن عباس

ولكن أقول: يكاد الإجماع ينعقد على كلام ابن عباس.

إذن الله ﷻ كتبه في كتاب وأودعه في اللوح المحفوظ ثم أنزله إلى بيت العزة.

هذه المرتبة الأولى.

المرتبة الأولى: كونه في اللوح المحفوظ.

الثانية: في بيت العزة.

الثالثة: مرتبة التكلم.

الله ﷻ تكلم به، وجبريل عليه السلام سمع من الله ﷻ مباشرةً، سمع منه وأنزله على النبي ﷺ، ومن الخطأ ما يذكره الأشاعرة أنه من اللوح المحفوظ أنزل إلي بيت العزة، أنه مخلوق عندهم أبدًا، هم يغلفون أهم مرتبة من مراتب القرآن وهو مرتبة التكلم، الله ﷻ تكلم به، وجبريل عليه السلام سمعه منه مباشرةً.

إذن القرآن مكتوب قبل أن يتكلم الله ﷻ به كله، ومرتبة الكتاب والمكتوب مرتبة القرآن المتكلم به المسموع، حينما أراد الله ﷻ وبعث نبيه محمد ﷺ أنزله عليه منجمًا.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَقَد دَّخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلاَئِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

لا قبله: (وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ) من فضلك أعطني النسخة هذه، كتبه في كتاب وأودعه في، مثلما كتب كل شيء، كتب في اللوح المحفوظ كل شيء ومنه القرآن مكتوب ومودع في اللوح المحفوظ، ثم أنزله إلى بيت العزة ثم تكلم به، وجبريل أخذه منه مباشرةً، بيت العزة في السماء الدنيا.

طبعًا هناك مناهج تحقيق مختلفة منها من المناهج أنك إذا تأكدت أن هذه الجملة للمؤلف تضعها في الصلب لا تضعها في الحواشي، تضعها في الصلب، والمناهج تختلف مناهج تلفيق ومناهج النسخة الأم، هذا المنهج تحدده بعد النظر في الكتاب؛ لأن المهم إخراج الكتاب في الصلب، الآن بعض الجمل في الهامش والذين تضعوه في الدورة حذفوه، لا بد أن ينظر إلى مصلحة الكتاب.

هذه الجمل مهمة جدًا.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، ومَعَانِيهِ؛ لَيْسَ كَلامُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي، وَلاَ الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

هذا آخر فقرة، (وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، ومَعَانِيهِ؛ لَيْسَ كَلامُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي، وَلاَ الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ) يقول شيخ الإسلام –هذه خلاصة-: القرآن كلام الله ﷻ حروفه ومعانيه، اللفظ، النظم والمعنى كله من كلام الله ﷻ، واضح؟ كله من كلام الله ﷻ. وكونه منزلًا وكونه مرتبًا ومجزئًا لا يدل على أنه ليس كلامًا كما يذكر الكلابية.

(لَيْسَ كَلامُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي) لا، كما هو قول من؟ المعتزلة، (لَيْسَ كَلامُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي) :

مسمى الكلام عند المعتزلة حقيقة في اللفظ ومجاز في المعنى، ومسمى الكلام عند الكلابية حقيقة في المعنى ومجاز.

(لَيْسَ كَلامُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي، وَلاَ الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ) ولا المعاني دون الحروف كما هو مذهب الكلابية والأشاعرة والماتريدية، هذا هو تلخيص هذه المسألة، القرآن هو النظم والمعنى، الألفاظ هذه كلام الله ﷻ حقيقةً تلفظ بها والمعاني تشتمل عليها هذه الألفاظ هي لله ﷻ، إذن كلام الله ﷻ ليس معنًى فقط وليس لفظًا فقط بل هو لفظ يدل على معنى.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَقَد دَّخَلَ أيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِرُسُلِهِ: الإيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الشيخ: في بعض النسخ: وملائكته.

الإيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دونها سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لاَ يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ. يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهَ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللهُ تَعَالَى.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

هذه المسألة ذكرها شيخ الإسلام مرارًا، ذكرها في قسم الآيات وفي قسم الأحاديث، وهنا لخصها، ذكر هنا مسائل لم تذكر هناك، دخل أيضًا فيما ذكرناه من الإيمان بالله ﷻ ومن الإيمان بكتبه ومن الإيمان بملائكته ومن الإيمان برسله؛ لأن هذه الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة، من الذي جاء بهذه المسألة؟

الملائكة جاءوا بالكتاب وعلى الرسل.

إذن هناك تلازم بين أركان الإيمان، الملائكة والكتب والرسل، والإيمان بالله ﷻ.

(الإيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ)

عيانًا مواجهةً.

(بِأَبْصَارِهِمْ)

هذا رد كما ذكرنا على المعتزلة وعلى الأشاعرة المتأخرينز

(كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا)

أي إذا لم يكن هناك غيم.

(لَيْسَ دونها سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لاَ يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ)

«لا يُضامون» من الضيم، «لا يضامون» من الانضمام لا يحتاجون إلى انضمام بعضهم إلى بعض.

طبعًا ذكرنا أن المخالفين المعتزلة ومن أدلتهم في نفي الرؤية قوله سبحانه: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾[الأنعام:١٠٣].

وهذه الآية كما ذكر شيخ الإسلام من أدلة إثبات الرؤية؛ لأن هناك أمران: رؤية، وإدراك، الإدراك أمر يزيد على الرؤية المجردة، فالله ﷻ لما قال: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ فيه إثبات الرؤية، يرونه ولكنهم لا يدركونه.

في قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[الشعراء:٦١]، تراءى حصلت الرؤية، ثم قالوا: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ قالوا: يبدو أن الرؤية حصلت والإدراك إذن حصل، قال موسى، ماذا قال؟ قال: كلا، نفى الإدراك والرؤية حصلت. إذن الإدراك شيء يزيد على الرؤية،

ومن أدلتهم المعروفة أيضًا قول الله ﷻ حكايةً عن موسى، طبعًا هذه حكاية تختلف عن حكاية الكلابية، ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف:١٤٣]، ماذا قال موسى؟

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[الأعراف:١٤٣]، أكمل؟

الطالب: ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾[الأعراف:١٤٣]

الشيخ: ﴿فَسَوْفَ تَرَانِي﴾، قالوا: لن تراني، لن هذه للتأبيد، حتى أنها معروفة بلن الزمخشرية، لن الزمخشرية؛ لأنه هو الذي دندن حولها كثيرًا، قالوا: لن للتأبيد وما دام لن دخلت على الرؤية لن تحصل الرؤية، وهذا خطأ.

يقول ابن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ ابن مالك صحاب الألفية يقول:

ومـــن رأى النفـــي بلـــن مؤبـــدًا فقولـــه اردد وســـواه فاعضضـــا

قوله مردود.

والقول الثاني هو الذي ينبغي أن تعضضه، تؤيده، هذا خطأ.

هذه أشهر أدلتهم، هو في الحقيقة هذه الأدلة يذكرونها للتلبيس، ليس اعتمادهم على هذه الأدلة، اعتمادهم على أمورهم وأصولهم العقلية ثم يأتون إلى هذه الأدلة لدفع المخالف.

(يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهَ)

هذه فائدة.

(يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهَ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ)

عرصات هو الميدان الذي لا جبال فيه والعرصات عرصات القيامة يرى المؤمنون والمنافقون وغبرات من أهل الكتاب كلهم يرون الله ﷻ، أما الكفار فالصحيح أنهم لا يرونه، رؤية المؤمنين لله ﷻ للتنعم وللنعمة والإحسان، أما رؤية غيره فليست رؤية إنعام، إلا أنهم يرونه ووردت في الأحاديث.

(ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ)

من الذي يراه بعد دخول الجنة؟ من دخل الجنة، إذن المنافقون والكفار لن يدخلوا الجنة.

(كَمَا يَشَاءُ اللهُ سبحانه تَعَالَى)

ورؤيتهم لله ﷻ هذه أعلى نعيم الجنة كما ذكرنا أمس.

الطالب: ...

الشيخ: نعم، وقالوا يا مالك، نعم، أحسنت.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

هذا ركن من أركان الإيمان، وهو الركن ما قبل الأخير حسب ترتيب حديث جبريل، الإيمان باليوم الآخر، ومباحث الإيمان باليوم الآخر تبدأ من بعد الموت بل تبدأ من وقت الاحتضار؛ لأن الإنسان في حالة الاحتضار في الحقيقة قد خرج عن الدنيا، لا يمكنه أن يُعبر ولا يمكنه أن يُخبر عما هو فيه، لذلك الأئمة الذي يكتبون في الاعتقاد من هنا يبدءون مباحث اليوم الآخر، الموت وما بعد الموت، هذا كله يدخل في مباحث اليوم الآخر.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

(فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ)

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

ويؤمنون بفتنة القبر، سيأتي في كلام شيخ الإسلام تفسير فتنة القبر، هي الامتحان سيأتي.

(وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ) عذاب القبر ونعيمه طبعًا أدلة عذاب القبر ونعيمه كثيرة جدًا، منها قوله سبحانه: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[غافر:٤٥، ٤٦]، إذن الذي ذكر قبل هذا في القبر، أيضًا: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾[نوح:٢٥].

فالأدلة أدلة عذاب القبر ونعيمه كثيرة جدًا.

ورد أيضًا في الصحيحين لما أتى النبي ﷺ المشركين يوم بدر وناداهم عليهم: «**يا فلان، يا فلان، هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ قد وجدت ما وعدني ربي حقًا**».

وأحاديث عذاب القبر ونعيمه متواترة، عذاب القبر يكون على النفس والبدن، كيف؟ ما ندري؛ لأن النفس تعلقها بالبدن أنواع، منها تعلق النفس بالبدن في الجنين.

نستكمل إن شاء الله بعد صلاة العشاء

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ الإيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد:

كنا نتحدث عن علاقة الروح بالبدن، وأن هناك أنواع من العلاقات؛ علاقات الروح بالبدن، منها علاقة الروح بالبدن والإنسان جنين، والإنسان جنين في بطن أمه، وهناك صلة بين الروح والبدن لا نعرف عنها، ومنها صلة الروح بالبدن بعد خروجه إلى الدنيا، وهذه العلاقة معروفة عندنا التي نحن فيها الآن، ومنها علاقة بالروح بالبدن في النوم، هناك علاقة بين الروح بالبدن في النوم، أيضًا لا نعرف عنها، وهناك علاقة بين البدن والروح في القبر، وبالتالي العذاب والنعيم الذي يكون في القبر يكون على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتتنعم وتتعذب منفردةً عن البدن ومتصلةً بالبدن، البدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليهما، في هذه الحالة مجتمعين كما يكون للروح منفردةً عن البدن، وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح؟ فيه قولان مشهوران لأهل السنة. إذن العذاب والنعيم يكون للروح والبدن.

من المسائل أيضًا التي تتعلق بعذاب القبر ونعيمه أن الروح بعدما تخرج ترجع إلى البدن عند الفتنة، كما ورد في كثير من الأحاديث أحاديث البراء بن عازب ﷺ، ففيه أن الروح تعود إلى البدن بعد دفن الميت وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له: يا هذا، من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟

وفيه أيضًا: فيأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له: من ربك؟ هذا في لفظ، بعد هذا الروح تبقى مفارقةً للبدن إلى أن يأذن الله ﷻ لها أن ترجع إلى البدن حين البعث بعد الموت، فالروح تعود عند فتنة القبر ثم تفارقه إلى الجنة أو النار، نسأل الله أن نكون من أهل الجنة ونعوذ به من أن نكون من أهل النار، ثم تخرج عنه وتعود إليه عند البعث.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

هذه هي الفتنة التي أشار إليها في الفقرة الماضية حينما قال: (فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ) والفتنة هي الامتحان، بعد الامتحان، بعد الاختبار تنفصل عنه وتذهب إلى الجنة أو إلى النار، ويكون لها صلة، نوع علاقة مع البدن، ولكنها تنفصل عنه بعد الاختبار، بعد الفتنة.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

فَيُقَالُ للرَّجُلِ: مَن رَّبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَن نَّبِيُّكَ؟

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

هذا السؤال هو الفتنة، فتنة القبر عبارة عن هذا السؤال.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

فيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، فَيَقُولُ الْمؤْمِنُ: رَبِّيَ اللهُ، وَالإِسْلاَمُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي. وَأَمَّا الْمُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: هَاه هَاه؛ لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

طبعًا هذا يشمل المنافق، يشمل الكافر، المنافق سيقول: سمعت الناس يقولون شيئًا، يقولون شيئًا فلم أفهمه ولم أفقهه ولم أتدبر فقه، المنافق، فقلته.

(فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ) المرزبة أو المِرْزَبة، هي المطرقة الكبيرة.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إلاَّ الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ؛ لَصُعِقَ.

الشيخ: نسأل الله أن يعصمنا هذه الفتنة.

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

وروح الميت لما تخرج من الميت فلها بعض الأعمال أخذناها من النصوص، مثلًا في روح الميت وهو في قبره ويقعد ويجلس وأيضًا تنعم الروح وتعذب وتصيح، ثم تصعد وتنزل، كل هذه الصفات للروح، وبما أن الروح ليست من قبيل الأجسام المشاهدة لذلك ما نستطيع أن نصف الروح إلا بما ورد أو بالآثار، أو بالآثار، فهذه الصفات التي وردت في النصوص تدل على أن لها حركةً وأنها تخرج وأنها تدخل وأنها تصعد، كل هذه الصفات ينفيها المتكلمون؛ لأن الروح عندهم من قبيل المعقولات، ولذلك يقولون: الروح لا يشار إليها بل بعضهم يقولون: الإنسان لا يشار إليه.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

ثُمَّ بَعْدَ هَٰذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرى.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

النعيم إما دائم العذاب، العذاب إما دائم وهو عذاب الكافر؛ ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾[**غافر: ٤٦**]، وإما في حال دون حال، عذاب القبر قد يكون في حال دون حال.

وهذا عذاب بعض العصاة من المؤمنين، وهذا العذاب قد يستمر فترةً ثم ينتهي أو قد يخفف، والأسباب التي ينتهي بها هذا العذاب عذاب القبر أو يخفف كثيرة:

منها الصدقة على الميت،

ومنها الدعاء للميت،

ومنها الاستغفار للميت، هو ينتفع انتفاعًا عظيمًا بدعاء الأحياء وبالصدقة عنهم وبالاستغفار لهم.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِﷺ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

طبعًا شيخ الإسلام يشير هنا من خالف في هذه المسائل، (وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ) إذ لا عبرة بغير المسلمين في ذلك مثل ما نراه عند الفلاسفة، الفلاسفة يرون أن البعث ليس للأبدان، والبعث عندهم لهم نظرية خاصة في البعث، من أهم ما يقولون أن البعث حتى لا يكون للأبدان وحتى لا يكون للأرواح على النحو الذي ورد في النصوص، ابن سينا له كتاب رسالة اسمها الأضحوية في المعاد، ذكر فيها أن النصوص الواردة في هذا مؤولة، ثم ذكر إن قيل لماذا تؤولون هذه النصوص الكثيرة؟

يقول: وأنتم لماذا تؤولون النصوص الكثيرة في العلو، لماذا تؤولون؟ يجوز التأويل عندكم ولا يجوز عندنا؟

إذن الذي ينكر معاد الأبدان هذا ليس من هؤلاء الذي يذكره ويشير إليه شيخ الإسلام لما يقول: وأجمع عليها المسلمون، إذ لا عبرة بهم وبكلامهم.

وهذه المسالة من بديهيات أصول الإسلام:

الإيمان باليوم الآخر والإيمان بمعاد الأبدان، وعود الأرواح إلى الأجساد يكون بعد نفخة القيام.

والنفخات بعض العلماء قالوا: هي ثلاثة.

وبعضهم قالوا: هي نفختان، وهذا هو الصحيح.

الصحيح أن النفخات اثنتان لا ثلاثة، النفخة الأولى بدايتها فزع ثم صعق، وكلاهم نفخة واحدة ثم نفخة البعث.

يقول الله ﷻ: ﴿**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ**﴾[النمل:٨٧]، وقال: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي**

﴿الأَرْضِ﴾[الزمر:٦٨]، الفزع وهذه الصعقة هذه النفخة الأولى ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾[الزمر:٦٨]، وهذه نفخة البعث.

وبعد هذه النفخة تعاد الأرواح إلى الأجساد، إسرافيل لما ينفخ في السور جميع الأرواح تكون في هذا السور، وينفخ فيها والأرواح تذهب إلى الأبدان، كل روح تذهب إلى البدن الخاص به، كلها من الصورة هذه، فتعاد الأرواح إلى الأجساد بعد النفخ نفخة البعث.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

حفاةً عراةً غرلًا، غرلًا جمع أغرل وهو الأقلف الذي لم يختن.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

ويلجمهم العرق أي يصل العرق إلى أفواههم.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

فَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَاد.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

الموازين هي موازين حقيقية، ميزان له كفتان كما ورد في النصوص هي موازين حقيقية توزن بها أعمال العباد، توزن بها الأعمال وتوزن بها العاملون، كما ورد في النصوص، والمخالفون من أهل الكلام يقولون: بما أن الأعمال أعراض هي لا توزن المراد بالميزان هو العدل، كما هو دأبهم في تحريف النصوص، يقول الله ﷻ: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[المؤمنون:١٠٣]، وجمع الموازين بالنظر إلى أنواع الأعمال، كل نوع من الأعمال له ميزان، هكذا قال العلماء، والله أعلم.

(فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَاد﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[المؤمنون:١٠٢]، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[المؤمنون:١٠٣]، وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ).

تنشر الدواوين أي أن الدواوين طويت بعدما انتهى عمر الإنسان، بعدما انتهى عمره، بعد ما حصلت له الوفاة طويت، هناك تنشر.

(وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ)

صحائف الأعمال أعمال الإنسان.

(فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ) .

نسأل الله أن نكون منهم.

وآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَّرَاءِ ظَهْرِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾[الإسراء:١٣].

طائره أي ما طار من عمله من خير أو شر.

﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[الإسراء:١١٣ - ٤].

ألزمناه طائره في عنقه، عمله سواء كان خيرًا أو شرًا يلزمه تعلقه بالعنق، لا ينفك عنه.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلائِقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

ويحاسب الله الخلائق الحساب عبارة عن تعريف الله ﷻ للخلائق بمقادير الجزاء على أعمالهم، الله ﷻ يذكرهم بأعمالهم وبالجزاء على أعمالهم، يذكرهم ما قد يكونون نسوه، أو الحساب هو توقيف الله ﷻ العباد على أعمالهم قبل انصرافهم من أرض المحشر يوقفهم على أعمالهم.

(فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهم لاَ حَسَنَاتَ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا)

ويقررون بها، الله ﷻ يجعلهم يعترفون بها، يقرون بها.

(ويجزون بها)

هناك حساب وهناك عرض، الفرق بين العرض وهوا لحساب اليسير وبين المناقشة وهو الحساب العسير -نسأل الله أن ينجينا منه- هناك فرق بينهما، في الصحيحين عن عائشة -رضي الله عنها وأرضاها- أن رسول اللهﷺ قال: «**ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك**» فقلت تقول عائشة: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**﴾[**الانشقاق: ٧ - ٨**]؟

هذا السؤال يدلنا على أن الصحابة كانوا يسألون لما يستشكلون.

بل تقول أم المؤمنين عائشة: أنه كان من عادة معنى كلامهم أي شيء لا أفهمه أسأل النبي ﷺ، هكذا إذا استشكلوا يسألون، لم يستشكلوا النصوص أبدًا، فقال رسول اللهﷺ: «**إنما ذلك العرض**» الحساب اليسير هو العرض، «**وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب**» إيه من يناقشه، ذلك عفو الله ﷻ، نسال الله عفوه وتيسيره والنجاة من النار.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَفِي عَرَصة الْقِيَامَةِ الْحَوضُ الْمَوْرُودُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، ماؤُه أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَن يَّشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لاَ يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

كل ما ذكره شيخ الإسلام هنا في وصف الحوض أخذها من الأحاديث الثابتة، إذا لخص لنا ما ورد في الأحاديث الثابتة؛ أن حوض النبيﷺ أن يكون؟

في عرصة القيامة أي في العرصات.

وهذا هو الصحيح ما ذكره شيخ الإسلام صحيح، وعليه جماهير العلماء؛ أن الحوض سيكون في العرصات.

ومال تلميذه ابن القيم مال إلى أن الحوض سيكون في العرصات وسيمتد إلى ما بعد الجسر؛ لأن الذين سيشربون من الحوض هم الذين كانوا على السنة أما من انحرف عن السنة فلا يستحقون، ويُدفعون للحوض، فإذا كان بعد الجسر كيف وصلوا إلى، الجسر لا يتجاوزه إلا من يستحق دخول الجنة، مما يدل على أن الحوض أين؟ في العرصات قبل الجسر، ولكن هناك نصوص يؤخذ منها أن الحوض أيضًا بعد الجسر يؤخذ منها، والعلماء يرون أن هذه النصوص ليست صريحةً في هذا.

والصحيح أن الحوض قبل الجسر، ويميل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أنه قبل الجسر ويمتد إلى ما بعد الجسر، والصحيح كما ذكره شيخ الإسلام الحوض هو في عرصات القيامة، وكل ما ذكره من الأوصاف هذا أخذه من النصوص.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

هذا يكون بعد الحساب، بعد الجسر يمر عليه الناس وبعد الحساب، وهو منصوب على متن جهنم، فمن ثبت على صراط الله المستقيم في الدنيا وهو الإسلام ثبت على الصراط الحسي المنصوب على متن جهنم، ومن زل عن الصراط هنا زل عن الصراط الحسي هناك، وهو كما ذكر شيخ الإسلام: (مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ)

(فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ)

من سرعته كلمح البصر.

(وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالرِّيحِ، ومِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ، ومِنْهُم مَن يَعْدُو عَدْوًا)

يعدو عدوًا أي يركض ركضًا.

(وَمِنْهُم مَن يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُم مَن يَزْحَفُ زَحْفًا)

يزحف زحفًا أي يمشي على مقعدته بعد رجليه.

(وَمَنْهُم مَن يُخْطَفُ خَطْفًا وَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسرَ عَلَيْهِ كَلاَلِيبُ تَخْطِفُ النَّاسَ)

كلاليب جمع كلوب، كلوب وهي حديدة معطوفة الرأس، منها سمي ابن كلاب؛ لفصاحته.

(تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِم، فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ)

لا يمر عليه ولا يتجاوزه إلا من كان من أهل الجنة.

الصراط القاضي عبد الجبار وكثير من أصحابه، القاضي عبد الجبار من المعتزلة، وكثير من أصحابه أنكروا الصراط، قالوا: المراد به طريق الجنة المشار إليه في قوله سبحانه: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ

﴿بَالَهُمْ﴾[محمد: ٥]، سيهديهم أي إلى ما يخصهم من الجنة، وطريق النار: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾[الصافات: ٢٣]، قال المراد بالصراط مع أن الصراط وصف بأوصاف محددة، وهو الجسر كما ذكر شيخ الإسلام على متنها.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وُقِفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

هذه القنطرة قيل هي طرف الصراط مما يلي الجنة، طرفه وقيل هي صراط آخر خاص بالمؤمنين، سواء قيل هذا أو هذا إذا عبروا على الصراط وقفوا على هذه القنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض.

(فَيُقْتَصَّ لِبَعْضِهِم مِن بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ)

في الحديث أنه إذا عبر أهل الجنة الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة. أخرجه البخاري.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَأَوَّلُ مَن يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَوَّلُ مَن يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

هذا من خصائصه ﷺ، من خصائصه، خصائصه كثيرة، خصائص نبينا محمد ﷺ كثيرة جدًا، منها أنه أول من يستفتح باب الجنة وأول من يدخلها هو نبينا محمد ﷺ، ومن خصائص أمته أن أمته أول من يدخلون الجنة من الأمم، كما في الحديث عن أنس: «**آت باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك**» أخرجه مسلم في صحيحه.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُوْلَى؛ فَيَشفَعُ فَي أَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

المؤلف هنا ذكر ثلاث شفاعات، شيخ الإسلام هنا ذكر ثلاث شفاعات، شفاعتان من خصائصه ﷺ، وشفاعة ليست من خصائصه، الشفاعتان الأوليان هي من المقام المحمود، كلتا الشفاعتين عللى الصحيح أنهما من المقام المحمود، أما الشفاعة الثالثة فليست من خصائصه ﷺ، وشفاعاته أكثر من هذا، سأشير إليه في نهاية الفقرة.

(فَيَشفَعُ فَي أَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ؛ آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسى ابْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ ﷺ)

هذه الشفاعة لماذا؟

حتى يقضى بينهم، سيذهبون إلى آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى، في النهاية سيأتون إلى نبينا محمد ﷺ ويشفع في أهل الموقف أن يقضى بينهم، وهذه هي الشفاعة الأولى وهي من المقام المحمود، فيما أخرجه الشيخان أنهم يأتون آدم ثم نوحًا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى، فيقول لهم عيسى: اذهبوا محمد؛ فإنه عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال: «**فيأتوني فأذهب، فإذا رأيت ربي خررت له ساجدًا، فأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الآن، فيقول: أي محمد، ارفع رأسك وقل تُسمع واشفع تُشفع، فأقول: أي ربي، أمتي، فيحد لي حدًا فأدخلهم الجنة، ثم أنطلق فأسجد فيحد لي حدًا**» ذكر هذا ثلاث مرات، وهكذا الشفاعة الثانية.

(وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَن يَدْخُلُوا الْجَنَّة. وَهَاتَانَ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ)

بعد أن ينتهي ما يكون في الموقف لا يدخل أهل الجنة الجنة إلا بعد الشفاعة الثانية وكلتا الشفاعتين من المقام المحمود، الناس كلهم لما يكونون في العرصات، الموقف ينتظرون الحساب ثم يكون الحساب والكتاب، ثم ينصر أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار.

(وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ)

الشفاعة الأولى والثانية من خصائص النبي ﷺ وكلتا الشفاعتين من المقام المحمود.

أما الشفاعة الثالثة: (وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَن لاَّ يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَن يَخْرُجَ مِنْهَا)

هذه الشفاعة ثابتة بأدلة كثيرة وعليها إجماع أهل السنة.

وهذه الشفاعة هي التي خالف فيها الخوارج والمعتزلة، الخوارج والمعتزلة خلافهم ليس في الشفاعتين الأوليين، ولكنهم يخالفون في هذه الشفاعة؛ لأنهم يرون أن أهل النار الذين دخلوا النار لا يستحقون الجنة، ويقولون: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] ، مع أن هذا في الكفار، يرون أن الذي دخل النار هذا يبقى خالدًا مخلدًا في النار حتى ولو كان من أهل الكبائر من المسلمين؛ لأنهم يكفرونهم، لذلك أنكروا الأحاديث التي في الشفاعة.

(وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغِيرِ شَفَاعَةٍ)

إذن هذه شفاعة الصراط.

منها شفاعة النبي ﷺ في عمه أبي طالب، وهذه الشفاعة هي الشفاعة الوحيدة لكافر ولكنها ليست لأن يدخل الجنة، هي فقط لأن يخف عذابه؛ لما كانت من مكانته ومكانه من النبي ﷺ.

أيضًا يشفع في بعض من يستحق النار ألا يدخلها، يشفع في بعض من دخلها أن يخرج منها، أيضًا شفاعته في أهل الطاعة المستحقين للثواب أن يزيد في درجتهم.

(وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغِيرِ شَفَاعَةٍ بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ)

أما النار سبق قلنا: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾[ق: ٣٠]، وتستمر في هل من مزيد، حتى كما ورد في الحديث: «فيضع الله قدمه في النار، فتقول: قط قط فينزوي طرفاها» فيتلاقى طرفاها وينتهي ما فيها من الفضل، وكما في الحديث: «قط قط» يعني حسبي حسبي.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالآثَارِة مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورِة عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

يعني مثل هذه المسائل يبحث عنها في كتب الفلاسفة؛ لأن في كتبهم وخاصةً الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام، في كتبهم من ذلك الشيء الكثير وكله تدليس تلبيس، يستخدمون المصطلحات الشرعية وهم يرمون إلى غيرها؛ لذلك يقول شيخ الإسلام: (وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالآثَارِة مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورِة عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ) ونحن لا نحتاج إلى كتاب غير القرآن والسنة في تفاصيل هذه الأمور.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

إلى هنا كان حديثه عن الركن الخامس، وهو الإيمان باليوم الآخر، الآن بدأ في الركن الأخير حسب ترتيب حديث جبريل، وهو الإيمان بالقدر خيره وشره.

طبعًا هذا يكرره شيخ الإسلام، الفرقة الناجية والفرقة المنصورة وأهل السنة والجماعة؛ ليبين لنا أن هناك تلازمًا بين النجاة وبين السنة، وأن الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة ليس غيرهم، يؤمنون أيضًا بالقدر خيره وشره، بالقدر أي بما قدره الله ﷻ وقضاه، والذي قدره الله ﷻ وقضاه على العبد فيه ما يؤلمه ويتألم منه، وفيه ما يتلذذ به، فيه ما يسبب اللذة وفيه ما يسبب الألم، ما يسبب الألم هو شر، خيره وشره.

ولكن إطلاق الشر عليه بالنسبة إلى المخلوق وإلا فالله ﷻ الشر ليس إليه، ليس في أفعاله ولا في صفاته ولا في أسمائه شر؛ لأن الله ﷻ خلقه لحكم عظيمة لا نعرفها.

مثلًا إذا لدغت الحية إنسانًا هذا بالنسبة له ألم، أليس كذلك؟

بالنسبة له شر، ولكن الحكم التي في الحية والتي لأجلها خلقها الله ﷻ لا نعرف عنها، الشر هذا بالنسبة للمخلوق، ولكن لا ينسب الشر إلى الله ﷻ، والشر المخلوق يضاف إلى الله ﷻ بإحدى ثلاث طرق، ولا يضاف إليه مجردًا عن الخير قط إنما يذكر على أحد وجوه ثلاثة؛ إما مع إضافته إلى المخلوق، كما في قوله: ﴿**مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾[**الفلق: ٢**]، الشر فيما خلق وليس؟ ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾[**الفلق: ٢**]، وإما مع حذف الفاعل كقول الجن: ﴿**وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا**﴾[**الجن: ١٠**]، لم يقولوا: أشر أراده الله ﷻ، أريد، وإما أن يدخل أو يدخله في العموم: ﴿**خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾[**الأنعام: ١٠٢**]، ومن ذلك ما يكون شرًا.

الطالب:...

الشيخ: مع حذف الفاعل، مع حذف الفاعل، أشر أريد.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَينِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

إذا كان كل درجة تتضمين شيئين ا لمراتب كم تكون؟

أربعة، جعلها شيخ الإسلام درجتين؛ لأن كل درجتين هي ألصق ببعض، الدرجتان الأوليان ثم الدرجتان الأخريان وإلا هي أربع درجات.

(فَالدَّرَجَةُ الأُولَى:

الإِيمَانُ بِأَنَّاللهَ تَعَالَى عَلِيمٌ بِالْخَلْقِ، وَهُمْ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلاً وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِم مِّنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ)

هذه المرتبة الأولى، المرتبة الأولى هي مرتبة العلم، وهي أن تثبت وتؤمن وتعتقد أن الله ﷻ علمه شامل ومحيط كما ذكرنا سابقًا؛ العلم يتعلق بالموجود والمعدوم.

(ثُمَّ كَتَبَ اللهُ تعالى فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الخلائق)

هذه المرتبة الثانية؛ كتاب، علم وكتب ما علمه.

(فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ)

طبعًا هذا حديث، هذا اقتباس من حديث.

(فقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟)

أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب. هذه جملة واحدة، وليس أول ما خلق الله القلم، هذه جملة ثم قال: اكتب. هذه جملة، لا، ليس هذا، أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب. هذه جملة واحدة، وليس فيه بيان أن القلم هو أول المخلوقات بل فيه بيان أول ما كُتب، وفرق بين الأمرين، فرق بين إثبات أول المخلوقات وبين بيان أول المكتوبات ما الذي أمر القلم، ما الذي أمر بكتابته أولًا.

(فقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى) أول أمر بيان إثبات أول أمر أُمر به القلم.

(قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُن لِّيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُن لِّيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلاَمُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ؛ كَمَا قَالَ سبحانه تَعَالَى: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ**﴾[**الحج: ٧٠**])

هذا كله اقتباس من الحديث، بنص الحديث.

(كَمَا قَالَ سبحانه تَعَالَى: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾[**الحج: ٧٠**])

إن ذلك في كتاب: أي مكتوب في كتاب، إذن فيه علم: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ**﴾ ألم تعلم، مرتبة العلم، ثم مرتبة الكتابة: ﴿**إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ**﴾.

(وَقَالَ: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾[**الحديد: ٢٢**])

من قبل أن نخلقها.

(وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ)

هذه الدرجة تضمنت مرتبتين من مراتب الإيمان بالقدر:

المرتبة الأولى: إثبات علم الله ﷻ، علم الله عز الشامل المحيط.

والمرتبة الثانية: إثبات كتابة الله ﷻ لمقادير الأشياء كون كونها.

وهذا ثبت في كثيرة من الأحاديث، الله ﷻ كتب مقادير الخلائق، كما في حديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم مرفوعًا عن النبي ﷺ أنه قال: «**قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**».

إذن كانت هناك خلائق منها الماء ومنها العرش، هناك خلاف في أول المخلوقات هل هو القلم أو العرش، وهذا نص على أن العرش قبل القلم، وفي البخاري أيضًا عن عمران بن حصين.

هذا الحديث ألف فيه شيخ الإسلام رسالةً مستقلةً حول هذا الحديث: «**كان الله ولم يكن شيئًا قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض** » في رواية: «**ثم خلق السموات والأرض**».

(وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ وتعالى يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً: فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ. وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ)

إذن كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، وهذا كان قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما سبق في الحديث.

(وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ وَنَحْوَ ذَلِكَ)

التقدير الأول: الذي هو في اللوح المحفوظ هذا قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وهذا التقدير لم يظهر للملائكة، الله ﷻ كتبه ولم يظهر للملائكة، أما التقدير الثاني فالملك هو الذي يكتبه، الملك هوا لذي يكتبه.

(فَهَذَا القدر قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُوهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ)

هو يقول شيخ الإسلام قيل؛ لأن القائلين به بعض المبتدعة، وهذا المسألة لا يذكرونها في مسألة القدر، يذكرونها في مسألة البداءة، ومسألة البداءة فيها إنكار العلم، ولكن القدرية الذين ينكرون مرتبة العلم والكتابة الآن أكثر ما يذكره كتاب الفرق لا يوجد هنا، والله أعلم.

إذن القدرية الأوائل، القدرية الغلاة كان إمامهم في ذلك الوقت معبد الجهني، وهذا الذي حدث عنه في أول حديث في صحيح مسلم، فيه قصة هذا معبد؛ **أن أناسًا يتقفرون العلم يقولون: الأمر أنف**، لما جاءوا إلى ابن عمر ﷺ واكتنفه هؤلاء التابعيان وذكرا له قصته، هو مبعد الجهني، ذكر أول ما ذكره ابن عمر بعد ما سمع القصة قال: إذا **لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء**.

هكذا ينبغي أن يكون موقفنا من أهل البدع وخاصةً الذين مواقفهم غليظة، ثم ذكر الحديث حديث جبريل روايةً عن والده عمر بن الخطاب ﷺ، هذا الحديث حديث جبريل من أفراد مسلم في هذه القصة،

الإمام مسلم انفرد به بهذه القصة من رواية ابن عمر عن والده، وهو متفق عليه من رواية أبي هريرة أخرجه البخاري ومسلم، ومن أفراد مسلم من رواية ابن عمر عن والده بهذه القصة.

(وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ:

فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلاَ سُكُونٍ؛ إلاَّ بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وتعالى، لاَ يَكُونُ فِي مُلْكِهِ إلا مَا يُرِيدُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وتعالى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ)

هذه الدرجة الثانية هنا. وهي الدرجة الثالثة، وهي درجة المشيئة.

وخلاصتها: أننا نعتقد أن كل ما كان في الكون فهو بمشيئة الله الكونية، مشيئة الله الكونية نافذة وشاملة وعامة لجميع الموجودات، ليس هناك شيء خارج عن مشيئة الله الكونية، وهذه المشيئة هي كونية، أما الإرادة تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية وهي المشيئة، وإرادة شرعية، سأشير إليها.

إذن لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات ومن المعدومات، ليس هناك شيء خارج عن مشيئته وعن إرادته الكونية، بالنسبة للمشيئة ما يحتاج أن تقيده بأنها كونية، المشيئة لا تكون إلا كونية، مجرد ما تقول: مشيئة، فهي كونية، أما الإرادة فلا بد أن تقيدها؛ لأنها تنقسم إلى قسمين، تقول: الإرادة الكونية.

(فمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ إلاَّ اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ وتعالى)

هذه **المرتبة الأخيرة** مرتبة الخلق.

(لا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ. وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَمَرَ الله)

إذن انتهت المراتب الأربعة:

المرتبة الأولى: إثبات العلم الشامل المحيط، أن الله ﷻ علم كل شيء وعلمه شامل محيط.

المرتبة الثانية: كتب مقادير الخلائق حسب ما علمه.

المرتبة الثالثة: شاء أن تكون هذه المخلوقات حسب ما علم كتب.

المرتبة الأخيرة: حسب ما علم وكتب وشاء خلق هذه المخلوقات.

إذن كل مخلوق فهو مخلوق لله ﷻ، ليس هناك أحد شاركه في خلق شيء من المخلوقات، واضح؟

المرتبتان الأوليان ذكر شيخ الإسلام أن منكرو هاتين المرتبتين اليوم قليل.

المرتبتان الأخيرتان هناك من ينكر هاتين المرتبتين أو ينكر شيئًا من هاتين المرتبتين وهم المعتزلة، المعتزلة يرون أن مشيئة الله لا تشمل أفعال العباد، مشيئة الله لا تشمل أفعال العباد وأن أفعال العباد هي بمشيئة الإنسان وأن المرتبة الأخيرة وهي مرتبة الخلق لا تشمل أفعال العباد وأن أفعال العباد مخلوقة للإنسان نفسه، وبالتالي هم مجوس هذه الأمة، عندهم شرك في الربوبية.

(وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَمَرَ الله الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهُ الْكُفْرَ، وَلاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ)

أشار شيخ الإسلام هنا إلى مسألة مهمة جدًا، هذه المسألة فصل فيها «التدمرية»، التدمرية الجزء الأول في الأسماء والصفات، الجزء الأخير هذه المسألة الجمع بين الشرع والقدر، التدمرية اسمها «تحقيق إثبات الأسماء والصفات والجمع بين الشرع والقدر».

الله ﷻ هو الذي علم وهو الذي كتب وهو الذي شاء وهو الذي خلق، هل معنى هذا أن كل ما يكون في الكون محبوب له؟ هل هذا معناه؟

لا، أشار شيخ الإسلام هنا إلى أن الإرادة تنقسم إلى قسمين، المشيئة كما قلت قسم واحد، الإرادة تنقسم إلى قسمين، هناك مرادات هي محبوبة لله عز يأمر بها وهناك مرادات ينهى عنها ولكنها لا تخرج عن مشيئته الكونية، الله ﷻ هو الذي قدر، وهو الذي كتب، وهو الذي شاء، وهو الذي خلق.

(وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ)

أهل البدع هنا فريقان:

فريق وكلهم ضلالهم في الإرادة، كلهم يرون أن الإرادة كونية، يرون أن الإرادة نوع واحد، وأن الإرادة تستلزم المحبة، هكذا يرون.

أهل السنة يرون أن الإرادة تنقسم إلى قسمين:

١) إرادة شرعية.

٢) وإرادة كونية.

الإرادة الشرعية لا تتخلف.

الإرادة الكونية لا تستلزم المحبة ،وأن الإرادة الشرعية تستلزم المحبة، الإرادة الكونية كما قلت لا تتخلف والشرعية قد تتخلف.

هؤلاء يرون أن الإرادة نوع واحد وهي تستلزم المحبة، ثم افترقوا فرقتين:

الفرقة الأولى: هم الجهمية ومعهم الصوفية، قالوا: لا يكون في كون الله ﷻ إلا ما يحب، وبالتالي كل ما يحصل فهو محبوب لله ﷻ، وعلى هذا وقعوا في الانحلال، كما ذكرت لكم أحدهم يقول: أصبحت منفعلًا لما يختاره مني، فعلي كله طاعات، يقول: أنا منفعل ليس مني فعل كل ما يكون مني فعل.

الفرقة الثانية: هم المعتزلة، قالوا: بما أن في الكون وما يكون من الإنسان بعضها قبائح لا يجوز أن ننسبها إلى الله ﷻ، وإذا قلنا أنها تشملها إرادة الله عز، هذا يستلزم نسبة هذه القبائح إلى الله ﷻ، وبالتالي نقول: أن الله ﷻ ليس له دخل في هذ المخلوقات وليس له دخل في هذه المرادات، ليس داخلةً أصلًا في مراداته وفي مشيئته، الإنسان هو حر في مشيته وهو الذي خلقها وهو الذي شاءها، واضح؟

لماذا؟

لأن إذا قلنا أن مشيئته عامة تكون هذه القبائح قد شاءها.

نحن نقول: الإرادة تنقسم إلى قسمين، مشيئة كونية وشرعية، الله ﷻ ميز وفرق ووضح ما يريده ويحبه وما لا يريده وما لا يحبه.

وكما قال جل وعلا: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[البلد: ١٠].

وضح هذا وهذا، وأعطى الإنسان القدرة التي بها يتمكن من الفعل والإرادة التي بها يريد الفعل والعلم الذي به يميز بين الحق والباطل، ثم إن أراد هذا مكنه منه وإن أراد هذا مكنه منه، واضح؟

بما أنه يريده يريد هذا بمحض إرادته بمشيئته وبقدرته فهو محاسب، إذا كان عاجزًا لا يحاسب، إذا كان مسلوب الإرادة مجنونًا لا يحاسب، واضح؟

يحاسب إذا كان مريدًا عاقلًا وقديرًا، والإرادة كما قلنا تنقسم إلى قسمين، الله ﷻ لا يرضى عن الكفر ويرضى عن عما يريده ويحبه كما يقول شيخ الإسلام هنا:

(وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ) وهم العادلون، (وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهُ الْكُفْرَ، وَلاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ) .

لماذا أنزل الرسل؟ وأنزل الكتب؟

أرسل الرسل وأنزل الكتب هذا كله لهدايتك، ونحن في النهاية مكلفون، اختبار وامتحان، أليس كذلك؟

فمن كانت عنده قدرة وإرادة وعلم مع ذلك اختار الضلال يحاسب عليه، واضح؟

هم قالوا الإرادة واحدة لأجل هذا لضلال، بعضهم قال: جميع المرادات محبوبة لله ﷻ، بعضهم قال: بعض المرادات ليست مرادات له أصلًا، بعض المخلوقات ليست مرادات له أصلًا، كل هذا الضلال من ضلالهم في الإرادة.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللهُ خالق أَفْعَالَهُم.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

العباد فاعلون حقيقةً، هذا رد على الجبرية، الجبرية يرون أن العباد ليس لهم فعل، سبق أن ذكرنا هذا، والله خالق أفعالهم، هذا رد على القدرية، الجبرية يرون أن الفعل والخلق هذا كله لمن؟

لله ﷻ، الخلق والفعل لله عز عند الجبرية، والإنسان ليس له فعل، والقدرية يقولون: الفعل والخلق للإنسان، وأهل السنة يقولون: الخلق لله ﷻ، لماذا؟

لأن هذا الفعل كان بالقدرة الإرادة اللتين هي مخلوقة لله ﷻ، الخلق له ولكن الفعل لمن؟ للعبد بمحض إرادته ومشيئته أفعاله، واضح؟

إذن أهل السنة يرون الفعل أفعال الإنسان تنسب إلى الله ﷻ خلقًا وإلى الإنسان فعلًا.

بقي من الفرق المعروفة ذكرنا الجبرية وذكرنا المعتزلة، بقي من الفرق المعروفة **الأشاعرة**:

الأشاعرة قالوا: الفعل لله ﷻ، والخلق لله ﷻ، إلى هنا هم مع من؟ مع الجبرية، أليس كذلك؟ الجبرية يقولون: أفعال الإنسان تنسب إلى الله ﷻ وفعله، والأشاعرة يقولون: أفعال الإنسان تنسب إلى الله ﷻ خلقًا وفعلًا، إلى هنا هم مع من؟

مع الجبرية.

قالوا: ولكن هناك شيء ينسب إلى الإنسان وهو الكسب، وهو الكسب.

قلنا: ما هو هذا الكسب؟

هذا الكسب عندهم هم مختلفون في تعريفه، ذكروا أكثر من اثني عشر قولًا في تعريف الكسب.

والخلاصة: أنهم يرون أن الإنسان فعله لله ﷻ كما أن الخلق لله ﷻ، هو الذي خلق فعله وهو الذي فعله والإنسان محل الفعل، الإنسان ما هو إلا محل الفعل، كما يقولون بالمثال يتضح المقال، إذا كان بيدي سكين، وأذبح، فالذي يرى السكين وأنا أقطع به الورقة، فالقطع هذا ينسب إلى ماذا؟ إلى السكين،

السكين يقطع مع أن السكين ليس له دخل أن الذي أحركه، أليس كذلك؟ إذن السكين هنا محل للفعل ليس له من الفعل شيء، واضح؟ الإنسان هكذا، هو محل الفعل والفعل لله ﷻ والخلق له.

وبالتالي هذا المذهب كما ذكرت أظن أمس أو قبل أمس، هم يسمونه جبرًا متوسطًا، والصحيح أنه جبر؟ لم يترك شيئًا للإنسان، ألغوا القدرة وألغوا المشيئة، والله ﷻ أثبت المشيئة للخلق، وأثبتها له في آية واحدة: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[الإنسان: ٣٠]، في آية واحدة.

إذن هناك مشيئة لنا وهناك مشيئة لله ﷻ، إثبات المشيئة لنا فيه رد على الجبرية، وإثبات مشيئته سبحانه رد على القدرية؛ لأن القدرية يرون أن أفعالنا لا تدخل تحت مشيئة الله ﷻ؛ لأن في هذه الآية بيان أن لنا مشيئة ولكن لا تخرج عن مشيئة الله ﷻ، مشيئتنا لا تخرج عن مشيئة الله ﷻ.

إذن العباد فاعلون حقيقةً، هذا رد على من؟

على الجبرية ومعهم الأشاعرة.

(وَاللهُ خالق أفْعَالَهُم)

هذا رد على القدرية.

بقي من الفرق المعروفة، من بقي؟

ذكرناهم الصوفية الجبرية **الماتريدية**:

الماتريدية ما ذكرنا مذهبهم، كثير من الناس يخلطون بين مذهب الأشاعرة وبين مذهب الماتريدية في القدر، الماتريدية الأوائل على مذهب أهل السنة، لا يختلفون مع أهل السنة في القدر أبدًا، المتأخرون من الماتريدية وخاصةً بعد صدر الشريعة أيضًا في هذه المسألة، عندهم نظرية جديدة أو اعتقاد جديد الآن ينسب إلى الماتريدية كلهم، هذا خطأ.

وهذا الاعتقاد هم: يقولون بخلق الإرادة الجزئية، بخلق الإرادة الجزئية، الإنسان متصف بالإرادة، أليس كذلك؟ بهذه الإرادة يريد، الآن بهذه الإرادة أخذت هذا، أليس كذلك؟

ولكن لما أخذت هذا هذا تطبيق للإرادة صفة الإرادة، لما أتكلم هذا تطبيق لصفة الإرادة، هذا التطبيق يسمونه الإرادة الجزئية، ماذا يسمونه؟ الإرادة الجزئية، ويقولون: أن الإرادة الجزئية مخلوقة

للإنسان، وبالتالي يكون مذهبهم أسوأ من مذهب المعتزلة، في أحسن الأحوال مثلهم؛ لأن الإرادة الجزئية هي بها الأعمال، جميع الأعمال بها، أليس كذلك؟

تتكلم، تمشي، كذا، كلها بالإرادة الجزئية، وبالتالي أنت جعلت أعمال الإنسان كلها مخلوقةً لله، لذلك أحدهم أحد مشايخ الإسلام عندهم من المتأخرين من الماتريدية له كتاب –أنا دائمًا أنساه– له كتاب في أربع مجلدات موقف العلم والعقل من الإيمان، من متأخري مشايخ الإسلام المفتي عندهم كان يسمى شيخ الإسلام، له كتاب في القدر، في هذا الكتاب يثبت –طبعًا هذا ماتريدي– في هذا الكتاب يرد على أصحابه، هذا الماتريدية، ويقول لهم: مذهبنا هنا أسوأ من مذهب الأشاعرة، وهذا المذهب ليس عند القدماء، القدماء على مذهب أهل السنة، القدماء من الماتريدية، كثير من الناس هنا يخلط بين المذهبين ويذكر الماتريدية مع الأشاعرة فيظلمهم، وكما قلت المتأخرون لهم مذهب والمتقدمون لهم مذهب.

الطالب:...

الشيخ: مذهب واحد.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ، وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ.

وِلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

إذن هذه الأفعال لمن؟ للعبد.

وعلى القدرة والإرادة يكون الحساب، إذا كان مسلوب القدرة عاجزًا لا يحاسب لا يؤاخذ؛ ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾[البقرة: ٢٨٦]، وإذا كان مسلوب الإرادة مجنون، هذا لا يحاسب.

(وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَقُدْرَتَهُمْ وَإِرَادَتَهُمْ) هو خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، إذن نحن لما نقول: إن الله ﷻ هو الذي خلق فعل العبد، معناه أن الله ﷻ خلق ما به يكون الفعل، واضح؟ خلق ما به يكون الفعل.

(كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ**﴾[التكوير: ٢٨]، ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[التكوير: ٢٩])

هنا أثبت مشيئة الإنسان وأثبت مشيئة الله ﷻ، ﴿**لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ**﴾ مشيئة الإنسان، ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ**﴾ أيضًا مشيئة الإنسان، ﴿**إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ في نفس الآية رد على الطائفتين؛ على الجبرية وعلى القدرية.

(وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ السلف مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ)

طبعًا سماهم السلف ولا النبي ﷺ؟ وهل فيه سلف؟

هنا فائدة جميلة، بالأصل سماهم السلف، وضرب عليه المؤلف كذا بالأصل كان بالأصل سماهم النبي وضرب عليه المؤلف فجعل مكانها ما أثبتناه، إذا قلنا: سماهم النبي ﷺ، هذا يدل على أن شيخ الإسلام يصحح ما ورد في هذا الباب، مع أنه لا يصح شيء مما ورد في هذا الباب مرفوعًا، ولكنه يصح عن الصحابة أو من بعدهم من السلف، فيصح ما ورد في نسخكم: سماهم السلف، ولا يصح أن النبي

ﷺ؛ لأن الأحاديث الواردة في هذا ضعيفة كلها، لم يثبت في الفرق الأحاديث، التي وردت في الفرق لا يثبت منها باستثناء ما ورد في الخوارج.

(مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ)

هم فعلًا مجوس هذه الأمة؛ لأن المجوس لهم خالقان، خالق للشر وخالق للخير، وعندهم المعتزلة عندهم أيضًا خالقان، خالق الذي هو الله ﷻ، وخالق الذي هو الإنسان الذي له إرادة.

(وَيَغْلُو فِيهَا قَومٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ، حَتَّى سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ)

وهم الجبرية، الجبرية يغالون في إثبات القدر حتى يلغو قدرة الإنسان.

(وَيُخرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حُكْمَهَا وَمَصَالِحَهَا)

نعم، وهؤلاء من؟ الأشاعرة، ينفون الحكمة والتعليل من أفعال الله ﷻ، أصل المذهب للجبرية، الجبرية ما يقولون، انتبهوا يبدو أن اهتمام بعضنا بدأ، الجبرية لما يقولون: ليس للعبد شيء من الأفعال مع ذلك الله ﷻ يعتبره فاعلًا وبالتالي قد يعذبه، هنا يسأل لماذا الله ﷻ هو الذي فعل وهو الذي يعذب؟ يليق بحكمة الله ﷻ؟

قالوا: أصلًا أفعال الله ﷻ غير معللة، الحكمة هذه يسمونها غرضًا، أفعال الله ﷻ ليست معللةً، لماذا هو الذي خلق وهو الذي فعل ثم عذب الإنسان؟

قالوا: أفعاله ليست معللةً، جعلوه نسبوا إليه هذه القبائح بهذا الشكل، وهؤلاء هم الجبرية، ولا يمكنهم إلا أن يقولوا هكذا، وإلا كيف هذه الأفعال ليست للإنسان مع ذلك يعذب عليها، هذا الإنسان يدخله الله ﷻ الجنة بفعل من أفعاله؟ وهذا يدخله النار بفعل من أفعاله؟ ليش؟

قالوا: أفعال الله غير معللة وغي مبنية على الحكمة، في هذا الباب المعتزلة أحسنوا ولذلك حتى في أصول الفقه كلامهم في الأصول أقعد وأقرب إلى الحق من الجبرية، ومن الجبرية كما رأينا هم الأشاعرة يعني لجئوا إلى البدع.

يقول شيخ الإسلام هنا: (وَيَغْلُو فِيهَا قَومٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ)

من أهل الإثبات أي أهل إثبات القدر.

(حَتَّى سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ وَيُخرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حُكْمَهَا وَمَصَالِحَهَا)

وكما قلت هم الجبرية ومعهم الأشاعرة، ودخلوا هذه لجئوا إلى هذه البدع نفي الحكمة حتى يتخلصوا من نسبة الظلم إلى الله ﷻ بعد ما ذهبوا إلى أن الفعل لله ﷻ والخلق له، وأن العبد يعذب على فعل لله ﷻ.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ؛ بَلِ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي آيَةِ القصاص: ﴿**فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[**البقرة:١٧٨**] وَقَالَ: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[**الحجرات:٩**]، ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[**الحجرات:١٠**] وَلاَ يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمِ الإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلاَ يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ؛ كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ؛ فِي مثل قَوْلِهِ: ﴿**فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ**﴾[**النساء:٩٢**]، وَقَدْ لاَ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾[**الأنفال:٢**]، وَقَوْلُهُ ﷺ: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نَهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**» وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلاَ يُعْطَى الاسْمَ الْمُطْلَقَ، وَلاَ يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد:

من أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل، بعد أن تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عن أركان الإيمان وخاصةً الركن الأول والخامس والأخير، تحدث عن تلك الأركان، لم يتحدث عن الإيمان بالرسل والكتب والملائكة، وسيتحدث عن الكرامات وهي تتعلق بالإيمان بالرسل؛ لأن المسائل التي تتعلق بتلك الأصول الإيمان بالكتب والرسل والملائكة ليس فيها كبير خلاف.

بعد هذا الآن بدأ يذكر بعض المسائل التي يذكرها أهل السنة والجماعة من باب أنهم يتميزون بهذه المسائل عن غيرهم، وأول مسألة فيها ما هو الإيمان؟ الإيمان بكذا، الإيمان بكذا، ما هو الإيمان؟

ذكر عن الإيمان أصله وبماذا يحصل والحكم على المعين ومتى يسلب الإيمان ومتى يطلق عليه اسم المؤمن ومتى يعطى الاسم كاملًا، كامل الاسم، ومتى يعطى أدناه، وغير ذلك من مسائل الإيمان.

يقول: (وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ)

هذا تعريفه؛ الإيمان لغةً التصديق والإقرار، التصديق والإقرار ليس التصديق فقط، ذكر شيخ الإسلام أن الإيمان ليس مرادفًا لأمور كثيرة، ذكرها، هذه الأمور لفظية ومعنوية، إذن لغة الإيمان التصديق والإقرار، واصطلاحًا الإيمان قول وعمل، هذا هو التعريف.

ثم فَصَّل، فصل الأقوال وفصل الأعمال:

(قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ)

القلب له قول وله عمل.

اللسان له قول وله عمل.

الجوارح لها أعمال.

قول القلب هو تصديقه وإيقانه، وهذه بداية الإيمان؛ أول ما يكون في الإيمان قول القلب، وقول القلب هو تصديقه وإيقانه، معرفته، وكل ما بعده يترتب على هذا.

أما أعمال القلوب فهي التي تترتب على هذا التصديق، إذن القلب له قول وله عمل، الأعمال تترتب على قوله وقوله هو التصديق، اللسان له قول أيضًا وله، قول اللسان هو الإقرار بالشهادتين، الإقرار بالشهادتين أطلق عليه أنه قول اللسان.

أما عمل اللسان فهي جميع الأعمال التي بعد الإقرار بالشهادتين، الذكر والتلاوة والتسبيح والتحميد كلها أعمال اللسان، بقي إيش؟ عمل الجوارح، هذا تعريف الثنائي الإيمان قول وعمل بهذا التفصيل، وبعضهم يقولون: الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وقول باللسان عمل بالأركان.

أما إذا قلنا: قول وعمل فبهذا التفصيل؛ أولها تصديق القلب وإقراره، ثم قول اللسان، الإقرار بالشهادتين، إذا كان الشخص عنده تصديق وعنده عمل ولم يقر بالشهادتين مع قدرته على الإقرار ليس مؤمنًا، إذا كان مصدقًا ومقرًا بالشهادتين ولكنه لا يعمل ليس مؤمنًا، إذا كان يعمل ويقر ولكنه ليس مصدقًا ليس مؤمنًا، كل هذه الأمور الثلاثة لا بد بها، واضح؟

إذن أول شيء قال: تصديق القلب، ثم عمل اللسان، وعمل القلب ما ينبني على تصديقه ثم أعمال اللسان وأعمال الجوارح، وذكرنا أقوال ومواقف المتكلمين في تعريف الإيمان ذكرناها في وسطية أهل السنة.

من مسائل الإيمان أو المسائل التي تتعلق بالإيمان أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذا كما ذكر الإمام البخاري وأبو عبيد وغيرهم عليه الإجماع بين أهل السنة والجماعة، كلهم مجمعون عليه، وقد ذكر الله ﷻ في أربع آيات أو أكثر، على ما أذكر، نص على الزيادة، من ذلك قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[الحجرات: ١٥]،

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[الأنفال: ٢]،

﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[الأنفال: ٧٤]،

﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾[الفتح: ٤]،

﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[التوبة: ١٢٤].

في هذه الأمثلة النص على الزيادة والزيادة ترجع إلى أصل الإيمان وليس كما يقول الماتريدية الزيادة في المؤمن به، الزيادة في أصل الإيمان، والإيمان يتفاوت، هم يقولون: بما أن الإيمان لغةً التصديق وبالتالي سيكون شرعًا أيضًا التصديق، يقولون: بما أن الإيمان لغةً التصديق فالإيمان شرعًا أيضًا التصديق.

نحن نقول: الإيمان لغةً ليس هو التصديق، من قال لكم أن الإيمان مرادف للتصديق؟

لا، هناك فرق بين الإيمان والتصديق حتى في اللغة.

هذا أولًا.

ثانيًا: التعريف الشرعي مجاله الشرع، التعريف الشرعي يؤخذ من الكتاب والسنة لا يؤخذ من اللغويين، الذي يؤخذ من اللغويين هو التعريف اللغوي، وعندكم خطأ حتى في التعريف اللغوي، أما التعريف الشرعي يؤخذ من الكتاب والسنة، هم يقولون: بما أن الإيمان في اللغة تصديق كذلك هو في الشرع وبما أنه شرعًا أيضًا التصديق فقد لا يجد، كل هذه الأخطاء مرتبة ومبنية على التعريف اللغوي بالتالي أطال شيخ الإسلام في بيان الفرق بين الإيمان والتصديق لغةً، في كتاب الإيمان أطال في ذلك، ذكر الفروق اللغوية والفروق المعنوية، إذن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وهم مع ذلك من الذي يوافقنا في هذا التعريف؟

الذين يوافقوننا في هذا التعريف الخوارج والمعتزلة، بما أن الإيمان مسمى الإيمان تدخل فيه الأعمال، لذلك من كان عنده نقص في الأعمال كان عنده خلل في الإيمان يخرجونه من الإيمان، يقول شيخ الإسلام: وهم مع ذلك مع إدخالهم للعمل في مسمى الإيمان ومع إدخالهم للقول في مسمى الإيمان ومع قولهم بأن الإيمان مركب من هذه الأمور، مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي. المراد بأهل القبلة هم المسلمون، لماذا يقال عنهم أهل القبلة؟ لأن شعار أهل الإسلام الصلاة، أيضًا بعد تحويل القبلة إلى بيت الله الحرام ليس هناك من يستقبل القبلة غير المسلمين، ولذلك يطلق أهل القبلة على من يدعي الإسلام. في الواقع هل هو مسلم أو لا؟ في الواقع هذا شيء يرجع إلى التكفير، كل من يدعي الإسلام هو من أهل القبلة.

(وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ)

كما يفعله الخوارج.

الخوارج لا يفرقون بين التكفير المطلق والتكفير المعين، كل ما ورد من الأدلة في التكفير عمومًا ينزلونه على معين، وأهل السنة عندهم ضوابط في التكفير، من أهم ضوابطهم الفرق بين التكفير المعين والتكفير المعين، النصوص التي وردت وفيها تكفير بعض من اتصف بهذا وبهذا، تنزليها على معين له

شروط، أن تقوم الحجة عليه، وأن تزول الموانع عنه، وبالتالي لا تنزل النصوص العامة على معين إلا بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع.

ومن أشهر الأدلة في ذلك الذي كان يلقب حمارًا وأوتي إلى النبي ﷺ بعدما تكرر شربه الخمر، والنبي ﷺ قد لعن في الخمر عشرة، وهذا قد تكرر شربه للخمر، ولعنه بعض الصحابة، النبي ﷺ نهاهم، قال: «**لا أعلمه إلا أنه يحب الله ورسوله**» مع أنه تكرر شربه للخمر، إذن اللعنة هذه التي لعن في الخمر عشرة أولهم شاربها لم تنزل على هذا المعين لوجود موانع، لوجود موانع، وهكذا أهل السنة في مسائل التكفير عندهم دقة.

ومسائل التكفير فيها طرفان:

بعضهم يقول: حتى الأعمال كلها ولو انتفت جميع الأعمال ما عمل شيئًا هو مؤمن، هذا إرجاء، هذا هو الإرجاء.

وبعضهم حتى يتحرج في تكفير الكافر الأصلي.

أهل السنة عندهم وسطية في هذا الباب، وهم يحتاطون جدًا جدًا في التكفير؛ لأن إخراج من يدعي الإسلام إخراجه عن دائرة الإسلام هذا أخطر من الخطأ من جعله مؤمنًا، أخطر بكثير، وهناك أحكام تترتب عليه، ولا يجوز أن يخوض في مثل هذه الأمور غير القضاة والولاة الذين يتحملون مثل هذه الأحكام، وهم المخولون بمثل هذه الأحكام.

إذن لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج، الكبائر عند الخوارج، نحن هكذا نمر على الكبائر على أنها كبائر مع أن الكبائر عند الخوارج قد تكون واجبات، واضح؟

لأن المعروف عند المعتزلة والخوارج لا يلزم أن يكون معروفًا شرعًا، والمنكر عند الخوارج والمعتزلة لا يلزم أن يكون منكرًا شرعًا، فلهم نظرتهم الخاصة في المعروف ونظرتهم الخاصة في المنكر، وعليه يبنون، قد يكون المنكر الذي يكفرون لأجله واجب كما حصل في الحكمين، التحكيم، كان هذا هو الواجب في وقته حقنًا لدماء المسلمين، الآلاف من المسلمين تحقن دماؤهم بهذا، هذا الذي يجب على الحكام في ذلك الوقت، اعتبروه منكرًا وبهذا المنكر كفروا الآلاف من الصحابة، واضح؟

إذن الكبائر التي عند الخوارج قد تكون واجبات وقد تكون مستحبات وقد تكون مباحات، فنحن إذا ادعى أن هذا من الكبائر نقف معه نبدأ نفكر، عندهم أيضًا تحكم في مثل هذه الأمور مثل المتكلمين، يبدأ بالتحكم وينتهي بالتحكم.

الخوارج كما ذكرت أظن قبل اتفقوا على أربعة أمور:

أولًا: التكفير بغير مكفر، جمهورهم يكفرون بالمعاصي بالكبائر، وبعضهم يكفر بالصغائر، المهم تكفير بغير مكفر.

ثانيًا: استحلال دم من يكفرونه.

ثالثًا: تكفير علي وعثمان رضي الله عنهما وتكفير أهل الحكمين وتكفير من رضي بالحكمين وتكفير من لا يكفر أهل الحكمين.

رابعًا: وجوب الخروج على الولاة إذا جاروا، بل هذا الأصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند المعتزلة، هذا الأصل وضع خصوصًا للخروج على الولاة، للتعامل معهم وإلا أي معروف ذلك الذي يدعوا إليه المعتزلة، المعروف شرعًا هو الذي أمر الله ﷻ به، أليس كذلك؟ الذي يكون معروفًا شرعًا، وأعظم المعروف هو التوحيد، والتوحيد عندهم تعطيل.

أيضًا يقول شيخ الإسلام : (بَلِ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي آية القصاص: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ﴾[البقرة:١٧٨])

مع أنه ارتكب القتل، مع ذلك أطلق عليه أنه أخوه.

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الحجرات:٩]

وقع منهم هذه الكبيرة، مع ذلك لم يسلبوا مسمى الإيمان، ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الحجرات:٩] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ بعد كل هذا التقاتل إخوة؛ ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾.

(وَلاَ يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ)

الفاسق الملي هو الفاسق من أهل القبلة أو هو الفاسق من أهل الملة، وهو مرتكب الكبيرة، مرتكب الكبيرة لا يسلبونه الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار، كما تقول المعتزلة وقبلهم الخوارج.

(بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ؛ كما في مثل قَوْلِهِ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾[النساء: ٩٢])

إذا كان يجب عليك أن تحرر رقبةً مؤمنةً ووجدت عبدًا في أدنى مراتب الإيمان، هل تقول: هذا لا يجوز؟ لا، يجوز، ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ يدخل فيه ولو كان في أدنى مراتب الإيمان.

إذن الفاسق يدخل في اسم الإيمان، وقد لا يدخل في الإيمان المطلق، هناك إيمان مطلق وهناك مطلق الإيمان، كما سيشير إليه شيخ الإسلام في آخر الفقرة.

يقول: (فَلاَ يُعْطَى الاسْمَ الْمُطْلَقَ) وهو الإيمان المطلق، وهو الإيمان الكامل، (وَلاَ يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ) وهو أدنى الإيمان، مطلق الشيء هو أدناه، الشيء المطلق هو أكمله.

(وَقَدْ لاَ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال: ٢])

هؤلاء هم الذين إيمانهم كامل، الفاسق هل يدخل في هؤلاء؟ لا، لا يدخل، ولكن هل يدخل هناك في تحرير رقبة مؤمنة؟ يدخل، إذن لا يسلب مطلق الإيمان ولا يعطى الإيمان مطلقًا.

ثم ذكر هذا الحديث: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ» أي مؤمن كامل الإيمان، فالمنفي هنا كمال الإيمان لا جميع الإيمان، بدليل الإجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر، لا يورثون؟ إذن هم ليسوا كفارًا، إذن المنفي هنا كمال الإيمان وليس جميع الإيمان أو وليس مطلق الإيمان، فإذا نفي مطلق الإيمان فهو كافر؛ لأن مطلق الإيمان هو أدنى الإيمان.

«وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نَهْبَةً» نهبةً هي بضم النون، النهبة هي الشيء المنهوب، النهبة هي الشيء المنهوب أي المنهوب قهرًا وجهرًا، «وَلاَ يَنْتَهِبُ نَهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ» أي ذات قدر عظيم، «يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ» ينظرون إليها

لعظم قدرها، نهارًا جهارًا يأتي ويسلب شيئًا له قيمة، طبعًا هناك سرقة وهناك نهبة، «حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» هذا ليس مؤمنًا، ليس مؤمنًا كامل الإيمان وليس كافرًا.

ونقول: هذه الخلاصة هو مؤمن ناقص الإيمان أو نقول: هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق، الاسم المطلق هو الكامل، ولا يسلب مطلق الاسم، مطلق الاسم هو أدنى مسمى الشيء، لا يسلب مطلق الاسم بكبيرته ولا يعطى الاسم المطلق لارتكابه الكبيرة، هذه كله الفاسق الملي.

وهذا الحديث: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ» هذا الحديث دليل على دخول الأعمال في الإيمان ولولا أن ترك هذه الكبائر من مسمى الإيمان، لولا أن ترك هذه الكبائر من مسمى الإيمان لما انتفى اسم الإيمان عن مرتكب شيء منها؛ لأن الاسم لا ينتفي إلا بانتفاء بعض أركان المسمى أو واجباته، والمراد بالنفي هنا كما ذكرنا نفي كماله وليس جميعه أو نفي أدناه.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ :

سَلاَمَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[الحشر: ١٠].

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

هنا ذكر شيخ الإسلام كلامًا جميلًا جدًا في صحابة رسول الله ﷺ، وصحابة رسول الله ﷺ هم أولئك الذين اختارهم الله لصحبه نبيه، ذلك الشرف خصهم الله ﷻ به، ذلك الشرف الذي انتهى بموت نبينا محمد ﷺ.

وقد أثنى الله عليهم في مواضع عديدة منها الآية التي ذكرها شيخ الإسلام في بداية هذه الرسالة: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا * مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح: ٢٩].

في هذه الآيات بيان أن هذا الدين قد ظهر بسببهم، هم الذين كان ظهور الدين بسببهم، وفي هذه الآيات ذكر وتعداد فوائد كثيرة للصحابة، وصحابة رسول الله ﷺ نحن نحبهم لحبنا للنبي ﷺ، وهم يستحقون منا من المحبة ما تليق بمكانتهم.

الذي يتعلق بالصحابة لخصه شيخ الإسلام هنا تلخيصًا جميلًا جدًا في تقريبًا اثني عشر فقرة، أنا أفكر وأميز المسائل هي تقريبًا اثنتا عشر فقرة، وتلخيصه هنا، أنا نسيت أن أنبهكم لو حفظنا هذا الكتاب المختصر، هذا الكتاب لو يُحفظ؛ لأنه إما نص يعني قال الله قال رسوله بنصه أو مأخوذ من النصوص، ففيه فائدة عظيمة، أما ما يتعلق بالصحابة إذا أردتم أن تلخصوا هذا الموضوع فاحفظوا هذا الذي ذكره شيخ الإسلام، لن تجدوا مثل هذا التلخيص بهذا التركيز، كلام جميل جدًا ومترتب ترتيبًا رائعًا.

أول ما ذكر أن من أصول أهل السنة والجماعة، ما زلنا مع الأصول:

(سَلاَمَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ)

سلامتها من ماذا؟

سلامة قلوبهم من الغل والحقد والبغض وسلامة ألسنتهم من الطعن والسب واللعن، لماذا؟

وذلك لفضلهم وسبقهم واختصاصهم بصحبة النبي ﷺ؛ ولما لهم من الفضل على جميع الأمة؛ لأنهم هم الذين تحملوا الشريعة عن النبي ﷺ؛ وهم الذين أوصلوا إلينا هذه الأحاديث وهذا الدين؛ وهم الذين تحملوا ما تحملوا مع النبي ﷺ؛ لأجل هذا الدين؛ وهم الذين جاهدوا مع النبي ﷺ، فلا بد أن تسلم قلوبنا وألسنتنا لأصحاب رسول الله ﷺ.

(كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ) يعني من بعد الصحابة، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ الذين سبقونا بالإيمان كثر على رأسهم الصحابة، وهذا فيه سلامة ألسنتنا؛ لأننا ندعو لهم، ﴿وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الغل هو الحقد الحسد، وهذا من سلامة القلوب، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

هذه الفقرة الأولى:

لا بد من سلامة القلوب وسلامة الألسنة لأصحاب رسول الله ﷺ.

ثانيًا: (وَطَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهُ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ»)

هذه الفقرة الثانية فيها لا بد أن نطيع النبي ﷺ في قوله: «لا تسبوا أصحابي».

هذا الحديث ورد في النزاع الذي حصل بين عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد، وكلاهم جبلان من جبال هذه الأمة، والمخاطب هنا خالد بن الوليد؛ لأن الصحبة متفاوتة، فعبد الرحمن بن عوف صحبته أعظم من صحبة حتى خالد بن الوليد وكلهم تشملهم الصحبة، الصحبة الصحابي على التعريف المختار كل من رأى أو لقي؛ لأنه إذا قلنا رأى يخرج منه، كل من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، مؤمنًا به، الصحبة أصلًا لا تطلق إلا على الملازمة.

مثلًا في هذا المسجد كثير من الناس أعرفهم ولكن الذي يطلق عليه أنه صاحبي قد يكون اثنان أو أكثر؛ لأن الصحبة لا بد فيها من الملازمة، ولكن تعريف الصحابة لم يؤخذ فيه هذا، فكل من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به فهو صحابي، هذا المعنى اللغوي لم يؤخذ به في تعريف الصحابي.

(وَطَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي»)

أصحابي، أي يكفيهم شرفًا أنهم اشتهروا بصحابة رسول الله ﷺ، ولذلك الله ﷻ قدم هذا الفضل على بقية أنواع الفضل لديهم، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[الفتح:٢٩] كونهم مع هذه فضيلة، قدمها الله ﷻ على بقية الأنواع.

«فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهُ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ» أي ولا نصفه، لغة في النصف، تلك الظروف التي أنفق فيها الصحابة لن تتكرر، وبالتالي هذا هو فضلهم، وبالتالي لا يجوز أن يسب الصحابة؛ أحد منهم إطلاقًا، ولا بد أن نطيع النبي ﷺ على هذا الذي أوصانا به.

ثالثًا: (وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسَّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ)

الكتاب والسنة والإجماع كلها جاءت بفضائلهم وبمراتبهم، هذا من حيث الإجمال، الصحابة من حيث الإجمال كلهم عدول، الصحابة من حيث الإجمال كلهم لهم الفضل، كلهم خيار، ولكن لهم مراتب، وهذه المراتب يذكرها شيخ الإسلام يشير إلى بعضها.

(فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ ـ وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ ـ وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْده وَقَاتَلَ. وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ)؛

هذا بعض ما ورد في التفضيل.

(وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ)

طبعًا هذا المراد به تقديم النوع على النوع، وليس تقديم الفرد على الفرد، قد يكون فرد من أولئك الأنصار أفضل من فرد من أفراد المهاجرين ولكن النوع من حيث النوع له فضل على ذلك النوع، فيقدمون المهاجرين على الأنصار.

(وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ ـ وَكَانُوا ثَلاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ ـ: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُم، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»)

«**اعْمَلُوا مَا شِئْتُم**» هذا من باب التكريم، وهذا: اعملوا ما شئتم. فيه بيان لفضل عظيم لهم، لن يأتي منكم اعملوا ما شئتم، هذا من باب التكريم، والأمر يأتي لمعان كثيرة منها هذا ويأتي أيضًا مرادًا به الإهانة

كما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[فصلت:٤٠]، هنا للإهانة، وهنا من باب التكريم.

(وَبِأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، بَلْ قَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَة) .

هذا كله إشارة إلى مراتبهم.

هذه الفقرة الخامسة:

(وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، كَالْعَشَرَةِ، وَكثَابِتِ بْنِ قِيْسِ بنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِم مِّنَ الصَّحَابَةِ)

كثر هم، منهم عبد الله بن سلام، منهم فاطمة رضي الله عنها ومنهم خديجة رضي الله عنها ومنهم الحسن والحسين، كثر، منهم العشرة المبشرون بالجنة.

(وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ).

هكذا كان يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعلى هذا الإجماع، خير هذه الأمة بعد نبينها أبو بكر ثم عمر.

(وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ).

طبعًا في صحيح البخاري عن محمد قال لأبيه علي بن أبي طالب: يا أبتي، من خير الناس بعد الرسول ﷺ؟ في صحيح البخاري، قال: يا بني أو ما تعرف؟! شيء معروف، يخفى على أمثالك؟! قلت: لا، قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر.

وهذا يروى عن علي بن أبي طالب من نحو ثلاثين وجهًا وأنه كان يقوله ويكرره على منبر الكوفة، وكان يقول: لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حتى المفتري.

(وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ.

مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ: وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا. لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ. وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ ـ مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ـ لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ)

الترتيب بينهم في الفضل الترتيب بين الخليفتين عثمان وعلي رضي الله عنهما ليس من المسائل التي يضلل فيها المخالف؛ لأنه هناك خلاف بين أهل السنة، وجمهور على تقديم عثمان على علي رضي الله عنهما.

(لَكِنِ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلاَفَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، ثم عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ –رضي الله عنهم أجمعين– وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلاَفَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ)

طبعًا هذا النص للإمام أحمد، هذا النص للإمام أحمد وأمر بهجرانه ونهى عن مناكحته، طبعًا كأنه رحمه الله يقول: أن هذا بلغ في الضلالة مبلغًا يستحق أن يلحق بأبلد الحيوانات؛ لأن مسألة الخلافة ظاهرة أجمع عليها الصحابة، فالترتيب بينهم في الخلافة هذا الذي يضلل فيها المخالف، أما الترتيب بينهم في الفضل لا يضلل فيها المخالف.

(وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ)

هذه الفقرة السابعة:

ومن أهل بيته ﷺ أزواجه على الصحيح، أزواجه هم من أهل بيته، في قول الله عز وجل في خطاب نساء النبي: ﴿**وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[**الأحزاب: ٣٣**]، هذا الخطاب لمن؟

لأزواج النبي ﷺ، وبالتالي هم داخلون في كونه من أزواجه، أما ما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: خرج رسول الله ﷺ غداةً وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي وأدخله ثم جاء

الحسين فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها معهم، وجاء علي فأدخله ثم قال: «**إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا**» .

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: «**اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا**».

هذا يدل على أن عليًا وفاطمة والحسن والحسين هم كلهم من أهل البيت وهم أخص بذلك من غيرهم، وهم بذلك خصهم النبي ﷺ بالدعاء لهم، وهذا كما أن قوله سبحانه: ﴿**لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ**﴾[التوبة: ١٠٨]، هذه الآية نزلت في إيش؟

نزلت في قباء مع ذلك ذكر النبي ﷺ أن مسجده أيضًا يتناوله، إذن هؤلاء أهل البيت وهؤلاء أهل البيت، ومن أخصهم هؤلاء الذين ذكرهم النبي ﷺ: علي وأولاده وفاطمة، وأزواجه أيضًا من أهل البيت بنص الآية.

(وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»)

الحديث أخرجه مسلم: «**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**» وأهل السنة يحفظون هذه الوصية؛ من كان ذلك النسب الشريف فله علينا حقًا الأول أنه مسلم والثاني أنه من ذلك النسب الشريف، لا بد أن نحفظ وصية رسول الله ﷺ فيهم.

(وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّه ـ وَقَدِ شكى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ؛ للهِ وَلِقَرَابَتِي**» وَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»)

قريش هم أولاد مضر بن كنانة.

(وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ).

هذه فقرة جديدة، الفقرة الثامنة، وأهل البيت يدخل فيه بنو هاشم كلهم، ولد العباس ولد علي ولد الحاتم بن عبد المطلب وسائر بني أبي طالب كلهم من أهل البيت، الفقرة الجديدة هذه تتعلق بأزواج النبي ﷺ.

(وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ: خُصُوصًا خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلاَدِهِ)

عمومًا أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[الأحزاب:٦]، وهم أزواجه في الدنيا وكذلك في الجنة، هذا عمومًا، ثم خص خديجة وعائشة –رضي الله عنهما وأرضاهما– خصهما بالذكر وقال: (خُصُوصًا خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلاَدِهِ).

ذكر لها أربع فضائل:

أولًا: أنها أم أكثر أولاده.

(وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ) هذا **ثانيًا** أول من آمن به.

(وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِه) هذا **ثالثًا**.

(وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ) هذا **رابعًا**.

(وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**»)

اختلفوا في تقديم خديجة أو عائشة أو في التفاضل بينهما، ذكر شيخ الإسلام أن هناك جوانب تقدم لأجلها خديجة وجوانب تقدم لأجلها عائشة، إذا نظرنا إلى فقه رسول الله ﷺ ونقل الأحاديث وفقه النبي ﷺ وخاصةً فيما يتعلق بالنساء، هذا الجانب تفوق عائشة رضي الله عنها في هذا الجانب، وإذا نظرنا إلى مناصرة النبي ﷺ ومعاضدته والوقوف معه في بداية أمره، في هذا الجانب خديجة رضي الله عنها جانبها أثقل.

(وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ)

النواصب هم الخوارج كما ذكرنا الذين يكفرون عليًا لأجل مسألة التحكيم ويكفرون عثمان ﷺ ويكفرون أهل الحكمين وجميع أهل الحكمين وكل من لا يكفر الحكمين، يكفرونهم هم الخوارج.

أما الروافض فهم يقولون: لا ولاء إلا ببراء، محبة علي بن أبي طالب لا يمكن أن تتحقق إلا بالبراءة من عائشة، وهذا خطأ، نحن نحب صحابة رسول الله ﷺ كلهم، نحبهم كلهم.

(وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ)

هذه الفقرة العاشرة:

يمسكون عما شجر بين الصحابة، أما شجر أي عما حصل بينهم من الخلاف، شجر أي حصل، سمي الشجار بذلك لأنه يحصل فيه اشتباك واختلاف كما يكون من التداخل في الأشياء، أصل التشاجر هو التداخل لذلك سميت الشجرة شجرة لتداخل فروعها، ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ما نقحم أنوفنا فيما حصل بين الصحابة، هم بين مفضول وفاضل كلهم في الجنة، لماذا تدخل نفسك فيه؟ وخاصةً هذا مما قد يوغر بعض الصدور على بعض الصحابة، فيمسكون عما شجر بين الصحابة.

(وَيَقُولُونَ...) **هذه إحدى عشر.**

ويقولون:

أولًا: الإمساك عما شجر بينهم.

ثانيًا: الاعتذار عن الآثار المروية في مساوئهم، كيف؟

بهذا التفصيل، (وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ) هذا أولًا، منها ما هو كذب، هذا كثير، هناك رواة معروفون بالكذب، معروفون بأسمائهم، وهذا كان شأنهم ورواياتهم تسربت إلى كثير من كتب التاريخ، كثير منها كذب.

هذا أولًا.

(وَمَنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ).

هذا ثانيًا: منها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، أصل القصة صحيح ولكنه مثل ما حصل في التحكيم، القصة في أثناء القصة وأن أبا موسى لم يرجع إلى، وأنه خجل، وأنه كذا وأن، هذا مقحم في القصة لا يثبت، وهكذا، زيد فيه ونقص وغير عن وجهه.

(وَعامة الصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ).

طبعًا الإمساك عما شجر بين الصحابة هذا الإمساك عام يعم اللفظ والقول وعما يدور في القلب ويعم العمل والكتابة والخطابة والإسمار والإقراء، كل ما كان من قبيل القول أو العمل في جميع التصرفات؛ كلامًا، كتابةً، وعملًا، والأعمال، فإن أهل السنة يمسكون عن الخوض فيه، فيمسكون عن تأليفه وغيره، بعض الناس –سبحان الله– له رواية في عرض ما حصل بين الصحابة، هذا خلاف أهل السنة والجماعة.

(وَعامة الصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ).

هذا ثالثًا، والصحيح منها هم فيه معذورون.

(إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ وَهُم مَّعَ ذَلِكَ) **رابعًا**.

وهم مع ذلك أهل السنة مع ذلك (لاَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ) أبدًا، لا نعتقد العصمة فيه.

(بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ) طبعًا فيما يتعلق بما شجر عن الصحابة وموقفنا منهم ذكر شيخ الإسلام ثلاث صفات:

أولًا: الإمساك عما شجر.

ثانيًا: الاعتذار عن المروي في مساوئهم بوجوه.

ثالثًا هذه الفقرة الأخيرة: ما يقع منهم من ذلك فله مكفرات عديدة، ما وقع منهم فعلًا فلهم مكفرات عديدة لأجلها تكون بفضل الله ﷻ، تكون تلك السوابق سببًا في غفرانهم، ذكر هنا ثلاثة أمور: السوابق، مضاعفة الحسنات، وكثرة مكفراتهم.

(وَلَهُم مِّنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ ـ إِنْ صَدَرَ ـ، حَتَّى إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُم مِّنَ السَّيِّئَاتِ مَا لاَ يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُم مِّنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ. وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ) طبعًا خير الناس قبلي.

(وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّن بَعْدَهُمْ. ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَو غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلاَءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُفَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ فِي الأُمُورِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أخطئوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مغْفُورٌ)

سبحان الله، يعني بهذه الكلمات الجميلة يعتذر شيخ الإسلام عما وقع في الصحابة إن كانوا قد وقع منهم ذنب محقق، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة كيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين، إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطئوا فلهم أجر واحد، هكذا أهل السنة والجماعة يعتذرون للصحابة، وكما قال الله عز: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾[الحج: ٢٤]، هذا من الطيب من القول للصحابة، كلام جميل للاعتذار عن صحابة رسول الله ﷺ.

طبعًا هنا نكتب تلخيص ما سبق، الفقرة هذه يلخص فيها ما سبق: (ثُمَّ إِنَّ الْقَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْفُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ)

ما هي محاسنهم؟

عددها:

(مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَرَسُولِهِ) **أولًا**، واحد.

(وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ) **اثنين**.

(وَالْهِجْرَةِ) **ثلاثة**.

(وَالنُّصْرَةِ) **أربعة**.

(وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ) هذه كلها هذه فضائلهم، ما حصل منهم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل جدًا مغمور في جنب هذه الفضائل العظيمة لهم.

(وَمَن نَّظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خِيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ؛ لاَ كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ).

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

(وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ:

التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتَ الأَوْلِيَاءِ وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِم مِّنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ، كالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

هذه المسألة تتعلق بالإيمان بالرسل، **الكرامات**؛ لأن الكرامة تكون للولي لإيمانه بالرسول ولاتباعه بالرسول، والكرامة هي كاسمها هي تكريم، تكريم لهذا الولي، والكرامة تجتمع مع المعجزة في كونها من الخوارق، من أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء، ومن هم الأولياء؟ الأولياء هم المؤمنون الذين يلتزمون بالدين هم الأولياء، وليس أولئك الدراويش والسحرة الكذابين، ليسوا من الولاية في شيء، كرامات الأولياء أهل السنة يقولون بها.

الفرق بين الكرامة والمعجزة :

أن الكرامة تكون للولي والمعجزة تكون للنبي.

هذا **أولًا**.

ثانيًا: خوارق الكرامة تختلف عن خوارق المعجزة، خوارق الكرامة تكون خارقةً لذلك العصر، وقد لا تكون خارقةً لذلك العصر، أما خوارق المعجزة تكون خارقةً لعادة الثقلين، لا يمكن أحد أن يأتي بذلك لاحقًا وفي أي زمان أبدًا، تكون خارقةً لعادة الثقلين في جميع الأزمان، أما الخوارق في الكرامة فتكون خارقةً لعادة تلك الأزمنة وبعض الأزمنة.

هنا يقول: بكرامات الأنبياء، ثم يقول: من خوارق العادات، ما هي خوارق العادات؟

خوارق العادات عمومًا هي التي خرجت عن السنن الكونية عمومًا، أو خرجت عن السنن المعروفة، وهذا يشترك فيه السحر والطلاسم والمعجزة والكرامات، الآن إذا وجدنا ساحرًا يدخل في

هذا ويخرج، هذا بالنسبة لنا من الخوارق، أليس كذلك؟ ويطير، ولكن الفرق بين السحر والطلاسم والدجل وبين الكرامات والمعجزات أن السحر علم يتعلم، علم يتعلم، من شروطه الكفر بالله ﷻ والشرك؛ لأن الشياطين يعلمونهم ويعيونهم، هذا الذي يطير ترى يكون محمولًا حمله جني، نحن ما نراه، لماذا يعينه؟ يعينه لأنه قد كفر بالله ﷻ، ويختبرونه، بعد الاختبار كأن يدوس على مصحف أو كان كذا أو كذا، يعني بعد الاختبار يعينونه، أما الكرامات فلا يكون للولي فيها أي دخل هو أصلًا ما يدري عنها، وكذلك المعجزات، والمعجزات تكون خارقةً لعادة الجميع، والكرامات قد تكون خارقةً لعادة ذلك الوقت أو بعض الأزمنة.

يقول: في أنواع العلوم والمكاشفات أن ينكشف له ما ليس كذلك لغيره، كقصة عمر ﷺ، يا سارية الجبل. عمر من المدينة يخاطبه هناك في توستر ويقول له: يا سارية الجبل اذهب إلى الجبل، عمر من المسجد، المكاشفة.

(وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ) وهكذا تكون الكرامات.

(كالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ)

أليس هذه من الكرامة؟

في هذه المدة المديدة يبقون سالمين، لا تتغير أجسامهم، هذه كرامة.

(وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)

الإمام البخاري في كتابه في «صحيح البخاري» كتاب عن المعجزات، باب دلائل صدق النبي ﷺ – أظن– ذكر فيه المعجزات والكرامات، مثلًا كرامة أبي بكر ﷺ لما زيد في طعامه، ذكر فيه المعجزات والكرامات، ذكر فيه أكثر من أربعين حديثًا، باب دلائل صدق النبوة في الإسلام أو قريب من هذا.

المخالفون، المخالفون يرون أن المعجزات والكرامات والسحر نوع واحد، كلها خوارق، ولأجل هذا أنكر المعتزلة أنكروا وجود السحر، قالوا: إذا قلنا بوجود السحر تشتبه علينا المعجزة والكرامة مع السحر، بالتالي أنكروا وجود السحر، وعند الأشاعرة هم أثبتوا ولكن الكرامة والمعجزة والسحر عندهم

خوارق من نمط واحد، لم يميزوا بينها، لم يميزوا بين السحر والدجل وغيره وبين الكرامة والمعجزة، ويفرقون بين الكرامة والمعجزة أن المعجزة فيها التحدي مع دعوى النبوة والكرامة ليس فيها دعوى النبوة وليس فيها تحدي، أما نوع الخوارق عندهم كلها نوع واحد، لم يميزوا بين نوع الخوارق في المعجزات والكرامات وفي السحر.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَيثُ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**».

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

هذه الفقرة في الحقيقة كان الأليق أن تذكر في بداية الكتاب، في بداية الكتاب المفروض تذكر هله الفقرة؛ لأن فيها طريقة أهل السنة والجماعة في عموم الدين، أصوله وفروع، وفيها أوصافهم التي تميزوا بها.

وفيها أيضًا شيء مهم جدًا وهو:

منهجهم في التعامل مع المصادر في، تعاملهم مع مصادر التلقي، هذا كله جعله في الأخير، غريب هذا من شيخ الإسلام، قد يكون هذا لأنه يريد أن يرينا بالتطبيق، أليس هكذا طبق؟ الذي يذكره هنا طبقه في الرسالة حتى لا يقال: ذكر في المقدمة ما قد يكون لم يحققه، لا، لا، هذا الذي يذكره هذا الذي طبقه في الكتاب، أليس كذلك؟

يذكرنا بهذا المنهج في الأخير، ويقول: هذا منهجنا، وهذا الذي كان في الرسالة، وهكذا منهجنا دائمًا.

يقول: (ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا)

هذا من أخص خصائص أهل السنة والجماعة؛ اهتمامهم بآثار النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا؛ لأن دينه مبني عليها، ليس هناك ما يستشكلنا من أقوال النبي ﷺ، أما المخالفون فدائمًا في حذر، هذا الحديث هل سيكون في صفنا أو لا، وهناك معاول جاهزة لهذا الحديث، إن وافقتنا فأهلًا وسهلًا وإلا، أما أهل السنة والجماعة لا، يعظمون آثار رسول الله ﷺ يتبعونها ظاهرًا وباطنًا.

هذا أولًا.

(وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ)

سبيلنا سبيلهم، ليس عندنا كما يقولون طريق السلف كذا وطريق الخلف كذا، لا، طريقنا هو طريق السلف.

(وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَيثُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ»)

وصفهم بالهداية والرشد، مما يدل على أنك إذا أردت الهداية والرشد هم طبقوه، فلا بد أن تتبعهم، «تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ» هذا شدة التمسك، «تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» هذا عبارة عن شدة التمسك، لا تلتفت يمنةً ويسارًا.

عمومًا في هذه بين شيخ الإسلام تميزهم في التعامل مع الأدلة وتميزهم في التعامل مع مصادر التلقي.

وخلاصة ما ذكره شيخ الإسلام هنا:

١) تحديد مصادر التلقي، الأصول الثلاثة: الكتاب والسنة والإجماع.

٢) **اثنين**: اعتبار فهم السلف الصالح.

٣) **ثلاثة**: تخصيص الخلفاء الراشدين بمزيد من الاعتبار لورود الوصية الخاصة بهم ولما لهم من المكارم.

٤) **أربعة**: تعظيم الكتاب والسنة وعدم تقديم شيء عليهما.

٥) **خمسة**: وزن كل ما عليه الناس بالأصول الثلاثة.

هذا تخليص للفقرة هذه كلها، هذا فيه تعظيم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

(وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلامِ كَلامُ اللهِ وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيُؤْثِرُونَ كَلامَ اللهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ)

لا تنسوا ما ذكرته في بداية النقل أن شيخ الإسلام لما يكتب يكتب وهو يستحضر أقوال المخالفين فيما يذكره هنا.

(وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ. وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الاِجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ)

أهل الجماعة لأنهم يتمسكون بالسنة ويجتمعون على الحق والسنة.

(وَالإِجْمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدينِ. وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِه الأُصُولِ الثَّلاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ)

هذا هو الميزان الذي به يزنون جميع الأقوال والأعمال، أما غيرهم فلهم موازين مستوردة من كذا وكذا، أو مبنية بناها فلان أو علان، لا، عندهم هذه الأصول الثلاثة بها يزنون جميع الأقوال وجميع الأعمال.

(وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلاَفُ، وَانْتَشَرَ فِي الأُمَّةِ. ثُمَّ هُم مَّعَ هّذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ)

هنا في هذه الفقرة ذكر شيخ الإسلام تميزهم في المسلك العملي؛ التعامل مع غلاة الأمر، والتعامل مع الناس عمومًا، أيضًا منهجهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تميزهم في تحديد المعروف والمنكر، أيضًا اتباع السنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أيضًا التزام المنهج الصحيح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والمنهج الصحيح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقوم على ثلاثة أمور:

يقوم على العلم، وهذا قبل الأمر والنهي.

ويقوم على الرفق، وهذا مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شيء قبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشيء معه وهو الرفق.

وشيء بعده وهو الصبر.

وهي عمومًا: العلم، والرفق، والصبر.

ثُمَّ هُم مَّعَ هّذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ.

ما هو المعروف؟ ماذا قلنا في المعروف؟

المعروف هو ما عرف حسنه في الشرع، والمنكر ما علم قبحه شرعًا، أو المعروف اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من أمور الخير.

والمنكر اسم جامع لكل ما يسخطه الله ﷻ من أمور الشر.

والمعروف يدخل فيه الواجبات والمستحبات، والمنكر تدخل في المحرمات.

أعظم المعروف ما هو؟

التوحيد.

وأعظم المنكرات؟

الشرك، إذا جاءك المعتزلي وقال: عندي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اسأله، ما رأيك في التوحيد؟ تجد أنه في التوحيد معطلة، يدعوك إلى الشرك، وما هو المنكر عندك؟

التوحيد الصحيح توحيد المرسلين عندهم منكر، التوحيد الذي هو أعظم الواجبات عندهم منكر.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

هذا في التعامل مع ولاة الأمور، وذكر هذه الأمور وذكرها بالخصوص؛ لأن غرض المسلمين بها جمع الكلمة والبعد عن الفرقة، وأهل السنة هم أهل السنة والجماعة، يجتمعون على أمير ويجتمعون على أمر اجتمع فيه المسلمون.

(وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا)

هذه المسائل تابعة لمسألة الإيمان وعادةً يذكره العلماء في مسائل الإيمان؛ لأن من يخالف في مثل هذه الأمور هم الخوارج، المعتزلة، لا يرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء بحجة أن عندهم فسق وفجور، وكما عرفنا معروفهم ومنكرهم يختلف في بعض الأحيان، وهذا الوالي عندهم كافر ولا يرون أن يصلوا خلفه، ولا يرون الجهاد معه، بل هو من أوجب الواجبات أن يجاهد، يجاهدون ضده، يعني هو المستهدف، كيف يجاهدون معه، ولذلك يؤكد أهل السنة والجماعة على هذه المسائل؛ لأن بها اجتماع كلمة المسلمين.

(وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ. وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ للأُمَّةِ)

هذا في التعامل مع عموم الأمة، هناك تعامل مع من له حق علينا، حق الطاعة، وهم ولاة الأمور، أما هذا التعامل مع عموم الأمة.

(وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ للأُمَّةِ وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ؛ يَشُدُّ بَعْضَهُ بَعْضًا**»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَقَوْلِهِ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بُالْحُمَّى وَالسَّهَرِ**» وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ)

هذه الأمور الثلاثة هي تجمع الدين:

١) الامتثال بالمأمور.

٢) والانتهاء عن المحذور.

٣) والصبر على المقدور.

الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء، هذه الأمور الثلاثة تجمع الدين.

قال شيخ الإسْلام ابْنُ تيمية -رحمه اللَّه-:

وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ.

قال الشَّارح -وفَّقهُ اللَّه- :

ختم رسالته العظيمة بذكر ما يتميز به أهل السنة في المسلك العملي، ومن ذلك أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وهكذا يكون عملهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، يلتزمون في ذلك بما كان في الشرع.

(وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ)

الخلق هي الصورة الباطنة والخَلق هي الصورة الظاهرة، الخُلق هي الصورة الباطنة والخَلق هي الصورة الظاهرة، مكارم الأخلاق.

(وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»)

فيه دخول الأعمال في مسمى الإيمان، «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا».

(وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ)

ويندبون أي ويدعون.

(إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَوَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ. وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ. وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخُيَلاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ)

الاستطالة على الخلق بحق هذا هو الفخر، إذا كان الاستطالة على الخلق بحق فهذا هو الفخر، وإذا كان بغير حق فهو البغي.

(وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاَقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا)

هذا فيه تلخيص لما ذكره، عمومًا يأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفاسفها.

(وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)

لأن هناك من يأمر أيضًا يدعو إلى مكارم الأخلاق وتجد أن مسلكه العملي فيه كثير من عناصر البوذية والهندية وغيرها.

أما أهل السنة كما يقول شيخ الإسلام:

(وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

(وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلاَمِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا)

هذا في تخليص، عمومًا يكون طريقتهم هي دين الإسلام.

(وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلاَمِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحمدًا ﷺ. لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّار؛ إلاَّ وَاحِدَةً)

طبعًا «**كلها في النار إلا واحدة**» معناها كلها متوعدة بالنار، وليس معناها أنهم من أهل النار.

وهناك اصطلاح جديد الآن الفرق النارية، هذا اصطلاح كما ذكر الشيخ صالح ليس بجيدٍ، الفرق النارية، لا، هؤلاء متوعدون بالنار وليسوا من أهل السنة، والذي يظن أنهم من أهل النار خالدون مخلدون فيها فقد خالف الإجماع، كما ذكر شيخ الإسلام.

(كُلُّهَا فِي النَّار؛ إلاَّ وَاحِدَةً وهي السنة والجماعة، صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ).

يقول شيخ الإسلام: لكن لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على كذا وكذا، فرقة كلها في النار إلا واحد صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب، أي الخالص عن عما دخله من البدع والخرافات، وهم أهل السنة والجماعة.

أهل السنة والجماعة هم أهل السنة والجماعة الذين هم يبنون دينهم على السنة والجماعة، والذين هم يعظمون السنة، ولذلك سموا أهل السنة.

ومن الخطأ المعروف في هذا ما ذكره الإمام السفاريني أن أهل السنة هم ثلاث طوائف: أهل الحديث والأشاعرة والماتريدية.

يقول الشيخ صالح آل الشيخ في شرحه، يقول: وهذا قول باطل وغلط كبير.

ثم ذكر كيف أن هؤلاء يقدمون العقل على النقل ويردون الأحاديث بحجة أنها من أخبار الآحاد وما عندهم من الطوام مع ذلك أهل السنة، لا، ليسوا من أهل السنة، من أهل السنة المحضة.

(وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَومَ وَأَصْحَابِي**» وَفِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحُونَ، وفيهم أَعْلامُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى).

أعلام الهدى ومصابيح الدجى، الصالحون هم القائمون بحقوق الله ﷻ وحقوق الخلق، أما أعلام الهدى فهم الذين يقتدى بهم من الأئمة، أما مصابيح الدجى فهم الذين تؤخذ أقولهم، وصارت أقوالهم محفوظةً في الأمة، فصاروا مصابيح في الظلم يقتدى بأقوالهم ويكتفى بآثارهم، فعلًا هم مصابيح الدجى بأقوالهم نقتفي وبأقوالهم نستضيء، أقوالهم صارت محفوظةً.

(أُولو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ)

أولو المناقب المأثورة آثارهم مناقبهم مأثورة، إذا أردت أن تقرأ في سيرهم فاقرأ كتب سير أعلام النبلاء وغيرهم.

(وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ)

طبعًا الأبدال هم الأولياء العباد، سموا بذلك لأنهم كلما مات منهم بدل بآخر، ولم يصح حديث في الأبدال وبعضهم صحح، ولعل شيخ الإسلام منهم، والله أعلم، وهناك بعض المصطلحات أقطاب وكذا وكذا، هذه المصطلحات مصطلحات ليست شرعيةً.

(وَفِيهِمُ أَئِمَّةُ الدِّينِ، الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ التي قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ، لاَ يَضُرُّهُم مَّنْ خَالَفَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»).

إذن هؤلاء الطائفة المنصورة، والطائفة الناجية، وأهل السنة والجماعة، هؤلاء كلهم يصدق هذا الوصف وتصدق هذه الأوصاف كلها على أهل السنة والجماعة.

وهذا ختم شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الرسالة العظيمة، ذكر في نهايتها بعض الأمور التي كما ذكرت كان ينبغي أن يذكرها في البداية، ولكنه يشير بهذا الصنيع أن هذا الذي طبقته في هذه الرسالة، وهكذا

ينبغي وهذا الذي عليه أهل السنة والجماعة، ليس هناك شيء يبنونه على غير الكتاب والسنة حتى في باب المسلك العملي، المسلك العملي مع أولياء الأمور ومع عموم الأمة في دعوتهم إلى معالي الأخلاق يلتزمون بالكتاب والسنة.

ثم ختم رسالته بدعاء جميل، ونحن نسأل الله ﷻ أن يجعلنا منهم، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ويهب لنا من لدنه رحمةً إنه هو الوهاب.

وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليمًا كثيرًا.

ونعتذر إذا كان هناك قصور أو تقصير.

الأسئلة

الطالب: تجيزنا بهذه الرسالة؟

الشيخ: أنا أجيزكم بهذه الرسالة، وبإذن الله سأعطيكم السند المتصل إلى شيخ الإسلام الذي يمر بأئمة الدعوة، أنا أسر بهذا السند الذي يمر بأئمة الدعوة، إن شاء الله سأعطيكم سنرسل لكم بإذن الله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.